علم الاجتماع الحضرى

أستاذ دكتور
عبد الهادى محمد والى
استاذ ورئيس قسم علم الاجتماع
جامعة طنطا

٢٠٠١


بسم الله الرحمن الرحيم
قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما
علمتنا إنك أنت العليم الحكيم
صدق الله العظيم
سورة البقرة آيه ٣٢

مقدمة

لفتت المدينة منذ نشأتها أنظار كثير من الدارسين فى العلوم الاجتماعية ، وتنوعت نظرة كل منهم وفقاً لجوانب اهتمامه وتخصصه. ذلك أن نشأتها كانت تحمل بين طياتها لأول مرة فى التاريخ ، ظهور مجتمع يعتمد على غيره فى الإعالة أو الإعاشة ، ولاتمارس فيه مهن زراعية . كذلك حملت هذه النشأة دليلاً على أن هناك فائضاً يتحقق فى مجال الإنتاج الغذائى . ومن هنا ذهب البعض إلى القول بأن المدن تنمو وتتسع حيث يتوفر فائض غذائى يكفى لإعالة تجمع بشرى لايعمل فى الزراعة .

وإذا كانت أحداث التاريخ تدلنا على أن كثيراً من المدن كان فى البداية قرى نمت وتطورت ، واتسع نطاقها ، إلا أن الأحداث التالية دلت على أن مدناً أخرى أنشئت منذ البداية لتكون مدناً ولم تكن قرى. وكلا الأمران يتضمنان أن المدينة مجتمع خلقه الإنسان بنفسه ، ويعكس نموها وتطورها ما بلغته الحضارة الإنسانية من رقى وتطور

وقد عرف التاريخ الإنسانى مدناً نشأت فى ظل الحضارات القديمة ، وكانت تتميز أيضاً عن المجتمعات الريفية من حيث كثافة السكان ، والبناء الاجتماعى والاقتصادى والطبقى . ولاتزال المدينة حتى الآن تضم فئات وطبقات متميزة فيها الصفوة السياسية ،

والثقافية، والاقتصادية ، ورجال الفكر والفن ، ورجال الدين . فضلا عما يرتبط بهذه الفئات من نظم ومؤسسات تجعلها مهيمنة وفاعلة فى المجتمع بأسره .

وفى العصر الحديث تداخلت خصائص المجتمع الريفى . مع خصائص المجتمع الحضرى . بحيث يصعب الفصل بينهما فى كثير من المجالات . فقد نقلت القرية أنماط المسكن ، والاتصالات ، والأدوات ، وحتى العلاقات السائدة فى المدينة . فأخذت كثيرا من السمات التى كانت القرية تتسم بها فى التغير ، فمثلا اتجهت العلاقات للتحول من الأولية إلى الثانوية ، واتجهت إلى نمط الأسرة النواه ، أو الأسرة الممتدة المعدلة ، وانكمشت سلطة كبار السن ، وأساليب الزواج والتنشئة الاجتماعية التقليدية .

وإذا كانت هذه التطورات تؤدى إلى تضييق مجالات الدراسة فى علم الاجتماع الريفى ، فهى فى الوقت ذاته توسع إطار الدراسة فى علم الاجتماع الحضرى ، وتفرض عليه أعباء مضاعفة ، وربما تفرض تعديلات فى النظرية والمنهج وأساليب المعالجة .

وفضلاً عن التحديات السابقة ، فقد انطلقت معدلات التحضر فى العالم الثالث بسرعة غير مسبوقة ، خاصة بعد حصول بلدان هذا العالم على استقلالها السياسى ، الأمر الذى فرض الحاجة إلى مراجعة

نظريات ومداخل ونتائج الدراسة السائدة فى علم الاجتماع الحضرى الغربى والأمريكى ، كما ظهرت الحاجة إلى إعادة النظر فى كثير من القضايا النظرية والواقعية لهذا العلم .

وهكذا فإن علم الاجتماع الحضرى هو فرع حديث من فروع علم الاجتماع العام، رغم أن نشأة المدينة ذاتها قديمة قدم التاريخ الإنسانى. ولعل الواجب العلمى يقتضى أن نشير إلى من كان لهم فضل الريادة فى مجال هذا العلم أو الفرع . ونذكر من هؤلاء عالم الاجتماع الأمريكى "روبرت بارك" الذى كان أول من نشر مقالاً بالمجلة الأمريكية لعلم الاجتماع بعنوان "المدينة" عام (١٩١٥) ، ثم أتبع هذا المقال بنشر عدد من البحوث التى أجراها فى الحضر ، وبالعنوان نفسه عام (١٩٢٥) ، وفى العام التالى أصدر بالاشتراك مع بيرجس Burgess مؤلفاً آخر باسم "المجتمع المحلى الحضرى" ، وفى عام (١٩٢٩) أصدر أول مؤلف علمى متكامل بعنوان علم الاجتماع الحضرى ، وتعتبر أعمال روبرت بارك R. Park من أهم الأعمال التى فتحت الآفاق للدراسة العلمية للمدينة . كما فتحت الآفاق لازدهار هذا العلم وتطوره إلى أن احتل مكانته الراهنة .

ويستفيد علم الاجتماع الحضرى من فروع أخرى كما يفيدها ، فهو يفيد من دراسات علم النفس ، والاقتصاد ، والإدارة ، والجريمة

والاجتماع السياسى ، والجغرافيا ، وغيرها من العلوم . وفى الوقت نفسه يفيدها بمنظوره المتميز ، وتحليلاته العلمية والميدانية .

ولقد حاولت فى هذا المؤلف أن أقدم للقارىء رؤية علمية حول المدينة من حيث تعريفها وبنائها الاجتماعى والفيزيقى ، واضعاً نصب عينى مدينة العالم الثالث التى أمدت هذا العلم برؤى وأبعاد جديدة ، حتى يكون القارى على بينه من طبيعة التحضر فى عالم ينتمى إليه . وأبعد من ذلك فلقد حاولت أن أمد بصرى إلى منطقة نعيش فيها ، ولابد أن نتعمق سماتها وخصائصها ، وأبعادها التاريخية . ومن هنا كانت منطقة الشرق الأوسط محور اهتمامى فى مواقع كثيرة من هذا المؤلف .

وفى النهاية فإن غاية ما أتمناه أن يشكل هذا المؤلف إسهاماً فى مجال الدراسات الاجتماعية ، ومجال علم الاجتماع الحضرى ، بحيث يفيد منه القارىء العادى والمتخصص وطالب الاجتماع .

والله أسأل التوفيق ،،

الاسكندرية يناير ٢٠٠٠ **عبد الهادى والى**

الفصل الأول

المدخل إلى دراسة المدينة

تمهيد :

يرجع اهتمامنا بدراسة "مجتمع المدينة" إلى عـدة اعتبـارات قـد يكون من الملائم أن نشير إليها فيما بعد ولو بشيء من الإيجاز ... ولكن قبل أن نفعل ذلك ، لعل من الضرورى أن نشير فـى عجالـة إلى تـاريخ الحياة الحضرية ، وطبيعتها .

لقد مثلت المدينـة مرحلـة هامـة مـن مراحـل التطـور التـاريخى للإنسان ، لذلك يذهب البعض إلى أننا حينما نؤرخ لحيـاة المـدن فإننـا نؤرخ للحياة الإنسانية كلها . ذلك أن المدينة قد أدخلت عناصر جديدة لهذه الحياة ، هى فى جملتها طريقة جديدة فى الحياة ليست زراعية. وقد جذب التحليل التـاريخى لنشـأة المـدن أنظـار كثـير مـن الدارسـين الذين حاولا الإجابة على تساؤلات معينة حول الوقت الذى بدأت فيـه مدينة بعينها فى الظهور ، ومراحل تطورها ، ومدى إسهامها فـى نمـو المنطقة المحيطة بها ، وكذلك العصر الذى وجدت فيه ، وما إذا كانت هناك مراحل تطورية أو دورية تمر بهـا التـاريخ الإنسـانى فـى إرتباطـه بتطور المدينة .

لكن ظهور المدن مسألة يصعب تتبعها بدقة واحكام ، حيث أن معظم الشواهد على ذلك تتعلق بالآثار ، وبالتالى ليست مترابطـة ، كمـا لم تتم دراستها بنفس الدرجة من الاتقان ، لأنـه لم تتوافـر عـن الكثـير

منها كتابات أو وثائق يمكن الاعتماد عليها . هذا فضلا عن أن مقارنة تلك المدن بالمدن الحديثة سوف يكون أمراً غير دقيق . فالظروف السابقة على وجود المدن القديمة هى تلك الظروف التى جعلت من الممكن ظهور مجتمع يعتمد على غيره على الأقل فى مسائل الإمداد بالطعام ، كما أن الاختراع والتكنولوجيا مسألتان ضروريتان للتركز الحضرى . ومع ذلك فهذين المتغيرين قد وجدا قبل وجود المدن متمثلان فى المخترعات البدائية كالمحراث ، والطاحونة ، وزراعة المحاصيل ، واستئناس الحيوانات ، أيضاً حينما ظهرت المدن أصبحت دون شك مركزاً لكل اختراع، ومصدراً لكل أنواع التكنولوجيا. وبالتالى أتاحت الفرصة لتركز سكانى واسع النطاق . ولقد كانت المدن القديمة صغيرة الحجم ، ويعزى ذلك إلى ضعف الإنتاجية الزراعية ، والتكلفة الزائدة للنقل إلى مسافات بعيدة .

وكذلك فإن معظم المدن القديمة قد أصبحت أطلالاً ، وتدهورت ثقافاتها الحضرية ، والمدن اليونانية ، والرومانية وغيرها خير دليل على ذلك . فقد اعتمدت على التجارة والهيمنة السياسية Political Domination عبى مناطق الظهير الزراعى Hinterland ، ولقد كان تداعيها ، وانهيارها راجعاً لعدة أسباب متداخلة ومعقدة من أهمها الغزوات التى كانت تشنها عليها الجماعات الأقل تحضراً ، فى الوقت

الذى كانت فيه دفاعاتها قاصرة على حمايتها [1] .

وفى العصور الوسطى شهدت بلدان غرب أوربا فى المرحلة الثانية من مراحل التطور الكبرى للمدن ، تلك المدن التى اتسمت بالتخصص الوظيفى فى مجتمع أصبح يعتمد على هذا التخصص بالدرجة الأولى . ومعنى ذلك أن المدن قد بدأت تتخصص فى أوجه نشاط إقتصادية أخرى غير التجارة ، والنقل . فأصبحت الصناعة هى الوظيفة الأساسية للعديد من المدن فى العصور الوسطى ، وأدت إلى ظهور برجوازية العصور الوسطى ، ونظام الروابط ، وكذلك النقابات الحرفية [2] .

وفى العصور الحديثة شهدت المجتمعات الإنسانية ، ولاتزال تشهد معدلات نمو سريعة فى مجال التحضر ، الأمر الذى أدى إلى أن أصبحت الغالبية العظمى من السكان تعيش فى مدن ، والمدن فى العصر الحالى تتنوع اقتصادياتها ، كما تتخصص فى نفس الوقت . لكن هناك عملية أساسية تشهدها المدن الحديثة ، وهى أنها تنتج الآن الكثير لصالح سكانها ومواطنيها أكثر مما كانت تفعل المدن المبكرة ،

---

(1) Hatt, P. K and Reiss, A. J., Cities and Society, (ed.) The Free Press, New York, 1957, p. 175-176.

(2) Ibid, p. 176 .

لدرجة أن أكثر من نصف النشاط الاقتصادى فى مدن البلدان المتقدمة يوجد لصيانة البيئة الفيزيقية ، ورعاية السكان والمؤسسات الحضرية .

ولما كانت المدن جزءاً متكاملاً من مجتمع أوسع نطاقاً ، فإن عددها وتوزيعها ، ووظائفها فى المجتمع تختلف وفقاً لدرجة تعقد الثقافة ، وعلاقة هذه الوظائف وذلك التوزيع ، بالتغير الثقافى ، وفضلاً عن ذلك فإن هذه الوظائف تتنوع وفقاً للمرحلة التاريخية التى تشهدها المدن فى نموها ، فهناك على سبيل المثال مدن تجارية ، وأخرى إدارية ، وثالثة دفاعية ، ونوع رابع يختلف فيما بينه وفقاً لتخصص الإنتاج الصناعى . والمهم أن هذه التطورات حولت المدينة من مكان للإقامة إلى مكان للإنتاج والعمل . وفضلاً عن كل ذلك فإن هناك مدناً لم تكن وظائفها إنتاجية ، مثل المدن التى تشتهر بالفنون ، والآداب ، والعلوم أو بأنها ذات وظائف دينية ، أو ترويحية ، أو إدارية .

ولايهتم عالم الاجتماع بالوصف التاريخى فى حد ذاته ، لكنه يهتم بالتحليل التاريخى للمدن ، وظهورها ، ونموها من حيث كونه يسهم فى الإجابة على تساؤلات مثل ماهى الوظائف التى قامت بها المدن فى مجتمعات مختلفة ...؟ وماهو إسهامها فى التغير الإجتماعى والثقافى ..؟ وماهو الدور الاقتصادى الذى أدته وتؤديه ..؟ وكيف

تحولت فيها الطقوس والمعتقدات إلى نظم علمانية Secular ؟ وكيف كانت المدينة فى عصور الإقطاع ، وما مدى تأثير التحضر على التنظيم الايكولوجى للمنطقة ، أو الإقليم ؟ وكيف أثرت المدن ولاتزال تؤثر فى الثقافة العامة ، والحضارة الإنسانية ..؟

ومعنى ذلك أن الدراسة السوسيولوجية – التى تعتمد على البعد التاريخى – للمدن لاتسمح فقط بأن يتوصل الدارس إلى تعميمات عن التغير الثقافى فى المجتمعات ، وعلاقته بالمدن وحضارتها ، لكنه يسمح أيضاً باختبار الفروض الخاصة بالدراسات الحضرية فى مجتمعات متنوعة ، وعبر مراحل تاريخية مختلفة وثقافات متباينة . ومن الأمثلة على هذه الدراسات ما قام به كنجزلى ديفيز k. Davis وهيلدا جولدن Helda Golden من البحث عن مدى إسهام التحضر فى النمو الاقتصادى ، واستخدام المعطيات التاريخية الخاصة بالمجتمعات التى تشهد نمواً اقتصادياً من أجل التوصل إلى ما إذا كان التحضر قد أنتج معدلات وأشكالاً مختلفة للإنتاج الاقتصادى والاستهلاك[1] وهناك العديد من الدراسات اعتمد على البعد التاريخى، أو أخذ بالمدخل التاريخى فى محاولته الإجابة على مثل هذه التساؤلات .

---

(1) Davis, K. Helda Hertz Golden, Urbanization and the development of Pre-industrial Areas. In : Hatt and Reiss, Ibid, pp. 130-140 .

تعريف المدينة :

حظى تعريف المدينة باهتمام بالغ فـى دراسـات علـم الاجتمـاع الحضرى ، حيث صيغت تعريفات متعددة يركز كل منها على جـانب أو آخر من جوانب التخصـص فـى العلـوم الاجتماعيـة وليسـت مسـألة تعريف المدينة – كما قد ينظر إليها – نوعا من الـترف العلمـى ، لكـن ربما ترجع أهميتها إلى ارتباطها بمداخل الدراسات الحضرية سواء منها تلك التى تسعى لفهم مشكلات المجتمع الحضرى ، أو التى تعمل على تقدير عناصر ملائمـة لتخطيطـه ، والنهـوض بـه . ومـن هنـا كـان مـن الضرورى طرح بعض التعريفات المتداولـة بشـكل تحليلـى فـى محاولـة الخروج بتعريف محدد .

وإذا تناولنا هذا الموضوع من الناحية التاريخية ، نجد أن بعـض شعراء وأدباء الإغريق قد تعرض لمسألة تعريف المدينة ، فأشـار بعضهـم إلى أن المدينة لاتعنـى المبـانى ، أو الحوائـط والأسـوار ، أو القنـوات أو أحواض السفن ، أو غير ذلك من جوانـب الإبـداع والخلـق الفـيزيقى ، لكنها تتجـاوز ذلـك كلـه ، بحيـث تعنـى المكـان الـذى يسـتطيع فيـه الإنسان استغلال فرصته ، وتنمية طاقاتـه ومواهبـه [1] ، وفـى تلـك

---

(1) Pahl, R. E. (ed) Readings in Urban Sociology, Pergamon Press, London, 1968. p. 3 .

الإشارة ما يدعم التأكيد على الأبعاد الاجتماعية لحياة المدينة ، أكثر من التأكيد على الأبعاد الفيزيقية أو الطبيعية ، الأمر الذى تهتم به الدراسات فى علم الاجتماع الحضرى . فالمدينة على هذا الأساس مجال متميز للحياة الاجتماعية يجد فيه الإنسان من التيسيرات مالم يكن متاحاً له من قبل.

والواقع أننا غالباً ما ندرك ماهى المدينة ، لمجرد الرؤية الحسية ، لكننا قد نعجز عن تقديم تعريف علمى محدد ومقبول لها . فالمدينة من الناحية السوسيولوجية البحتة عبارة عن فكرة مجردة ، ولكن عناصرها المكونة هى الموجودات المشخصة التى تتمثل فى المبانى، ووسائل المواصلات ، والمصانع والمؤسسات وغير ذلك ، إلا أن التكامل الوظيفى بين هذه العناصر هو الأمر الذى يجعل من المدينة شيئاً محدداً.

ومع ذلك فوظائف المدينة متنوعة ، وتختلف من وقت لآخر ، فالمدينة كما يراها ماكس فيبر Max Weber - خاصة فى العالم الإغريقى والرومانى - كانت بالضرورة تنظيماً عسكرياً قائماً على مجموعة من النظم القرابية المرتبطة بتنظيمات دينية معينة . ومن هنا كان فهم التطورات العسكرية ، من وجهة نظر فيبر أمراً أساسياً لتحليل التحضر فى مراحله الكلاسيكية ، أما المدينة الحديثة فيراها

فيبر على أنها نسق أو مكن ، أو محل إقامة مغلق نسبياً نتيجة لتجاور المنازل بشكل كبير ، يضاف إلى ذلك ضرورة وجود السوق ، ووضوح الوظيفة الاقتصادية ، كذلك فإن هناك علاقة بين نمو المدينة وبين نمو العملية الزراعية [(1)] .

وربما يرجع استخدام كلمة المجتمع الحضرى إلى مسئول أمريكى فى مجال الزراعى هو جالين Galpin ، فهى من وجهة نظره مركز حضرى ذو تنظيم يتكون من أناس يعيشون فى تجاور وتقارب Compactly فى منطقة محددة ، ويطبقون درجة عالية من الاتصالات الداخلية بفعل تزايد الحجم السكانى ، والتقارب المكانى ، واتساع مجالات العمل ، والنشاط الإنسانى [(2)] .

أما لويس ممفورد Lewis Mumford، فيقول أن المدينة تتكون من عدد من الجماعات الأولية التى تقوم بينها روابط هادفة ، كالأسرة وجماعات الجوار Neighborhood groups ، وغيرها من الجماعات ذات الأهداف المحددة ، وهذه الجماعات تترابط فيما بينها – كما يقول ممفورد – نظراً لوجود تنظيمات معينة ، تخضع لتشريعات

---

(1) Weber, Max, The city , Trans, by Don Martindale, The free press of glencoe, New York, 1958, pp. 75 .

(2) O'Conor, John ., & Willigan , Walter . L., Sociology, Longmans green and Co., New York, 1946, p. 142 .

محـددة ، أمـا البعـد السوسـيولوجى للمدينـة – عنـد ممفـورد – فهـو التقسيم الاجتماعى للعمل . والبعـد المـادى هـو المتـاجر ، والمخـازن ، والشوارع والمتنزهات ، ودور الحكومـة ، وأمـاكن الاجتماعـات . وغـير ذلك . ومن هنا فإنه يرى أن المدينة عبارة عن شـبكة جغرافيـة وتنظيـم اجتماعى ، وعملية تنظيمية ، وميدان للفعل الاجتماعى ، ورمز للوحدة الجمعية ، بمعنى أنها تشكل إطاراً حياً للفعل ، والدوافع التـى تـثرى الثقافة البشرية [1] .

وقـد عـالج جـوردن أريكسـن Gordon Ericksen مشـكلة الاختلافات حول النظرة العلميـة للمدينـة فـى فصـل كـامل مـن مؤلفـه "السلوك الحضرى Urnab Behavior فيقول أن هذا الاختلاف يرجع لاختلاف تخصص الدارسين فالجغرافيون مثلاً يـرون أن المدينـة تتمثـل فى بناء مادى متميز ، يتضمن شوارع ، وميادين ، وحدائـق ، كمـا أن علماء الجغرافيا الاقتصادية يـرون فـى المدينـة مكانـاً توجـد بـه مراكـز التجارة ، والتبادل ، هذا فى الوقت الذى يقيم الجغرافيـون الطبيعيـون علاقة هامة بين طبيعة الحياة الحضرية ، والقوى الطبيعيـة السـائدة ، كذلـك يركـز الأيكولوجيـون علـى أنمـاط التقسـيم أو التكويـن الفـيزيقى

(1) Mumford, Lewis, The Culture of Cities, Harcourt brace and Co., New York, 1936, pp. 246-248

الداخلى وغيرها من العمليات الأيكولوجية الرئيسية . أما المؤرخون فيرون أن المدينة عبارة عن تغيير حضارى يمكن دراسته وتحليله من خلال الوثائق ، والمؤلفات ، وعلى الرغم من ذلك فإن هناك من يرى أن من المدن ما ليس له تاريخ ، كما فى أمريكا مثلاً . ثم إن علماء السياسة يرون أن المدينة قالب يتمركز فيه النشاط السياسى، وهذا القالب يقوم على نوع من التماسك الذى يسمح بقياس مدى كفاءة الخدمات العامة المحلية – والعلاقات بين الهيئات ، والمؤسسات . أما رجال الإدارة فيذهبون إلى أن المدينة ماهى إلا مكان يصدر به مرسوم إدارى يحدد كونه مدينه ، غير أن رجال القانون ، والمحامين يرون أن أهم ما يميز المدينة هو الجانب القانونى ، والمجالس البلدية التى يصممها ويشرع لها متخصصون فى هذا المجال، وعلى ذلك فهى شكل قانونى متميز . وإذا انتقلنا إلى علماء الديموجرافيا لوجدنا أن الحجم يعتبر من وجهه نظرهم أساساً كافياً لتحديد المدينه ، وتمييزها عن غيرها من التجمعات الانسانية كذلك يهتم المتخصصون فى الرعاية الاجتماعية ، بأمور مثل الاصلاح الاجتماعى ، وتحسين التعليم ، والصحه ، وأساليب الرعاية ، ومستوى المعيشة . وأخيراً فإن علماء الاجتماع يرون فى المدينة إطاراً لحياه اجتماعية متميزه عن غيرها ، فيدرسون فيها العلاقات الخالصة. ومن كل ذلك ينتهى إريكسن إلى أن

تعدد هـذه التعريفات يعبر عن منظورات جزئية لا تصلح أى منها بمفردها كأساس كاف لتعريف المدينه [(١)] .

وانطلاقا من هذا التصور ذهب علماء آخرون إلى التأكيد على أهميه الأخذ بتعريف مركب للمدينة ، ولا يركز على جانب واحد دون الآخر . ذلك أن المدينة تتضمن فـى الواقع كل هـذه الجوانب ، وتقوم بكل هذه الوظائف في وقت واحد . فقد يكون من الخطأ تغليب جانب معين على آخر أو تجاهل وظيفة ، والتأكيد على غيرها . ومن نماذج التعريف المركب للمدينة ما قدمه ماكس سور Max Sore حيث يقول: (إن المدينه عباره عن تجمع دائم ، وضخم وكثيف بدرجه أو أخرى ، وتنعكس فى مظهره العام درجه عالية من التنظيم) [(٢)] .

كذلك يقول لويس ويرث Lewis Wirth إن المدينه عبارة عن مكان أكبر حجماً ، وأكثر كثافه ، ومستقر دائم لأفراد على درجة كبيره من اللاتجانس الاجتماعى . وترتبط أشكال الفعل الاجتماعى فيها بهـذه الخصائص الثلاث (الحجم ، والكثافة ، واللاتجانس) ولكى يتحاشى ويرث مشكلات العليه أو السببية ، اكتفى بالنظر إلى

---

(1) Ericksan , Gordon, The Urban Behavior, The Mecmillan Company, New York, 1958, p. 2 .

(٢) جمال حمدان ، جغرافيه المدن ، عالم الكتب ، القاهرة ، ص١٤..

أشكال الفعل الاجتماعى فى المدينة على أنها لواحق Consequences أو خصائص أخرى Further Characteristic ومن هنا نجد أن ويرث قد صاغ اثنى عشرة قضية توضح العلاقة بين الخواص الرئيسية الثلاث وأشكال الفعل ، ونماذج العلاقات ، وأوجه النشاط المختلفه [1] .

واستمرارا للاتجاه السوسيولوجى فى فهم ، وتعريف المدينة ، أخذ كل من بيتريم سوروكين P.Sorokin وكارل زيمرمان K.Zimmerman بالخصائص الثلاث التى أشار إليها لويس ويرث ، وأضافا إليها خصائص أخرى تسهم فى عمليه الفهم الاجتماعى للمدينة والحياة الحضرية ، وقد جعل سوروكين ،وزيمرمان من المهنة خاصية ساسية مستقلة بينما جعلا غيرها من الخصائص معتمدة وتابعة للمهنة ومن هنا كان تعريفهما للمدينة وفهمهما لطبيعة الحياة الحضرية ينبثق من دراسة ثمانية خواص ، إحداهما هى المهنة ، أما الخواص الأخرى فهى :

أ- البيئة الطبيعية	ب- حجم المجتمع
جـ- كثافة السكان	د- التجانس واللاتجانس

(1) Morris, R. F. Urban Sociology, Frederick A. Preger, New York, 1968. pp. 1-5 .

هـ- التدرج الاجتماعى و- الحراك الاجتماعى

ز- نسق التفاعل [1] .

وقد يكون طبيعياً أن تجذب أفكار ، ويرث ، وسوروكين وزيمرمان وغيرهم ، أنظار دارسى الاجتماع ، والاجتماع الحضرى بصفة خاصة - ذلك أنهم قد اهتموا بالجوانب الاجتماعية لحياة المدينة أكثر من غيرهم ، ولكن رغم ذلك فإن المدينة لم تحظ بتعريف دقيق يلقى قبولاً من معظم الدارسين وفضلاً عن ذلك فقد كان ظهور المناطق الإشعاعية (الميتروبوليتان) Metrlopolitan من العوامل التى أضافت المزيد من التعقيدات لعملية التوصل إلى هذا التعريف . فالمنطقة الإشعاعية هى تلك التى تتضمن شبكة هائلة من العلاقات . والوظائف المتبادلة بين المدينة المركزية Central City والمناطق المجاورة . وهى تعرف بأنها تتضمن مدينة مركزية لايقل عدد سكانها عن (١٥٠) مائة وخمسين ألف نسمة ، بالإضافة إلى المناطق المحيطة بها ، والتى تمارس عليها نوعاً من السيطرة السياسية ، والاقتصادية والثقافية والاجتماعية ، وتتفاعل معها عبر شبكة من العلاقات المتبادلة [2] .

---

(1) Sorokin, P. A. & Zimmerman, C. C. Principles of Rural - Urban Sociology, Henry Jolt and Cpmpany, New York, 1920, PP. 3-33 .

(2) Hunt, Elgin, Social Science : An Introduction to the Study of Society, the Macmillan Company, 1955, p. 27.==

هذا وفى ضوء اتساع الخلاف فى وجهات النظر حول تعريف المدينة . ذهب بعض العلماء والدارسين إلى أنه قد يكون من المناسب تعريف المدينة بشكل سلبى ، بمعنى أن نحدد ماليست المدينة ، بدلاً من تحديد ماهى المدينة ، هذا بالإضافة إلى نقد وتفنيد التعريفات السابقة كالإحصائية ، والقانونية ، والإدارية ، وغيرها مما يعتمد على عنصر واحد ، أو يأخذ بمنظور واحد [١] .

وفضلاً عما سبق يذهب هربرت جانز Herbert Ganz إلى أن مناقشاته عن الحضرية ، وحياة الضواحى Suburban Life تحمل مضامين التعريف السوسيولوجى للمدينة ذلك أنه يحاول الربط بين طرق الحياة فى المدينة من ناحية ، والسمات البيئية والطبيعية من ناحية ثانية ، ونمط الموقع وتقسيم الأرض من ناحية ثالثة [٢] .

= هذا ويشير البعض إلى المنطقة الميتروبوليتان على أنها منطقة العاصمة انظر: معجم العلوم الاجتماعية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ص٥٧١، ومع ذلك فربما كان مصطلح المنطقة الإشعاعية أكثر تعبيراً من منطقة العاصمة ، وذلك فى ضوء وجود مناطق ميتروبوليتان ليست عواصم .

(١) عاطف غيث ، علم الاجتماع الحضرى ، مدخل نظرى ، دار الكتب الجامعية ١٩٧٢ ، ص ١١٣ - ١١٤ .

(2) Ganz, Herbert, Urbanism and Suburbanism as ways of life, in panl, op.Cvit. pp. 114-115 .

من كل ما سبق يتضح إلى أى مدى تباينت وجهات النظر ، وتعددت الآراء حول تعريف المدينة تعريفاً علمياً محدداً ، رغم سهولة إدراك المدينة ، والواقع الحضرى ، الأمر الذى يدفعنا لمحاولة استخلاص تعريف معين ، يأخذ فى الاعتبار التطورات التاريخية ، والأبعاد المتعددة لهذا النمط من التجمعات الإنسانية ، وما يمكن أن يفرضة هذا التعريف من منظورات، ومداخل لعملية التخطيط الحضرى، باعتبارها محور تركيزنا فى هذه الدراسة . ومن الممكن عرض هذا التعريف على النحو التالى :-

"المدينة عبارة عن نسق اجتماعى مغلق نسبياً ، يتضمن أبعاداً أيكولوجية ، وتاريخية وجغرافية ، وقانونية ، وإدارية وسياسية ، واقتصادية ، وهندسية معمارية متميزة . وينطوى على درجة أكبر من التنظيم الاجتماعى ، ودرجة أكثر كثافة من الاتصالات الداخلية والخارجية فى الوقت الذى يكون فيه هذا النسق منطلقاً لحركات التغيير الاجتماعى ، والتقدم العلمى ، والحضارى إذا قورن بأنساق اجتماعية أخرى ، كل هذا فضلاً عن كون المدينة مجتمعاً محلياً يتضمن طريقة متميزة فى العمل والحياة" .

ولعل هذا التعريف ينطوى على جوانب هامة ومؤثرة عند محاولة التخطيط الاجتماعى للمجتمع الحضرى ، فهو يتضمن إشارة إلى

أهمية النظر للمدينة على أساس مدخل شامل متعدد الأبعاد ، وأنها نسق متعدد الوظائف ، خاصة فى بلدان العالم الثالث ، الأمر الذى يوضح أن الاهتمام بجانب دون آخر فى عملية التخطيط الحضرى ليس له ما يبرره من ناحية ، فضلاً عن أنه قد يؤدى إلى قصور واضح فى البحث والتشخيص .

إن ما يعنينا هنا هو أنه أصبح هناك تقسيم لمراحل التحضر إلى مرحلتين كبريين الأولى تعرف بمرحلة ما قبل الصناعة Preindustrial والأخرى هى المرحلة الصناعية industrial ، وعلى ذلك فهناك مدن ما قبل الصناعة ، والمدن الصناعية ، أو الحديثة ذلك أن النمو الحديث أصبح الى حد كبير مرتبطاً بنمو وتطور حركة التصنيع ، سواء كانت المدينة فى حد ذاتها صناعية ، أو غير صناعية ، فإنها تتأثر بالضرورة وبدرجة أو أخرى بعملية التصنيع . وما تتيحه من عناصر ، وخدمات ، وتيسيرات حضرية ، وسوف يشمل حديثنا فيما بعد هاتين المرحلتين بهدف الإشارة إلى طبيعة المدينة ، أو التحضر فى كل منهما.

أولاً : مدينة ما قبل الصناعة *Pre-industrial City*

عرف العالم القديم مدناً كثيرة ظهرت فى الامبراطوريات الشرقية فى الهند والصين ، وعلى مقربة من البحر الأبيض ، والبحر

الأحمر ، والخليج الفارسى ، وعلى نهر النيـل . ومنهـا مـا كـان كبـير الحجم ، وعلى درجة كبيرة من التنظيـم والجمـال . ورغـم أنـه ليسـت هناك معلومات دقيقة عن أحجام هذه المدن إلا أن هناك مؤشرات علـى أن النمو السكانى فيها كان متوازناً ، بمعنى أن معدلات المواليد كـانت تتعادل مع معدلات الوفيات ، حيث لم تكـن القواعـد الصحيـة متبعـة فى الكثير منها كذلك اعتمـد النمـو فـى هـذه المـدن علـى مـا يمكـن أن تحققه الزراعة من فائض يسمح بإعالة أعداد متزايدة من البشـر ، ومـن أمثلة هذه المدن روما Rome والاسكندرية ، وبيزنطـة (اسـطنبول الآن) وقد بلغ حجم السكان فى بعض هذه المدن بضعـة مئـات مـن الآلاف . فهذه بغداد عاصمة الخلافـة ، والامبراطوريـة الإسـلامية بلـغ حجمهـا حوالى ثلاثمائة ألف نسمة ، وقرطبة Cordoba حـوالى تسـعين ألفـاً ، والقسطنطينية التى تراوح حجمها ما بـين (١٦٠-٢٠٠) ألـف نسـمة ، وكانت من مفاخر الامبراطورية البيزنطية . وقد أثرت بعض العوامل فى نمو مدن ما قبل الصناعة . منها الاعتبارات الحربية ، وسهولة حمايـة المدن، ومنها وجود ظهير زراعى يمكن أن يمدها باحتياجاتها الغذائية، وملاءمة الموقع لنمـو حركـة التجـارة والتبـادل . وفـى بعـض الحـالات تدهور حجم المدن مثلما حدث فى أوربـا عـام ١٣٨٤ حينمـا حـل وبـاء الطاعون ، وأدى إلى تدهور حجم السكان حتى بلغ حوالى (٦٠٪) ممـا

كان عليه قبل هذا الطاعون [1] .

ومن المعتقد أن أقدم المدن قد وجد حوالى عام (٤٠٠٠) قبل الميلاد فيما يسمى الآن بالعراق . ومع أن المدن القديمة كانت صغيرة الحجم بمقياسنا الحالى إلا أنها كانت تختلف عن غيرها من التجمعات فى أمرين : الأول أنها كانت أكبر من حيث العدد الكلى للسكان ، والثانى أنها احتوت على أعداد كبيرة من السكان الذين لايعملون فى مهن زراعية ، أو ترتبط مباشرة بإنتاج الغذاء ، كذلك أفصح تاريخ هذه المدن عن أنها كانت أكثر تقدما من الناحية الثقافية ، وأنه لايمكن لأى مجتمع أن يتقدم فى الاتجاه الحضرى ، مالم يحقق العمال والمزارعون، منتجو الطعام مزيدا من الفائض فى الإنتاج وبشكل يفى بحاجات من لايعلمون فى الزراعة . والحديث عن مدن ما قبل الصناعة يكاد يرتبط بالحديث عن مدن أفريقيا ، وآسيا ، وأمريكا اللاتينية ، وبالتالى بالحديث عن مدن المنطقة التى تهتم بها الدراسة التى نقدم لها الآن . ذلك أن هذه البلدان حديثة عهد بالتصنيع ، ومع ذلك أشارت دراسات عديدة إلى أن هناك سمات مشتركة بين مدن ما قبل الصناعة

---

(1) Cook, Robert., C., The World's Great. Cities. evelution or devolution, in : Baali & Vandiver, Urban Sociology, Contemporary Readings, (ed.) Appelton Century Crofts, New York, 1970, pp. 5-6.

– رغم وجود تنوع بما بينها – ومن أهم سمات مدن ما قبل الصناعة ما يلى :

١- من حيث الحجم ، فهى أكبر حجماً إذا قورنت بالمجتمعات القروية فى ذات المجتمع ، وفى نفس الفترة الزمنية .

٢- تتسم بالاستقرار النسبى ، فسكانها لايميلون إلى التنقل المستمر .

٣- المنازل فيها متجاورة ولاتفصل بينها مسافات شاسعة .

٤- كثافة السكان فيها عالية إذا ما قورنت بكثافة السكان فى القرى .

٥- لم تكن مدن ما قبل الصناعة مخططة بشكل هندسى جيد ، فضلاً عن وجود سور أو خندق حولها يسهل الدفاع عنها .

٦-كان هناك تشابه بين مساكنها فى الشكل والارتفاع .

٧- اعتمدت على التبادل التجارى ، وكانت السوق مركزاً لها .

٨- كانت الصناعة فيها تتمثل فى الحرف اليدوية المنتشرة فى أحيائها دون نظام معين .

٩- لم تكن هذه المدن متجانسة مثل القرى ، بل كانت متغايرة ؛ ويقوم التمايز الطبقى فيها على المهن والحرف ، والدخل ، وانعكس هذا التمايز فى طراز المسكن بحيث يمثل الأغنياء منطقة الوسط ، ويسكن الفقراء الضواحى والأطراف .

١٠- كانت هذه المدن تشترك فى ظاهرة وجود العشش والأكواخ ،

بحيث لاتكاد تخلو منها إحدى هذه المدن [1] .

والى جانب الاهتمام بخصائص مدينة ما قبل الصناعة ، سواء الاجتماعية أو الفيزيقية ، أو الديموقراطية ، أو غيرها ، اهتم كثير من العلماء والدارسين بتحليل طبيعة الحياة الاجتماعية والتنظيمات القائمة فى مدينة ما قبل الصناعة . وأبعد من ذلك حاول هؤلاء اختبار مدى صدق القضايا النظرية الحديثة عن التحضر ، لعل ذلك يكشف عن فروق جوهرية بين التحضر التقليدى ، والتحضر الحديث . وقد قام جوبيرج S. Joberg بمحاولة من هذا القبيل فى كتابه "مدينة ما قبل الصناعة" (١٩٦٠) ، حيث درس إمكان تطبيق القضايا المتضمنة فى نظرية لويس ويرث L. Wirth عن التحضر والحياة الحضرية ، على مدينة ما قبل الصناعة ، ولعل من المفيد أن نستعرض هذه المحاولة بإيجاز .

١- قرر جوبيرج أن القضية الأولى من قضايا نظرية ويرث ، والمتعلقة بسيادة العلاقات الثانوية والضبط الرسمى ، لاتنطبق على مدينة ما قبل الصناعة ، فالروابط بين أفراد الطبقة الدنيا ممن يشتركون معاً فى السكنى ، والمهنة ، ولايتحركون كثيراً غالباً ما كانت قوية ،

---

(١) قيس النورى ، المجتمع بعد التصنيع ، عالم الفكر ، المجلد الرابع ، العدد الأول ، الكويت ، ١٩٧٣ ، ص ص ١٥٣ – ١٥٥ .

أما الضبط الاجتماعى الرسمى الذى اشار إليه ويرث ، فتمارسة الصفوة من الطبقة العليا التى تستمد سلطانها من العرف ، والمبادىء الأخلاقية المطلقة ، وليس من كفاءتها الشخصية ، أو من دعم سياسى تلقاه .

٢- أما القضية الثانية – وهى الخاصة بالعلاقات السطحية وغير الشخصية فقد تبين للباحث أن ما يسود مدينة ما قبل الصناعة من علاقات أبعد ما يكون عن هذه الخصائص ، بل على العكس من ذلك كانت العلاقات الوثيقة والشخصية هى السمة الواضحة ، والتجارة فيها كانت تعمل على دعم علاقات التجار وعملائهم .

٣- وفيما يتعلق بالقضية الثالثة ، وهى تؤكد على سمة التخصص ، أشار جوبيرج إلى أنه كان هناك نوع من التخصص فى مدينة ما قبل الصناعة مختلف عما يوجد فى المدينة الصناعية ، وقام هذا التخصص على أساس الإنتاج نفسه ، وليس تخصصاً داخل العملية الإنتاجية ، بمعنى أن الطائفة الحرفية كانت تحتكر إنتاج سلعة أو سلع معينة ، وكان التخصص قاصراً على درجة المهارة فى أداء العملية الإنتاجية ، والسن المطلوبة لهذه العملية ، فضلاً عن أن الإنتاج لم يكن ضخماً كما يقول ويرث نظراً للتأخر النسبى للتكنولوجيا .

٤- كذلك لم تؤكد الشواهد - ولم تعارض فى نفس الوقت - ما ذهب ويرث من وجود ارتباط بين زيادة التخصص ، وتقسيم العمل فى المدينة ، وبين نمو الصناعة واتساعها .

٥- كانت وسائل الاتصال محدودة النطاق فى مدينة ما قبل الصناعة على عكس ما ذكره ويرث . وكانت معظم الاتصالات تتم فى إطار الطائفة الحرفية ، أو الأسرة الممتدة فقط .

٦- ربط ويرث بين التخصص وزيادة الكثافة السكانية بمعنى أن التخصص والتباين أمران ضروريان لتواجه المدينة الأعداد المتزايدة فيها ، لكن جوبيرج يقول إن هذه العلاقة لم تكن واضحة فى مدينة ما قبل الصناعة .

٧- قرر ويرث وجود احتكاك فيزيقى شديد ، واحتكاك اجتماعى سطحى ، لكن على العكس من ذلك كانت مدينة ما قبل الصناعة تشهد اتصالات فيزيقية محدودة ، واتصالات اجتماعية وثيقة .

٨- كان استخدام الأرض فى مدينة ما قبل الصناعة يقوم على أسس دينية وسياسية وليس على أسس اقتصادية كما ذكر ويرث [1] .

---

(١) يجد القارىء عرضاً وافياً للقضايا النظرية ضد لويس ويرث والتعليق عليها فى كتاب : عاطف غيث ، علم الاجتماع الحضرى ، مدخل نظرى ، دار الكتب الجامعية ، ١٩٧٢ ، ص ٤-١٤ .

٩- يشير جوبيرج إلى أن الإنتاج فى مدينة ما قبل الصناعة لم يكن يقوم على المنافسة ، والاستغلال المتبادل كما ذكر ويرث عن المدينة الصناعية ، ذلك أن الطموح الشخصى كان محدوداً . ومن ناحية أخرى فإن الطائفة أو العائلة الممتدة كانت تشارك الفرد فى ثمار جهده وطموحه الشخصى [1] .

١٠- رغم وجود تقسيم دقيق للعمل فى مدينة ما قبل الصناعة إلا أن التمايزات الطبقية ظلت واضحة ، ودقيقة على عكس ما يشير ويرث من أن التفاعل يقلل حدة الفروق الطبقية فى المدينة الحديثة.

١١- يشير موريس Morris إلى أن عملية الانتماء لجماعات مختلفة ، وتعدد الولاءات وبالتالى صراع هذه الولاءات لدى الفرد فى المدينة الصناعية أو الحديثة ، هذه العملية لم تكن قائمة فى مدينة ما قبل الصناعة ، لأن الأسرة الممتدة كانت وحدة التنظيم الاجتماعى من ناحية ، وكان هناك تداخل بين الجماعات القرابية والمهنية ، والتعليمية التى ينتمى إليها الفرد حتى برغم الضعف النسبى لأواصر الأسرة الممتدة من ناحية أخرى .

١٢- كذلك أشار موريس إلى أن عملية تقنين السلع ، والخدمات لم

---

(1) S. Joberg, Godeon, The pre-inddustrial City in : Haat and Reiss, Cities and Society, Op. cit., P.P. 179-189 .

تكن موجودة أو معروفة بعد ، وأن تطور العلاقات النقدية أو المالية كان أقل وضوحاً ، ذلك لأن معظم السلع والخدمات فى مدينة ما قبل الصناعة كانت تقوم بها الجماعات القرابية [1] .

ولعل استعراضنا لهذه المحاولة يشير إلى أى حد اختلفت مدينة ما قبل الصناعة عن المدينة الصناعية الحديثة ، وذلك من وجهة النظر الاجتماعية ، وهى فى حد ذاتها محاولة مفيدة من حيث أنها تشير إلى إمكان اختلاف التراث الحضرى فى الشرق الأوسط عنه فى الغرب الصناعى من ناحية ، كما تشير إلى أن أى دراسة علمية للتحضر وسماته فى هذه المنطقة لابد أن تتبع جذوره البعيدة والتى ربما تؤدى دوراً فى توجيه النمو الحضرى الحديث فيها .

ونحن إذا ما أضفنا الخصائص التى أوردناها من قبل ، إلى تلك المحاولة التى كانت تهدف إلى اختبار مدى كفاءة نظرية لويس ويرث فى تقديم تفسيرات كافية لأوضاع التحضر فى مدينة ما قبل الصناعة ، وبنفس الدرجة ، ولكن هناك بطبيعة الحال تفاوت بينها وفقاً لتباين أوضاعها التاريخية ، والثقافية ، والأيكولوجية ، والسياسية ، إلا أنه يبقى مع ذلك أن هناك مجموعة من الخصائص العامة ، التى تسمح بحدود معينة من التباين فى التفاصيل .

---

(1) Morries R. F. Urban Sociology, F. A. Praeger, New York 1968, pp. 37-53.

ثانياً : المدينة الصناعية أو الحديثة : Industrial city

كما سبق أن أشرنا فإن الجزء الثانى من التقسيم التاريخى لتطور المدن يتمثل فى المدينـة الصناعيـة ، وقـد شـهدت تلـك المرحلـة تقدمـاً مذهـلاً فـى مجـال الاكتشـافات التكنولوجيـة ، والـذى أثـر فـى شـكل المدينة، ونمـط تخطيطهـا ، ووسـائل النقـل ، والاتصـالات ، والإعـلام فيها . وينبغى ألا نفهم هنا أن جميع المدن الحديثة هى مـدن صناعيـة بالضرورة ، بمعنى أنها تشتمل على عدد كبير من المصانع ، أو أن هذه المصانع تشكل أسـاس بنائهـا الاقتصادى ، ولكننـا نقصـد ذلـك النمـط الحضرى الذى ازدهر واتسع نطاقه فـى عصـر التصنيـع ، والـذى تـأثر بدرجة أو أخرى بنتائج الثورة الصناعية . فالمدينـة القديمـة – مثـلاً – تركزت فى بؤرة ضيقة حيث كـان النـاس يروحـون ويجيئـون إلى مقـار عملهم وسكانهم سيراً على الأقدام ، أو باستخدام وسائل نقل تقليدية ، ولكن اختراع السيارة التـى تعمـل بوسـائل الاحـتراق الداخلـى أدى إلى تحلل الحضرى من ضرورة السكنى بالقرب مـن مقـر عملـه ، بـل علـى العكس انطلق إلى خارج مركز المدينة طلباً للهدوء، والبعد عن الضوضاء، وعليه امتدت حدود المدينة إلى ماوراء أسـوارها أو حدودهـا التقليديـة . وقياساً على هذا المثال يمكن أن نجد مئات الأمثلة التى تدعم القول بأن التصنيع قد أثر تأثيراً جذرياً فى نمو المدينة ونمطها الأيكولوجى .

ورغم أن هناك مدناً ليست صناعية بالدرجة الأولى ، أى أنها تنتمى إلى عصر الصناعة أو إلى المرحلة الصناعية ، على سبيل المثال المدن الترويحية ، والمدن العسكرية وغيرها من المدن التى ليست صناعية فى حد ذاتها ، ونحن نقبل هذا التقسيم على أنه يميز مرحلة تاريخية عن مرحلة أخرى . ومع أن هناك من يذهب إلى وجود مرحلة ثالثة هى مرحلة ما بعد التصنيع post - industria خاصة فى الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفكرية ، إلا أننا نرى أن الفواصل هنا ليست دقيقة ، والحدود ليست صارمة . وبناء على ذلك فإنه تجدر الإشارة إلى ما ذكره موريس من أن محاولة إقامة قنطرة – تحليلية – تصل بين عصر ما قبل الصناعة ، وعصر الصناعة ، يقتضى أن ننظر من البداية فى الشروط الضرورية اللازمة لقيام الصناعة ومن أهمها :

أ- العمل على تنظيم الإنتاج على نطاق واسع ، ليصبح إنتاجاً وفيراً ، وذلك باستخدام القوى الآلية الطبيعية ، واستخدام موارد التعدين ، بالإضافة إلى تطبيق المعرفة التكنولوجية على أوسع نطاق .

ب- تطوير ما أسماه بسوق الائتمان ، فتكاليف الأدوات ، والمعدات اللازمة للتصنيع باهظة من ناحية ولاتؤتى ثمارها على وجه السرعة من ناحية أخرى . وعلى هذا يمكن القول أن الاقتراض ، والائتمان،

كذلك الادخار والاستثمار ، تعتبر عوامل ضرورية ، خاصة فى الحالات التى يعانى فيها أصحاب المشروعات من قصور فى رأس المال لايسمح لهم بالقيام بهذه المشروعات وحدهم ، أو اعتماداً على مواردهم الخاصة .

جـ- كما يتطلب التصنيع تطوير المعايير التى تشجع الحرية ، والمغامرة ، والتجريب ، وهذه المعايير تتضمن الرغبة فى معرفة الجديد من الأفكار ، والمهارات ، وروح المغامرة التى تنطوى عليها عملية التخصص فى عمل ماهر واحد ، أو إنتاج بعينه . أو العمل من خلال تنظيم يتسم بطابع العلاقات غير الشخصية ، والرغبة فى التنقل من عمل أو مهنة لأخرى بحثاً عن مميزات اقتصادية . هذه كلها تشكل أنماطاً معينة من السلوك الذى يشجعه المجتمع الصناعى ، وتساعد على التوافق مع طبيعته .

د- يتطلب التصنيع تهيئة المجتمع لنسق جديد من التبادل التجارى يقوم على التسويق غير الشخصى للسلع والخدمات ، وكذلك تحديد الأجور والأرباح على أساس نقدى بحت ، بمعنى أنه لاتتداخل فيه العناصر الشخصية ، أو العاطفية [1] .

ويضيف رايسمان Reisman إلى هذه الشروط أن التصنيع

(1) Morris, R. E. Ibid, pp. 55-59 .

يتطلب إحلال الأيديولوجية القومية محل الأيديولوجية القبلية ، أو المحلية ، وترتبط هذه الأيديولوجية بمجموعة من القيم مثل الحكم على الأفراد فى ضوء الأدوار التى يقومون بها ، بغض النظر عن مراكزهم الاجتماعية ، أو مراكز آبائهم ، أو ملامحهم الجسمانية أو لونهم ، وكذلك التعامل مع الجميع بأسلوب واحد . والحرص على أن تكون علاقات العمل قائمة على أن تكون المسئولية مسئولية الفرد ذاته ، وليست مسئولية القبيلة ، أو العائلة ، أو الجماعات الأخرى التى ينتمى إليها [1] .

وقد لايستطيع كاتب أو دارس أن يتناول المدينة الحديثة دون إشارة إلى مدرسة شيكاغو فى الولايات المتحدة الأمريكية ، لما لهذه الدرسة من آثار بعيدة فى تطوير الدراسات الحضرية ، وقيام علم الاجتماع الحضرى . ولقد كان من أهم روادها روبرت بارك R. Park وقد كانت أهم أفكارهم الرئيسية تدور حول الإجابة عن سؤالين أساسيين :

الأول : ماهى القوى غير الاقتصادية التى تعمل على خلق ثقافة المدينة؟

والثانى : ماهى إمكانيات الاختيار الحر ، والتجديد فى ثقافة المدينة؟

---

(1) Ibid, pp. 60-61 .

لكن هذه المدرسة اكتسبت طابعها العلمى بعد الحروب العالمية الأولى ، حيث استطاع بارك أن يوجه نظر ويرث وبيرجس نحو الاهتمام بدراسة ثقافة المدينة [1] .

وليس معنى ذلك أنه لم تكن هناك كتابات أو دراسات تهتم بالمدينة، أو المجتمع الحضرى الحديث قبل إسهامات مدرسة شيكاغو، ولكن سبقتها كتابات ومؤلفات أخرى ، لعل من أهمها كتاب "المدينة" الذى كتبه ماكس فيبر Max Weber والذى عالج الجذور التاريخية للمدينة ، والتطورات التى طرأت عليها ، ووظائفها ، وآثارها على الحياة الإنسانية . ولكن المهم أن دراسات مدرسة شيكاغو خاصة دراسات بارك وويرث كانت ذات أهمية من حيث اثارتها لعدد كبير من التساؤلات حول الحياة الحضرية ، وحياة المدينة . ومع ذلك فقد شابها قصور علمى مؤكد ، يتمثل فى أن علماء هذه المدرسة نظروا إلى المدينة الأمريكية على أنها نموذج للمدينة فى أى مكان من العالم ، ومحك للدراسة العلمية للمجتمع الحضرى . وقد مثل هذا التصور قيداً كبيراً على نمو الاتجاه المقارن فى علم الاجتماع الحضرى من ناحية وقصوراً فى نمو النظرية الحضرية ذاتها من ناحية أخرى . ولقد أدرك

---

(١) عاطف غيث ، علم الاجتماع الحضرى : مدخل نظرى، دار الكتب الجامعية، الاسكندرية ١٩٧٢ ، ص ٣٦-٣٧ .

علماء المدرسة الأمريكية أنفسهم أهمية الحاجة إلى دراسات مقارنة – على نطاق أوسع من أجل سد هذه الثغرات [1] .

على كل حال شهدت مرحلة النمو الصناعى ، توسعاً كبيراً فى نطاق المدن القائمة من ناحية ، وظهور مدن جديدة من ناحية أخرى . وقد صاحب ذلك تزايد فى معدلات الهجرة الريفية الحضرية التى كانت أكثر وضوحاً فى مدن العالم الثالث ، وقد تزايدت هذه الهجرة فى ضوء تخلف الريف فى هذه البلدان وافتقاره إلى كثير من الخدمات الأساسية ، الأمر الذى جعل الحياة فيه ضرباً من ضروب المعاناة ، خاصة وقد أدرك سكان الريف ما تقدم المدينة من تيسيرات وخدمات من ناحية ، وما ينتظرهم فيها من آمال وطموحات اقتصادية تتفوق على ما يحققونه فى الريف .

وقد ترتب على النمو الحضرى – على هذا النحو – مشكلات وظهرت قضايا تستحق البحث والدراسة لم تكن قائمة فى مدينة ما قبل الصناعة سواء فى ذلك المشكلات الفيزيقية – كالطرق ، ووسائل النقل والإسكان ، والفضاء ، والمرافق – والترويح . كل هذا وغيره من القضايا السياسية ، والاقتصادية والسيكولوجية ، أصبحت تجذب أنظار الباحثين بشكل أكثر من ذى قبل ، وغدت المدينة مجالاً خصباً

---

(١) المرجع السابق نفسه ، ص ص ١٠٦ – ١٠٩ .

للبحث والدراسة فى كل أنحاء العالم .

ومع استمرار هذا النمو ظهرت "الميتروبوليس" Metropolis ، وذهب بعض علماء المدينة إلى أنه إذا كانت المدينة الحديثة ظاهرة القرن التاسع عشر ، فإن الميتروبوليس تعتبر ظاهرة القرن العشرين ، وبالتالى فإن فهم طبيعة التحضر فى مراحلة الحديثة يقتضى فهم طبيعة الحياة فى الميتروبوليس (1) .

ولم يتوقف النمو الحضرى عند مرحلة الميتروبوليس ، ولكنه تخطاها إلى مرحلة جديدة أطلق عليها العلماء الميجابوليس Megapolis وكان جين جوتمان Jean Gottman هو صاحب هذه التمسية ، وأطلقها على كل منطقة حضرية تتضمن عدداً كبيراً من المناطق الميتروبوليتان . وهناك مصطلح مرادف لذلك هو Conurbation ، ويطلق على كل منطقة حضرية تنشأ عن طريق

---

(1) تطلق كلمة الميتروبوليس على كل مركز حضرى يشتمل على ١٥٠,٠٠٠ نسمة أو أكثر بالإضافة إلى المناطق الحضرية الملاصقة لها ، والتى تتكامل مع هذا المركز، وفى نفس الوقت يمارس المركز الحضرى نوعاً من الهيمنة السياسية والاقتصادية ، والاجتماعية ، ويتفاعل مع المناطق المجاورة ، عبر شبكة من المواصلات ، والاتصالات والعلاقات : أنظر :

Hunt, Wlgin, 'Social Science: An Introduction to the Study of Society, The Macmillan Company, New York, 1955. p. 211.

اختلاط عدة مدن سابقة ، والتحامها معاً ، وللمدينة العظمى نماذج فى أوربا أكثر مما كان فى أمريكا ، حيث وجدت هذه النماذج فى كل من ألمانيا وهولندا Nertherland [1] .

هذا وقد ذهب لويس ممفورد فى مجال حديثة عن مراحل تطور المدينة ، إلى أن مرحلة الميجابوليس تمثل مرحلة بدء انحلال المدينة ، بل وسقوطها ، ذلك أن مؤشرات الضعف تأخذ فى الظهور فى هذه المرحلة ، ثم تتزايد ، فتسود الفردية المطلقة ، والتحكم الرأسمالى ، وينقسم المجتمع إلى فئات متنافسة ، ثم متصارعة ، ويحل الإنتاج الآلى محل الإنتاج الفنى الأصيل ويتفاقم الصراع بين العمال ، وطبقة الرأسماليين وينتشر الإضراب ، والتخريب والتمرد ، وفى المقابل تقوم الحكومات بأعمال القمع ، والتعذيب ، والتشريد ... وغير ذلك من ظواهر تدل على تفكك المدينة واتجاهها إلى الاضمحلال [2] .

ورغم الحديث عن هذه المرحلة، أى أن الاهتمام بالميتروبوليس

---

(١) مصطفى الخشاب ، الاجتماع الحضرى ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٦ ، ص ١٢٢-١٣٣ .

(2) Glaab Charles, N. & Brown, Theofore, The Emergence of Mertopolis, in Social scince and Urban Vrisis, Introductory Readings (ed.) by : Victor. B. Ficker and Herbert' S. Graves, Macmillan Publishing Co. N. Y. 1971, P. 21 .

لايزال يستحوذ على افكار العلماء ، والدارسين فى الحضر ، أكـثر مـن غيره . ويطلق البعض علـى الميـتروبوليس اسـم المدينـة الإشـعاعية ، أو المهيمنة . وقد ذكر جراس Gras أن مفهوم هيمنـة الميـتروبوليس يشـير إلى ما تمارسه من سيطرة على المناطق المجـاورة الواسـعة ، وتمتـد هـذه السيطرة أو الهيمنة إلى النواحى السياسية، والاقتصادية ، والاجتماعية. ولقد تأثرت الدراسات اللاحقة بهذا التصور إلى حد كبير ، وامتد ليشير إلى عملية التأثـير ، والتـأثر ، والاعتمـاد المتبـادل بـين الميـتروبوليس ، والمناطق المحيطة بها [1] .

ثالثاً : التحضر فى مرحلة ما بعد الصناعـة :Post-industrial Urbanization

لم يدع عصر التحضر الحالى فرصة للعلوم الاجتماعية لملاحقتـه، فقد أصبح التطور الذى يحدث من السرعة بحيث يثـير مـن القضايـا ، ويولد من المشكلات ما يجعل دراسته أمراً ملحاً . فنظرة سـريعة توضـح أن (٢٢) مليون نسمة عاشوا عـام ١٨٠٠ فـى مـدن حجمهـا (٢٠,٠٠٠) ألف نسمة ، بينما فى عام ١٩٥٠ عاش نصف بليون فى مدن مـن هـذا الحجم ، وشكلوا خمس سكان العالم بأسـره . وفـى عـام ١٩٧٠ ارتفـع هذا العدد إلى (٨٠٠) مليون نسمة وشـكلوا ربـع سـكان العـالم تقريبـاً .

---

(1) Ibid, p. 23 .

وتشير التقديرات السكانية إلى أنه فى عام ٢٠٠٠ سيعيش واحد من كل ثلاثة أفراد فى مدينة لايقل حجمها عن عشرين ألف نسمة . وفى نفس الوقت سوف تستمر الدول المتحضرة الآن فى تحقيق معدل تحضر أعلى، كما ستقفز معدلات الإقامة فى دول العالم الثالث وغيرها بشكل ملحوظ [1] .

ولم يتوقف الأمر عند هذه المقارنة الإحصائية ، والتوقعات الديموجرافية ، بل إنه على الجانب الاجتماعى نجد أن الحضرية كطريقة للحياة قد أخذت تتزايد وتمتد إلى مناطق ربما ليست صناعية ، ولكنها تتضمن تنظيماً اجتماعياً متميزاً ، وثقافة مختلفة عن الثقافة السابقة ، فضلاً عن الاختلافات فى الشخصية ، والسلوك ، ونمط التفكير ، والعلاقات ، والإنتاج ، والاستهلاك وغيرها .

وفى ضوء هذا الوضع الجديد أصبح يحلو لبعض العلماء والدارسين أن يقسم البلدان المتقدمة ذاتها إلى قسمين : قسم يسوده التحضر الصناعى Industrial والآخر هو الذى يسوده تحضر إلى ما بعد الصناعة Post-industrial ، وقد اجتهد هؤلاء فى قياس بعض السمات المرتبطة بكل قسم من هذين القسمين ، سواء فى مجال البنية

---

(1) U. N., Bureau of social affairs, Report on the world Social situation, N, Y., 1957, P. 114 .

الأساسية ، أو الخصائص الاجتماعية ، وعلى سبيل المثال يذهب أنصار هذا الرأى إلى أن الدول الصناعية تعتمد فى مجال الطاقة على الفحم والغاز الطبيعى ، والنفط ، أما دول ما بعد الصناعة فتعتمد على الطاقة المستخرجة من هذه المواد مضافاً إليها السولار . ومن ناحية أخرى نجد أن الصناعة فى الأولى أقل كفاءة فى المجال التنظيمى من الثانية ، ومن ناحية ثالثة يلعب التخطيط والتعاون دوراً كبيراً فى مجتمعات ما بعد الصناعة . وأخيراً فإن النمط الثانى يعتمد على الأفراد باعتبارهم منتجين ، ومستهلكين ، أكثر مما يفعل المجتمع الصناعى ، فطالما أن الثانية قد بلغت شأنا كبيراً فى التحضر ، فإنه يترتب على ذلك تزايداً كبيراً فى رغبات الفراد ومتطلباتهم، وآمالهم، وطموحاتهم، وهذا بدوره يخلق ضغوطاً جديدة على الإنتاج الذى يعمل على دعم طاقاته للوفاء بهذه الحاجات [1] .

ويستمر أنصار هذا الاتجاه قائلين أنه لكى نتبين هذه الفوارق بين المجتمع الحضرى الصناعى . والمجتمع الحضرى لما بعد التصنيع فإنه من الواجب القاء الضوء على ثلاث خصائص أساسية هى :

أ- النمو الاقتصادى غير العادى .

---

(1) Cousine, N. Albert & Nagpaul, Hans, Urban Life, The seciology of Cities and Urban Seciety, John Wiley & Sons, New York, 1979, pp. 5-11 .

ب- التنظيم الرشيد .

جـ- التطلع والحراك ، وإن محاولة فحص هذه الجوانب على مستوى المجتمع والفرد ، سوف تتيح الفرصة للتفرقة بين هذين النمطين.

ففى الخاصية الأولى والتى تتوافر فى بريطانيا ، والمانيا الغربية، وهولندا ، وبلجيكا ، والدانمارك ، وفرنسا ، واليابان ، واستراليا ، ونيوزلنده ، والولايات المتحدة، فى هذه البلدان نجد شبكة إنتاج هائلة، وشبكة نقل واتصالات على درجة عالية من الكفاءة ، إلى جانب وسائل الإنتاج ، سواء فى الزراعة أو الصناعة ، وهذا كله يحقق مستوى حضرياً مرتفعاً ، ويحقق ثروة كبيرة للدولة والأفراد ، وبالتالى يتسع نطاق الاستهلاك ، وتتدعم فعالية الإنتاج لمواكبته [1] .

أما الخاصية الثانية ، فتتضمن إلى جانب القدرة الانتاجية ، مقدرة على التنسيق الإدارى بين مختلف الفروع والتخصصات . وإذا كان مفهوم "القوة Power يعنى المقدرة على حكم الآخرين ، فإن هذا المفهوم قد طبق فى المدن الحديثة بواسطة هيئات تتخذ القرار ، وتعمل من خلال إطار بيروقراطى رشيد ، وغير شخصى . وهنا نجد أن الدول التى فى مرحلة تحضر ما بعد التصنيع تتبنى سياسات للعمالة الكاملة، والإسكان الجيد للجميع، وتوفير سلع الرفاهية ، والخدمات الإضافية.

---

(1) Ibid, P. 12 .

وهذا الانجاز كفيل بأن يحقق شرعية هذه القوة فى المجتمع ، بل أكثر من ذلك يجمع ما بين الصفوة والجماهير فى مركب واحد دون تناقض[1] .

وأخيراً فإن الخاصية الثالثة تتضمن أن هذه المدن تمنح الفرصة لدرجة كبيرة من الحراك المهنى للأفراد ، كما تتيح الفرصة للتجديد الاقتصادى ، فيحدث مثلاً أن يقع تغير يؤثر على الجماعات المهنية بأسرها ، مثل انتشار الميكنة فى معظم الصناعات ، الأمر الذى يؤثر على الفرص المتاحة من ناحية ، كما يؤثر على أوضاع القوة ، والمكانة . ثم أنه لما كانت المنافسة الفردية تتدعم فى المجتمع الحضرى ، فإن الحقوق الفردية مثل الحرية ، والرغبة فى تحقيق مزيد من الإنجاز ، والنجاح والتعليم ، والتسلية ، والأمن ، والمساواة ، واتخاذ القرارات بأسلوب ديمقراطى ، كل هذه تصبح موضع تقديس فى المجتمع الحضرى المتقدم .

ومهما يكن من أمر الجدل حول التفرقة ، أو قسمة المجتمع الحضرى الصناعى إلى قسمين ، فإننا لانرى فروقاً حاسمة تستطيع عندها أن نحدد انتهاء مرحلة التحضر الصناعى ، وبداية مرحلة التحضر (بعد الصناعى) . وربما كانت الآراء التى ذهبت هذا المذهب

---

(1) Ibid, P. 14 .

تود أن تجعل التحضر فى العصر الحديث متساوياً فى كل بلدان العالم، بحيث تستوى مدينة لندن ، أو واشنطن أو نيويورك من حيث النمو الاقتصادى ، والتنظيم الرشيد ، والتقدم الشخصى والاجتماعى ، مع مدن آسيا ، وأفريقيا ، وأمريكا اللاتينية .

لعلنا نتفهم الفروق بين مدن العالم المتقدم ، ومدن العالم النامى ولكن على أيه حال فإن الغالبية العظمى من السمات الحضرية ، أو على الأقل متطلبات التحضر توجد بدرجة أو أخرى فى مدن كل من هذين العالمين , ومن ناحية أخرى فإن تحضر الكثير من بلدان العالم الثالث لايزال حديثاً ، وربما لو أتيحت له الفرصة فى ظل التخطيط الصحيح على ما يقول بوسكوف Boskoff ، فإنه يحقق مستويات تقدمية وملائمة .

ثم إن هذه التفرقة ، وما تبعها من تعليق تقودنا إلى الحديث عن التحضر فى العالم الثالث ، من حيث خصائصة الفريدة ، والمختلفة عن التحضر الغربى وهذا هو موضوع الفصل التالى .

الفصل الثاني

مدخل لدراسة التحضر

تمهيد :

يميل بعض العلماء ، والمفكرين إلى وصف القرن العشرين بأنه عصر التحضر ، وهو قول ينطوى على قدر كبير من الصدق ، فعلى الرغم من أن الدول الصناعية الغربية قد شهدت تحضراً عالياً مع مطلع القرن التاسع عشر ، إلا أن هذا التحضر قد تعاظم خلال القرن العشرين ، ثم واصل تعاظمه بعد الحرب العالمية الثانية حينما حصلت معظم الدول النامية على استقلالها السياسى ، وبدأت تشهد انفجاراً حضرياً [1] .

وتدل الإحصاءات العالمية المتعددة على تمركز السكان فى المناطق الحضرية ، دون الريفية ، التى أخذ نطاقها يضيق شيئاً فشيئاً، حتى أنه يمكن القول أنه من الجائز أن يندثر الريف بسماته الخاصة وتصبح الحياة كلها فى المستقبل حياة حضرية [2] ، فلقد تنبأ "كنجزلى دافيز" Kingsley Davis بأن كل سكان العالم فى عام (٢٠٣١) سوف يعيشون فى مناطق حضرية ، إذا استمر معدل النمو الحضرى بنفس المعدل الذى كان عليه بين عامى (١٩٥٠ ، ١٩٧٠) [3] .

---

(١) السيد الحسينى ، المدينة : دراسة فى علم الجتماع الحضرى ، دار المعارف، القاهرة، ط٢ ، ١٩٨١ ، ص ٢٥ .

(٢) محمد عاطف غيث ، السيد عبد العاطى السيد ، المجتمع الحضرى ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٨٦ ، ص ١٥٤ .

(٣) محمد أحمد غنيم ، المدينة : دراسة فى الأنثروبولوجيا الحضرية ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٨٧ ، ص ٣٢

ويتضمن الفصل الراهن تحليلاً لواقع الحياة فى المجتمع الحضرى من خلال العناصر التالية :

أولاً : تعريف التحضر ، والمفهومات المتصلة به .

ثانياً : الخصائص العامة للمجتمع الحضرى .

ثالثاً : التحضر فى العالم الثالث .

رابعاً : مشكلات المجتمع الحضرى .

خامساً : التحضر فى جمهورية مصر العربية .

أولاً : مفهوم التحضر ، والمفهومات المتصلة به :-

يواجه أى دارس لظاهرة التحضر بتعريفات عديدة لمفهوم التحضر حيث يزخر التراث السوسيولوجى باختلاف وجهات النظر حول التحديد الدقيق لهذه الظاهرة ، حتى أنه قد استخدمت بعض المصطلحات التى تمثل اشتقاقات لغوية من اللفظ الحضرى ، مثل التحضر ، والحضرية ، الأمر الذى يتطلب تحديدهما ، وتحديد علاقتهما بالمدينة .

أ- مفهوم التحضر :- Urbanization

ورد فى لسان العرب المحيط أن لفظ حضر من الحضور ، نقيض المغيب ، والحضر خلاف البدو ، ويشتق من الحضر "الحاضر" أى المقيم سواء فى المدن ، أو القرى فى مقابل "البادى" أى المقيم فى البادية [1].

أما عن مفهوم الحضرى فى اللغة الانجليزية ، فقد كان من النادر استخدام كلمة Urban فيما قبل القرن التاسع عشر ، ولقد تضمن قاموس أوكسفورد المختصر تعريفاً لها بأنها كل ما يتصل بالمدن

(١) محمود الكردى ، التحضر : دراسة اجتماعية ، الكتاب الأول ، دار المعارف، القاهرة ، ١٩٨٦ ، ص ٣٠ .

أو حياة المدينة ، وهى مشتقة من الكلمة اللاتينية Urbs وهى اصطلاح كان الرومان يستخدمونه للدلالة على المدينة ، وبخاصة مدينة روما [١] .

وورد فى دائرة المعارف البريطانية أن التحضر يشير إلى العملية التى يتركز خلالها السكان فى المدن أو المناطق الحضرية ، وتتم هذه العملية بطريقتين مختلفتين هما [٢] :-

(١) من خلال زيادة عدد المدن أو المناطق الحضرية .

(٢) من خلال زيادة حجم السكان المقيمين فى المناطق الحضرية .

كما يعرف التحضر ، بصفة عامة ، على أنه عملية اعادة توزيع السكان نتيجة التحول الكلى للمجتمع من الأنشطة الأولية إلى الأنشطة الثانوية ، وما يترتب على هذا التحول من آثار اجتماعية واقتصادية وثقافية [٣] .

ويرى "كنجزلى دافيز" أن مفهوم التحضر يشير إلى ارتفاع نسبة

---

(١) عبد المنعم محمد بدر ، مقدمة فى علم الاجتماع الحضرى ، دار السعيد للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٩٢ ، ص ٣١ .

(2) Urbanization , In : The New Encyclopedia Britannica, Vol. 18 , William Benton Publisher, Chicago, 1973, P. 1073 .

(٣) غريب سيد أحمد ، علم الاجتماع الريفى ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٨٥ ، ص ١٧٤ .

السكان التى تتركز فى منطقة سكنية صغيرة نسبياً [1] .

كما يعرف التحضر على أنه عملية تزايد نسبة السكان فى المناطق الحضرية [2] . إلا أن "إرك لمبارد" E. Lembard يذهب إلى أن التحضر هو أكثر من كونه عملية استقبال لمجموعة من الأفراد يأتون من القرية إلى المدينة ، أو التحول من العمل الزراعى إلى العمل الصناعى ، والتجارى ، ولكنه يتضمن تغييرات أساسية تشمل تفكير الناس وسلوكهم ، وقيمهم الاجتماعية [3] .

فالتحضر يتمثل فى انتشار السلوك ، وأساليب التفكير الحضرية ، وهذا التعريف شائع فى تراث علم الاجتماع الريفى ، وذلك أن ظهور بعض الممارسات الثقافية المرتبطة عادة بالمدينة فى المنطقة الريفية معناه أن هناك شواهد تدل على أن السكان الريفيين يشهدون عملية تحضر [4].

---

(1) Philips, Bernard, Sociology (From Concept to Practice), McGrow - Hill Book Company, New York, 1997, P. 361 .

(2) Krannich, Rechards, Urbnization and Urbanism, In : Hagedorn, Robert (Ed.), Soiology, Wm.C Brown Company Publishers, Iowa, 1983, P. 442 .

(٣) أحمد كمال ، كرم حبيب ، علم الاجتماع الحضرى ، دار الجيل للطباعة ، القاهرة ، ١٩٧٣ ، ص ٦٩ .

(٤) محمد عاطف غيث وآخرون ، المرجع فى مصطلحات العلوم الاجتماعية ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٨٥ ، ص ٤٩٩ .

ولقد أكدت الدراسات الامبريقية هذه العملية ، فلقد قدم "مان" Mann مثالاً على ذلك حين ذهب إلى تميز سكان احدى القرى الصغيرة فى "فورست رو" بطريقة الحياة الحضرية [1] .

فالتحضر إذن هو ضرب من التغير البنائى الذى يمتد إلى سائر قطاعات المجتمع ، فقد بدل التحول من المجتمع الزراعى إلى المجتمع الصناعى كل جوانب الحياة ، فتغيرت الوظيفة التقليدية للمارسات الأسرية ، والاقتصادية ، والتربوية ، والسياسية ، والدينية ، وتغيرت صور القيم ، والعلاقات ، واتخذت شكلاً جديداً يتوافق مع طبيعة النسق الحياتى الجديد فى المناطق الحضرية [2] .

ب- الحضرية : Urbanism

يشير مفهومالحضرية إلى حالة State ، أو كيفية Quality ، أو طريقة للحياة مميزة للمدينة ، أو المجتمع المحلى الحضرى [3]

---

(1) Saunder, Peter Social Theory and The Urban Question, Holmes & Meier Publishers, Inc., New York, 1981, P. 100 .

(٢) أحمد النكلاوى ، دراسة فى علم الاجتماع الحضرى ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٧٦ ، ص ١٤٧ .

(٣) السيد عبد العاطى السيد ، علم الاجتماع الحضرى ، جـ١ ، مدخل نظرى ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٨٥ ، ص ١١٤ .

وتعرف الحضرية بأنها نماذج الثقافة والتفاعل الاجتماعى الذى ينجم عن تركز عدد كبير من السكان فى مناطق محدودة نسبياً ، وتعكس الحضرية تنظيم المجتمع فى ضوء تقسيم العمل المعقد ، ومستويات التكنولوجيا المتفوقة ، والتنقل الاجتماعى السريع ، والاعتماد المتبادل بين أعضائه فى أداء الوظائف الاقتصادية ، والعلاقات الاجتماعية غير الشخصية [١] .

والحضرية هى مجموعة الاتجاهات ، والقيم ، والمعتقدات ، والسلوكيات التى يتميز بها السكان الحضريون [٢] .

كما يشير هذا المصطلح إلى الطابع المميز للمجتمع المحلى الحضرى ، والأسلوب الخاص الذى تتسم به طريقة الحياة فى المجتمع الحضرى والذى يعد من الأساسيات المميزة للمدينة [٣] .

ويذهب "مارشال جوردون" M. Gordon إلى أن الحضرية تشير إلى أنماط الحياة الاجتماعية التى ترتبط بالسكان الحضريين ،

---

(١) محمد عاطف غيث وآخرون ، المرجع فى مصطلحات العلوم الاجتماعية ، مرجع سابق ، ص ٤٩٨ .

(2) Krannich, Rechards, OP. cit, P. 546 .

(٣) عبد المنعم عبد الحى ، تمهيد فى علم الاجتماع الحضرى ، مكتبة فوزى الشيمى ، طنطا ، ١٩٩١ ، ص ٥ .

والتى تشمل التخصص الدقيق ، وتقسيم العمل ، والعلاقات الاجتماعية غير الشخصية ، وضعف العلاقـات القرابيـة ، والاتجـاه نحـو الروابـط الطوعيـة ، والعلمانيـة ، وقـوة الصـراع الاجتمـاعى ، وتعـاظم الأهميـة الاجتماعية لوسائل الإعلام [1] .

ويرى "كلايد ميشيل" Clyde Mitechell أن الحضرية تعنـى الزيادة السكانية ، والعلميات الاجتماعية ، فيتم التحـول مـن الزراعـة إلى الأعمال الأخرى التى نجدها فى المدن ، وما يترتب علـى ذلـك مـن تغير أنماط السلوك كنتيجة للمعيشة فى المدن [2] .

ويذهـب "لويـس ويـرث" إلى أن الحضريـة كطريقـة فـى الحيـاة يمكن تناولها امبريقياً من خلال ثلاثة منظورات متداخلة ومتساندة فيما بينها على النحو التالى [3] :-

أ – كبناء فيزيقى يتضمن أبعاداً سكانية ، وايكولوجية ، وتكنولوجية .

ب– كنسق من التنظيم الاجتماعى يتضمن بنـاءً اجتماعيـاً مميـزاً ، أو

---

(1) Gordon, Marshall. The Concise Oxford Dictionary of Sociology, Oxford University Press, Oxford, 1994 , P. 459 .

(٢) محمد أحمد غنيم ، مرجع سابق ، ص ٣٥ .

(3) Wirth, Louis, Uranism as a Way of Life, In : Press, Irwin & Smith, Estellie (Eds.) , Urban Place and Process, Macmillan Publishing Co, Inc., New York, 1990, P. 43 .

مجموعة من النظم ، ونمطاً محدداً من العلاقات الاجتماعية .-

جـ- كمجموعة من الاتجاهات ، والأفكار تشترك في تكوين نمط السلوك الجمعي، والخاضع لآليات خاصة من الضبط الاجتماعي.

جـ- المدينة : The City

إن كلمة "المدينة" فى اللغة العربية ، واللغات السامية الأخرى مشتقة من "دان" ، دان يدين الديان أى القاضى ، فهى مكان اقامة القاضى ، وفى هذا اشارة إلى وظيفة الحكم والإدارة ، وهى من أولى وظائف المدن فى التاريخ القديم [1] .

ويتفق كثير من الاجتماعيين على أن المدينة هى تجمعات سكانية كبيرة تعيش على قطعة أرض محدودة نسبياً ، ويضيف البعض إلى ذلك أن هذه الوحدة السكانية تمتاز باعتمادها على الصناعة والتجارة ، أو عليهما معاً ، كما تمتاز بالتخصص ، وتعقد النظام السياسى والاجتماعى [2] .

والمدينة فى نظر عالم الاجتماع عبارة عن مجموعة من

---

(١) محمد عاطف غيث ، غريب سيد أحمد ، علم الاجتماع الحضرى ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٨٩ ، ص ١٥٨ .

(٢) عواطف فيصل الإبيارى ، المدينة والتحضر ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٨٦ ، ص ص ١١ - ١٢ .

الممارسات، والسلوكيات ، والمشاعر ، والعادات التى تنمو جيلاً بعد جيل ، وتتبلور فى وحدة ثقافية متميزة ، كما أن البناء الاجتماعى الحضرى عبارة عن المحصلة النهائية لترابط أنساق العلاقات الاجتماعية ممثلة فى نظم أو أنساق فرعية كالنسق القرابى،والسياسى، والدينى ، والاقتصادى [1] .

والمدينة من الناحية السوسيولوجية البحتة عبارة عن فكرة مجردة ، ولكن العناصر التى تتكون منها مثل الإقامة ، والبناءات الداخلية ووسائل المواصلات ، عبارة عن موجودات مشخصة لها طبائع هيئة وحدة كلية ، ومع ذلك لايكون للمدينة وظيفة واحدة بل إن البحث قد أثبت أن لها عدة وظائف ولس معنى هذا أن وظائف المدينة توجد فى كل المدن بلا استثناء [2] .

وهناك من يرى أن المدينة هى نمط معيشى يتميز بوجود نشاط اقتصادى غير زراعى ، صناعى ، تجارى ، خدمات ، وغير ذلك – وباستقرار العلاقات الثانوية بين أبنائه ، وبسيادة الأنساق القيمية غير

---

(١) السيد عبد العاطى السيد ، الإيكولوجيا الاجتماعية ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٨٥ ، ص ص ٤٢١ – ٤٢٢ .

(٢) محمد عاطف غيث ، علم الاجتماع الحضرى (مدخل نظرى) ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٧٩ ، ص ١٢٦ .

التقليدية ، وزيادة الانفتاح على العالم الخارجي ، وبتركيز مجالات الخدمة والإدارة ، فضلاً عن الاتصال والتفاعل المستمر مع الأنماط المعيشية الأخرى [١] .

كما تعرف المدينة على أنها وحدة اجتماعية حضرية محدودة المساحة ، ومقسمة إدارياً ، ويقوم النشاط فيها على الصناعة والتجارة، وتقل فيها نسبة المشتغلين بالزراعة ، وتتنوع فيها الخدمات ، والوظائف ، والمؤسسات ، وتمتاز بكثافتها ، وسهولة مواصلاتها ، وتخطيط مرافقها ، ومبانيها وهندسة أراضيها ، وتتميز فيها الأوضاع والمراكز الاجتماعية بالطبقية [٢] .

ويعرف "بوج" Bogue المدينة بأنها منطقة ذات كثافة سكانية عالية تقوم على الصناعة والإدارة ، والتجارة ، بالإضافة إلى الخدمات الأخرى المتنوعة [٣] .

---

(١) محمود فهمي الكردى ، المدينة المصرية : مشكلاتها وظواهرها ، فى : محمد الجوهرى (اشراف) ، الكتاب السنوى لعلم الاجتماع ، العدد الرابع ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٣ ، ص ١٩ .

(٢) مصطفى الخشاب ، علم الاجتماع الحضرى ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٢ ، ١٩٨٣ ، ص ١١٢ .

(3) Zastraw, Charles, Social Problems : Issues and Solutions, 3 Rd. Ed., Nelson - Hall Publishers, Chicago, 1990, P. 540.

كما أن هناك من يرى أن المدن هى حقائق اجتماعية ذات أبعاد متعددة وقد تعرضت – على هذا الأساس – للوصف والتحليل من وجهات نظر مختلفة ككيان أخلاقى ، وكمنتجات للتاريخ الانسانى ، وكعلاقة بين الانسان وموطنه ، وكمجموعة من العلاقات الاقتصادية المتبادلة ، وكمراكز للضبط السياسى ، وكطراز متميز للوجود الانسانى (١)

وهناك تعريف للمدينة مؤداه أنها نسق اجتماعى مغلق نسبيا يتضمن أبعاداً إيكولوجية وتاريخية ، وجغرافية ، وقانونية ، وإدارية وسياسية ، واقتصادية ، وهندسية ، ومعمارية متميز وينطوى على درجة أكبر من التنظيم الاجتماعى ، ودرجة أكثر كثافة من الاتصالات الداخلية ، والخارجية فى الوقت الذى يكون فيه هذا النسق منطلقاً لحركات التغيير الاجتماعى الشامل ، ومركزاً للاحتكاك ، والتفاعل الثقافى ، والابداع التكنولوجى ، والتقدم العلمى ، والحضارى إذا قورن بأنساق اجتماعية أخرى كل هذا فضلاً عن كون المدينة مجتمعاً محليا يتضمن طريقة متميزة فى العمل والحياة (٢) .

---

(١) ابراهيم خليفة ، علم الاجتماع والمدينة ، المكتب الجامعى الحديث ، الرياض، ١٩٨٤ ، ص ٣٥ .

(٢) عبد الهادى محمد والى ، التخطيط الحضرى ، تحليل نظرى وملاحظات واقعية ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٨٣ ، ص ص ١٩ – ١٧

ويتميز هذا التعريف بشموله جميع الأبعاد التي يتضمنها تعريف المدينة: السياسية ، والقانونية، والادارية ، والاقتصادية، والجغرافية ، والايكولوجية ، والتاريخية ، والاجتماعية.

وإذا كانت هذه تعريفات التحضر ، والحضرية ، والمدينة فما هى العلاقة بين هذه الجوانب ؟

هنا نرى من يرفض الفصل بين المدينة ، والتحضر ، واعتبار كل منهما مبحثاً مستقلاً في الدراسة ، فلفظة المدينة مرادفة لكل من لفظتي التحضر ، والحضرية معاً ، بحيث يعد كل من التحضر والحضرية من جانب ، والمدينة من جانب آخر وجهان لعملة واحدة ، ومن ثم فدراسة المدينة هى دراسة للتحضر ، والمجتمع الحضرى هو المدينة [1] .

وفي مقابل ما سبق يمكن القول أن التحضر كما يرى "سعد الدين ابراهيم" هو مفهوم كمي يشير إلى تغير التوازن العددى بين الريف، والمدينة لصالح الأخيرة ، بينما تشير الحضرية إلى أسلوب حياة ، وعقلية ، وقيم ، ومعايير سلوكية مثل الانضباط ، وتقدير قيمة الوقت ، والمحافظة على النظام ، وتقبل التجديد، والرغبة في الانجاز [2].

---

(١) أحمد النكلاوى ، مرجع سابق ، ص ص ١٥١ -١٥٣ .

(٢) سعد الدين ابراهيم : المجتمع والدولة في الوطن ، مشروع استشراف مستقبل الوطن العربى، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت، ط١ ، ١٩٨٨، ص٢٣.

ويشير "بيرجل" Bergel إلى أن التحضر عملية ، والحضرية حالة ، أو وضع ، فالتحضر هو عملية تحول المناطق الريفية إلى حضرية، وعملية تمدن الريف، وعملية نمو وزيادة المدن ، أما الحضرية فهى الحالة الناتجة عن هذه العملية [(١)] .

والحضرية تعنى أسلوباً ، أو نمطاً للحياة ، والتحضر يعنى التركز السكانى ، والاختلاف بينهما كبير لأن الأسلوب ، أو النمط أمر يتعلق بالسوك اليومى فى حين أن التركز هو نتيجة قرار شخصى بالانتقال ، أو التحرك من منطقة لأخرى [(٢)] .

وإذا كانت المدينة هى الموضوع المشترك فى دراسة التحضر من قبل أولئك الذين قدموا اسهاماتهم فى ميدان علم الاجتماع الحضرى ، فإن ذلك يرجع بطبيعة الحال إلى التجسيد الملموس الذى تمثلة المدينة كشكل حضرى فى دراسات التحضر بعامة ، كما أن المدينة هى الاطار المكانى المحدد الذى يمكن تحديد زمن نشأته ، ولو بصورة تقريبية ، والعوامل التى كانت وراء هذه النشأة ، والظروف المحيطة بها فضلاً

(1) Bierstadt, Robert, The Social Order, 3Rd. Ed., McGraw - Hill Publishing Co., Bombay, 1970, P. 417 .

(٢) السيد حنفى عوض ، علم الاجتماع الحضرى ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٨٧ ، ص ١٦ .

عما يرتبط بذلك من مشكلات تحد من أدائها لوظائفها ، وكذلك فإن المدينة تمثل نمطاً معيشياً محدد الأنساق يختلف عن غيره من الأنماط، ويمارس تأثيراته على ساكنيه بشكل يمكن معه وصفهم بأنهم سكان حضريون ارتبطت ظروفهم بعوامل معينة دفعتهم للإقامة بها ، والاستقرار فيها ، واكتسبوا في مقابل ذلك سمات معينة نتيجة تميزهم من حيث المهنة ، والمدخل ، والثقافة ، وغير ذلك [1] .

---

(١) محمود الكردى : التحضر ، دراسة اجتماعية ، الكتاب الأول ، مرجع سابق، ص ٢٦ .

ثانياً : خصائص المجتمع الحضرى :-

تتميز الحضرية كطريقة فى الحياة ، وأسلوب فى التفكير بمجموعة من الخصائص أسهب المتخصصون فى علم الاجتماع الحضرى، علم الاجتماع الريفى فى توضيحها ، ويمكن أن أعرض لأهم هذا الخصائص على النحو التالى :-

أ- اللاتجانس :

تتميز المدن بعدم تجانس سكانها ، وتعتبر خاصية اللاتجانس المادى ، والمعنوى نتيجة حتمية لظاهرة التحضر ، فالكثافة السكانية العالية تزيد من المنافسات القائمة على الامكانيات المتاحة ، والمكانات، والامتيازات فتدفع إلى التحصص الدقيق ، وتقسيم العمل ، وتجذب سكان مناطق أخرى حضرية ، أو ريفية متباينة ، فتختلط الأجناس والثقافات [1] .

ويؤدى اللاتجانس إلى سلسلة من النتائج منها تطوير نسق معقد من التدرج الطبقى ، وزيادة معدلات الحراك الاجتماعى ، والاتجاه المتزايد نحو التفكير العقلانى وزيادة أهمية النقود كأساس للعلاقات

---

(١) عزيزة عبد الله العلى النعيم ، التنظيم الاجتماعى الحضرى فى حى الفيصلية، المعهد العربى لإنماء المدن ، السعودية ، ١٩٩١ ، ص ٤٨ .

الاجتماعية ، وقبول التغير ، وعدم الاستقرار [1] .

ب - الطابع الثانوى للعلاقات الاجتماعية :

يرى "لويس ويرث" أنه كلما نما حجم المدينة ، قل احتمال معرفة الفرد ببقية سكانها معرفة شخصية ، الأمر الذى يؤدى إلى تغيير طابع الحياة الاجتماعية ، ولأن عدد الأشخاص الذين يتصل بهم الفرد ، أو يعتمد عليهم فى المدينة كبير نسبياً فتتميز العلاقات الاجتماعية التى يكونها فى المدينة بأنها غير شخصية ، وسطحية ، ولها الطابع الانقسامى [2] .

فعلى المستوى الشخصى يلاحظ أن العلاقات بين الأفراد فى المناطق الحضرية تميل إلى أن تكون ثانوية ، وانقسامية ، ونفعية أكثر من كونها أولية ، وتكاملية ، وعاطفية ، على نحو ماهو سائد فى البناء الاجتماعى التقليدى ، ويترتب على ذلك أن الشخصية تميل إلى التحول من نمطها الجامد المستند إلى التراث الاجتماعى التقليدى لتصبح أكثر مرونة ، وتعد هذه المرونة مطلباً أساسياً للشخصية الحضرية ، ذلك لأنها تواجه ضرورة ممارسة الاختيار والتغلب على

---

(1) Spates, James L. & Macionis, JohnJ. The Sociology of Cities, St. Martin's Press, New York, 1982, P. 42 .

(٢) محمد أحمد غنيم ، مرجع سابق ، ص ٣٨٤ .

المشكلات الحضرية المختلفة ، أما على المستوى الاجتماعى فنجد أن التماسك فى المجتمع الحضرى يصبح علامة قوية على الاعتماد المتبادل الذى يخلقه التخصص ويدعمه تقسيم العمل ، على خلاف التماسك الموجود فى المجتمعات التقليدية والذى يعد نتاجاً للقهر الذى يمارسه العرف والتقاليد [1] .

جـ- الفردية :-

يميل سكان المجتمع الحضرى إلى الفردية ، والاعتماد على النفس ، ففى ظل الحياة الحضرية يتمتع الحضرى بحرية أكبر من تلك التى يتمتع بها الانسان فى ظل الحياة الريفية ، فتوجد لدى الحضرى العديد من البدائل التى عليه أن يختار من بينها، كما أنه أكثر تحرراً، وأقل ارتباطاً بمتطلبات أقاربه ، ولايعنى ذلك أنه يعمل بدون واجبات اجتماعية نحو أسرته ، وأصدقائه ، وإنما يعنى أن أسرته لاتمثله ، فالحضرى يدلى بصوته كفرد ، ويكون مسئولا مسئولية فردية كاملة عن أعماله ، فيكون حراً فى اختيار مهنته ، ومكانته فى عمله ، بالرغم من ضغوط الأسرة عليه ، كما يتمتع بحرية فى اختيار شريكه حياته ،

---

(١) كنجزلى دافيز ، هليدا هيرتز ، أنماط التحضر العالمى ، ترجمة وتعليق السيد محمد الحسينى ، فى : محمد الجوهرى وآخرون ، دراسات فى علم الاجتماع الريفى والحضرى ، دار الكتب الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٧٣ ، ص ١٠٧.

أو الحياة منفصلاً عن أسرته الممتدة [1] .

ونحن نرى أن الاتجاه نحو الفردية يـزداد فـى الوقـت الحـاضر فى الريف ، والمدينة على السـواء ، إلا أن حـدة الفرديـة تـتزايد فـى المجتمعات الحضرية عنها فى المجتمعـات الريفيـة ، فالمسـألة ليسـت اختلافاً فى النوع ، وإنما هى مسألة درجة .

د- التسامح (*):

لقد كان "ستوفر" Stouffer هو أول من أكد ارتباط الحضرية – مقاسة بحجم المجتمع – ارتباطاً مباشراً بالتسامح ، ولقد أكدت العديد من الأبحاث المعاصرة وجهـة نظر سـتوفر مثـل "ويلسـون" Wilson ، و"الستون" ، و "جيلين" Alston & Glenn ، وويلسـون فـى بحـث

(1) Anderson, Nels, The Urban Community : A World Perspective, Routledge & Kegan paul, London , 1961 , P.P. 15-16 .

(*) التسامح Tolerance هو الرغبة فى السـماح بالتعبـير عـن الأفكـار المختلفـة ، ومعاملة الآخرين وفقاً لمعايـير عامـة مسـتقلة عـن الاختلافـات القيميـة ، كمـا يعرف التسامح بصفة عامة على أنه الرغبة فى منح الحريات المدنية للأشخاص ذى الديانات ، والرؤى السياسية المختلفة .

ورد هذا التعريف فى :-

Wilson, Thomas C., Urbanism, Migration, and Tolerance : A Reassessment, American Sociological Review, Vol. 56, No. 2, February, 1991, P. 117 .

آخر عام ١٩٨٥ [١] .

إلا أنه توجد ملاحظتان على هذه العلاقة هما [٢] :-

١- اختلاف درجة التسامح من مدينة لأخرى .

٢- ومن المحتمل أن يكون التسامح فى المدينة ناتجاً عن عوامل أخرى غير الحياة الحضرية نفسها ، فلقد وجد علماء الاجتماع أن هناك علاقة بين الغنى والتعليم العالى من ناحية والتسامح من ناحية أخرى .

ولايعنى ارتباط التسامح بالمجتمع الحضرى ، أن المجتمع الحضرى مجتمع لامعيارى يفتقر إلى ضوابط السلوك ، وإنما يعنى أنه لايهتم ، ولايعنى إلا بتنظيم السلوك العام ، أما السلوك الخاص هو أمر يتسامح فيه ، طالما أنه لايتعارض مع الأنماط العامة للسلوك ، كما أنه يسمح بتعدد الثقافات الفرعية ، طالما أنها لاتعارض مع الإطار الثقافى العام [٣] .

---

(1) Ibid, P. 117 .

(2) Spates, James L. & Macionis, John, Op. Cit., P. 48 .

(٣) محمد عاطف غيث – السيد عبد المعاطى السيد ، المجتمع الحضرى ، مرجع سابق ، ص ٣٨٤ .

هـ- الضبط الرسمي :

يتسم المجتمع الحضرى بخاصية الضبط الرسمى ، فالجماعات الأولية كالأسرة وجماعات الأصدقاء تمارس فى الموقع الحضرى نوعاً من الضبط لسلوك الأفراد بطرق غير رسمية ، لكن ليس بنفس درجة ضبط هذه الجماعات لسلوك الأفراد فى المجتمع الريفى ، فالانسان الحضرى يستطيع أن يهرب من ضبط الجماعات الأولية - ويطلق على ذلك الغفلة أو اللااسمية - لذلك فالمجتمع الحضرى يلجأ إلى الضبط الثانوى، وهو الضبط الرسمى المتمثل فى التنظيمات ، والمؤسسات كالشرطة ، والقضاء ، والأجهزة الأمنية ، والعسكرية ، والرأى العام لتساعد التنظيم الاجتماعى فى تحقيق أهداف النظم الاجتماعية ، وضمان استمرارها فى أداء وظائفها ، وليضمن استقرار التنظيم ، والاحتفاظ به فى حالة سوية ، كما يوفق بين النشاطات ، والاهتمامات الفردية والمصالح الجماعية [1] . وكلما كبر المجتمع الحضرى ، أصبحت مشكلة الضبط أكثر وضوحاً ، وكانت أجهزة التنظيم ، والضبط الثانوى أكثر تنظيماً [2] .

---

(١) عزيزة عبد الله العلى النعيم ، مرجع سابق ، ص ٤٦ .

(٢) محمد عاطف غيث ، السيد عبد العاطى السيد ، المجتمع الحضرى ، مرجع سابق ، ص ٣٨٥ .

و- العزل المكانى (*):

يتضمن النسيج الحضرى عوالم اجتماعية متباينة ومتنوعة مثل الموزاييك Mosaic of Social Worlds يتجمع فيها السكان المتشابهون معاً ، فتنقسم المدينة فى مركزها ، وأحيائها وضواحيها إلى مواقع متخصصة فى أنشطة ، ووظائف معينة ، وتتنوع أحياؤها السكنية وفقاً للعوامل السوسيو - إقتصادية ، والديموجرافية ، والثقافية [1] .

وكما يذهب "روبرت بارك" R. Park فإن السكان الذين يتماثلون فى خصائصهم الاقتصادية والثقافية يميلون إلى التجمع فى مناطق معينة من المدينة ، كما أن الخصائص الاجتماعية ، والثقافية

(*) يشير العزل إلى عملية ايكولوجية تتضمن التطور المقصود ، أو غير المقصود لمناطق متخصصة أو مستقلة فى المجتمع المحلى الحضرى ، وفى هذه العملية تميل فئات من السكان ذات نماذج محددة لأوجه النشاط إلى التمركز الجيد فى مناطق معينة ، ذلك أنه عندما يتجمع الأفراد ، وأوجه نشاطهم فى مكان ما ، فإنهم فى الحقيقة لايتكدسون ، أو يتراكمون كيفما اتفق ، بل يصنفون ويوزعون وفقاً لمجموعة من العوامل الاجتماعية ، والاقتصادية ، وتعرف هذه العملية للتصنيف والتوزيع المكانى باسم العزل .. ورد ذلك فى :-
السيد عبد العاطى السيد ، الايكولوجيا الاجتماعية ، مرجع سابق، ص ٥٤.

(1) Timms, Duncan, The Urban Mosaic, Cambridge University Press, Cambridge, 1971, P. 250.

المميزة لكل منطقة تؤثر على حياة قاطنيها [1] .

ولقد أكدت معظم البحوث والدراسات التى أجريت فى هذا المجال العزل المكانى للمجتمع الحضرى ، إذ اكتشفت أن ظواهر مثل الخصوبة ، والهجرة ، والجريمة ، والجناح ، والطلاق ، والانتحار ، والجنون ، والأمية ، وغير ذلك من ظواهر السلوك الاجتماعى تختلف اختلافاً واضحاً ، وصارخاً بين منطقة لأخرى داخل المجتمع الحضرى [2] .

---

(١) السيد الحنفى عوض ، مرجع سابق ، ص ٣٢ .

(٢) السيد عبد العاطى السيد ، علم الاجتماع الحضرى ، مدخل نظرى ، جـ١ ، مرجع سابق ، ص ٣٨٩ .

ثالثاً : التحضر في دول العالم الثالث :-

يقطن ثلثى سكان العالم فى بلاد نامية ، وفى هذه البلاد تحدث تغيرات كثيرة فى مستوى التحضر ، حيث يتضاعف عدد السكان فى المدن الكبرى فى هذه البلاد كل (١٣,٥) سنة ، فلقد أضافت مدن الدول النامية (٢٦٠) مليون ساكن لمدن العالم فيما بين عامى (١٩٥٠، ١٩٧٠) ، وبلغ معدل زيادة سكان المدن التى تبلغ مائة ألف أو يزيد فى البلاد النامية حسب التسبة الحالية – فى نفس الفترة – بـ(٦٧٪) كل عقد [1] .

كما أن معدل نمو السكان الحضريين الذى يصل فى البلاد النامية إلى (٤,١٪) سنوياً يفوق بنسبة ضعفين ونصف نظيره فى البلدان المتقدمة التى لايتعدى فيها هذا المعدل (١,٨٪) سنوياً [2] .

ووفقاً لإحصاءات الأمم المتحدة فإنه بحلول عام (٢٠٠٠) فسوف يقطن أكثر من بليونين من السكان فى المناطق الحضرية فى الدول النامية ، وأنهم سوف يشكلون (٧٠٪) من سكان العالم الحضريين ،

---

(١) السيد عبد العاطى السيد ، علم الاجتماع الحضرى بين النظرية و التطبيق ، جـ٢، مشكلات وتطبيقات، درا المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٩٣، ص٢٠١ .

(٢) برنارد جرانوتييه ، السكن الحضرى فى العالم الثالث ، ترجمة محمد على بهجت الفاضلى ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٨٧ ، ص ٣٥ .

و(٤٥٪) من عدد السكان فى العالم ككل [(١)] .

ويوضح الجدول رقم (١-١) معدل النمو الحضرى فى العالم ككل ، والدول النامية فى الفترة من (١٩٥٠) وحتى (١٩٩٠) بالإضافة إلى التوقعات المحتملة للنمو الحضرى في عام (٢٠٠٠) .

ويقسم "ويليام شواب" W.Schwab التحضر فى الدول النامية – وفقاً لمعدلات النمو الحضرى – إلى أربعة أنماط على النحو التالى[(٢)]:-

جدول (١-١)

حجم السكان الحضريين فى العالم فى الفترة من (١٩٥٠-٢٠٠٠) بالآلاف

العام / المنطقة	١٩٥٠	١٩٦٠	١٩٧٠	١٩٧٥	١٩٨٠	١٩٩٠	٢٠٠٠
العام ككل	٧٢٤,١٤٧	١,٠١٢,٠٨٤	١,٣٥٤,٣٥٧	١,٥٦٠,٨٦٠	١,٨٠٦,٨٠٩	٢,٤٢٢,٢٩٣	٣,٢٠٨,٠٢٨
الدول المتقدمة	٤٤٨,٩٢٩	٥٧٢,٧٣٠	٧٠٢,٨٦٧	٧٦٧,٣٠٢	٨٣٤,٤٠١	٩٦٩,٢٢٦	١,٠٩٢,٤٧٠
الدول النامية	٢٧٥,٢١٨	٤٣٩,٣٥٤	٦٥١,٤٨١	٧٩٣,٥٥٨	٩٧٢,٤٠٨	١,٤٥٣,٠٦٧	٢,١١٥,٥٥٨
أفريقيا	٣١,٨١٨	٤٩,٥٠٦	٨٠,٣٧٣	١٠٣,٠٣٢	١٣٢,٩٥١	٢١٩,٢٠٢	٣٤٥,٧٥٧
أمريكا اللاتينية	٦٧,٥١١	١٠٦,٥٩٩	١٦٢,٣٥٥	١٩٨,٣٦٦	٢٤٠,٥٩٢	٣٤٣,٣٠٤	٤٦٦,٢٣٤
آسيا	١٧٥,٦١٨	٢٨٣,٠٢٦	٤٠٧,٦٤٦	٤٩٠,٥٧٠	٥٩٦,٦٠٩	٨٥٥,٥٤٤	١,٢٩٧,٧١٩

المصدر : . Schwab, William A., OP. Cit. P. 75

---

(1) Gugler, Josef, Third World Urbanozation ; Re-examind, International Journal of Contemporaray Sociology, Vol. 30, No.1, 1993; P. 21 .

(2) Schwab, William A., The Sociology of Cities, Prentic - Hall, New Jersey, 1992 , P.P. 79 - 80 .

١- النمط الأول :

ويضم دول الأرجنتين ، والمكسيك ، وكولمبيا ، والبرازيل حيث تتميز عملية التحضر بالبساطة ويصل عدد السكان الحضريين إلى نصف اجمالى عدد السكان ، ويتميزون بالدخل العالى بالمقارنة بالمعدلات العالمية للدخل ، وتتوافر المصادر الطبيعية لسكانها ، ومن المتوقع أن يتوقف النمو الحضرى فى هذه الدول فى نهاية هذا القرن عندما يصل عدد السكان الحضريين إلى (٧٥٪) من اجمالى عدد السكان ، وتقع معظم مجتمعات هذا النمط فى أمريكا اللاتينية حيث أدى التصنيع ، والتنمية الاقتصادية إلى تشجيع الهجرة الريفية - الحضرية ، وتتجه فوائد التنمية الاجتماعية ، والاقتصادية إلى أسر الطبقات العليا ، والوسطى ، فتزداد تبعاً لذلك نسبة المعدمين فى كل من الريف والحضر.

٢- النمط الثانى :

يضم هذا النمط دول شرق آسيا ، وشمال أفريقيا - وبخاصة مصر ، والجزائر - وكوريا ، والفلبين ، وتتميز عملية التحضر فى هذه المجتمعات بأنها حديثة العهد ، وتفوق نصف اجمالى السكان ، كما تتميز بانخفاض الدخل ، طبقا للمستويات العالمية ونجاحها فى المستقبل يعتمد على التحكم فى الزيادة الطبيعية .

٣- النمط الثالث :

يضم السنغال ، وساحل العاج ، ونيجيريا ، والسودان ،

وكينيا، ودولاً أخرى ، وتتميز بأنها مجتمعات ريفية ، وتتراوح أعلى معدلات للتحضر فيها ما بين أربعة إلى خمسة بالمائة سنوياً ، وحتى عند هذه المعدلات المرتفعة سوف تبقى هذه المجتمعات ريفية بحلول عام (٢٠٠٠) نتيجة لمعدلات المواليد المرتفعة للسكان الريفيين .

٤- النمط الرابع :

ويتميز هذا النمط بأنه أكثر حدة من النمط السابق ، فهو يتضمن الهند ، وسكان جمهورية الصين ، وباكستان ، وهذه المجتمعات ريفية تعيش على حد الكفاف ، وبالرغم من نمو سكان مدنها المرتفع ، فإن النمو السكانى ، بصفة عامة ، هو أيضاً مرتفع إلى درجة كبيرة .

وتركز معظم أدبيات التحضر فى الدول النامية على أن الهجرة الريفية الحضرية هى السبب الرئيسى للنمو الحضرى ، بيد أن النمو الحضرى فى الدول النامية يرجع إلى كل من الزيادة السكانية الطبيعية فى المدن من ناحية ، والهجرة إلى المدن من ناحية أخرى ، ويذهب "هاى" Hay و"بيير" Beier ، و"بريستون" Berston ، و "دافيز" Davis إلى أن من النصف إلى ثلثى النمو الحضرى تقريباً فى الدول النامية يرجع بالفعل إلى الزيادة الطبيعية داخل المدن نفسها ، ويرجع ما بين ثلث ، ونصف النمو الحضرى تقريباً إلى الهجرة الريفية الحضرية [1] .

---

(1) London, Bruce, Structural Determinants of Third World Urban Change" , American Sociological Review, Vol . 52, No. 1, 1987, P. 35 .

ولقد دفعت المؤشرات العالية للنمو السكانى فى الدول النامية .
بعض الباحثين إلى القول بأن الدول النامية تشهد نمواً حضريا عاليا خلال المراحل الأولى من التصنيع ، وأن ذلك يشبه إلى حد كبير ما شهدته الدول الأوربية خلال القرن التاسع عشر ، إلا أن هذا التشبيه ، رغم جاذبيته واغرائه ، يتجاهل كثيراً من العوالم التاريخية والاقتصادية ، والاجتماعية المصاحبة للتحضر ، إذ أن نموذج التنمية الاقتصادية ، والتحضر فى الدول النامية الآن لايمكن أن يكون تكراراً للنموذج الأوربى خلال القرن التاسع عشر [١] .

والتحضر فى الدول النامية يتميز بعدد من الخصائص يمكن عرضها على النحو التالى :-

أ- تحضر تابع :

يرى "ماركس" K. Marx أن التحضر فى الدول النامية هو تحضر تابع ناتج عن توسع ، وامتداد النظام الرأسمالى ، فلقد فرضت الرأسمالية التحضر، والتنمية الحضرية فى أمريكا اللاتينية ، وأفريقيا، وتغيرت المجتمعات الريفية فى بيرو ، والمكسيك ، والهند ، والشرق الأوسط ، والصين راديكالياً ، ويرجع ذلك إلى التوسع الأوربى منذ

---

(١) السيد الحسينى ، المدينة : دراسة فى علم الاجتماع الحضرى ، مرجع سابق، ص ١٥١ .

القرن السادس عشر .

ويشير "هوز يللتز" Hoselitiz إلى أن المدن فى الـدول المتخلفـة حالياً هى نظم مختلطة نشأت كإستجابة لتقسيم العمل الاجتمـاعى مـن ناحية ولاندماج هذه الدول فى الاقتصاد العالمى من ناحية أخرى (١) .

والتحضر التابع موجود فى كافة الـدول الناميـة . حيـث أنهـا تعانى من ظاهرة التبعية فى معظـم نواحيهـا ، ومجالاتهـا ، وتنعكـس بالتالى على ماهو سائد بالأنماط المعيشية ، وتوجد العديـد مـن الظواهـر التى تغذى حالة التبعية هذه ، فضعف الانتاج بكافة أشـكاله ، وعـدم وجود مجالات مفيدة للاستثمار ، وتقلص الصادرات فـى عـدد محـدود مـن السـلع والمـواد الأوليـة ، والخلـل فـى هيكـل العمالـة ، مـاهى إلا مؤشرات فقط على وجـود هـذه الحالـة ، ومـن الطبيعـى أن تـبرز هـذه المؤشرات بشكل أوضح فى النمط الحضرى ، حيث تتركز معظم عناصـر الانتاج ومجالات الخدمات (٢) .

ب- تحضر حدي : Subsestence Urbanization

فلقد أطلق "جيرالد بريز" G. Breeze على التحضر فى الـدول

---

(1) Gilbert, Alan & Guglar, Josef, Cities, Poverty and Devlopment, 2nd. Ed., Oxford University Press, New York, 1992, P. 13 .

(٢) محمود الكـردى ، التحضـر : دراسـة اجتماعيـة ، الكتـاب الثـانى ، الأنمـاط والمشكلات ، دار المتبنى للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٨٤ ، ص ١٦ .

النامية التحضر الحدى ، أو تحضر الكفاف ، ويشير به إلى الحياة الحضرية التى لايتوافر للمواطن فيها الضرورات ، وحتى هذه الضروروات قد يصعب تحقيقها فى مجالات معينة مثل الاسكان، والتغذية، ووسائل الاتصال ، والترفيه ، والنقل والمواصلات ، فالهجرة فى الدول النامية تحدث من مجتمع زراعى ذى دخل منخفض إلى مجتمع حضرى ذى دخل محدود ، ولايتمتع بقدر كبير من التحسين فى ظروف العمل،وهذا بدوره يعنى نقل كثير من ظروف الفقر، والجهل، والمرض، وانخفاض مستوى المعيشة ، وبالتراكم تتفاقم هذه الظواهر بالمدن [1] .

جـ- ترييف المدينة وتحضر القرية :-

تشهد المدن فى الدول النامية نمواً حضرياً متزايداً نظراً لموجات الهجرة المتدفقة عليها من الأقاليم الريفية ، مما أدى إلى انتقال خصائص ريفية كثيرة إلى المدن الكبرى ، والمراكز الحضرية ، وعلى الجانب الآخر انتقال كثير من الخصائص الحضرية إلى القرى ، أى أن الاتصال المتزايد بين القرية والمدينة قد ترتب عليه حدوث عملية

(١) عبد الهادى محمد والى ، مقدمة الترجمة ، فى فينسنت فرانسيس كوستيللو ، التحضر، فى الشرق الأوسط ، ترجمة وتعليق غريب سيد أحمد ، عبد الهادى محمد والى ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ط ، ١٩٨١ ، ص٣١ .

مزدوجة فى وقت واحد هى تريف المدينة ، وتحضر القرية [1] .

فظاهرة الرواسب الريفية فى المناطق الحضرية ، ظاهرة شائعة الحدوث فى البلاد النامية ، والواقع أنه قد تكون تلك الرواسب من الريفية هى سبب عزل المهاجر الجديد عن بيئته الجديدة حتى يألفها، ويترتب على وجودها أن تنطوى الهجرة من الريف إلى الحضر على قدر كبير من الصدمة الثقافية ، على نحو ما كان يعتقد فى الماضى ، وترتبط الصدمة الثقافية بالانتقال من اقتصاد الإعاشة - الاستهلاك المباشر - إلى الاقتصاد النقدى ، ومن الدور فى الطبقة المغلقة إلى العمل على الآلات ، وما يرتبط بذلك من تعير فى المكانة . وقد يخلق هذا كله نوعاً من الضيق ، أو اللامبالاة نتيجة للإحباطات المرتبطة بذلك[2] .

د- ظاهرة المدينة الأولى :-

ويعنى هذا أن هناك مدينة واحدة ، أو مدينتان تشتملان عل نسبة كبيرة من سكان الدولة ككل ، وغالباً ما تكون العاصمة احداهما، حيث نجدها تشمل وحدها على نسبة كبيرة قد تصل إلى نصف سكان

---

(١) حسن الخولى ، الريف والمدينة فى مجتمعات العالم الثالث ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ١٩٩٢ ، ص ٩٠ .

(٢) جيرالد بيريز ، مجتمع المدينة فى البلاد النامية : دراسة فى علم الاجتماع الحضرى ، ترجمة محمد الجوهرى ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ١٩٨٩، ص ١٨٨

الدولة ، أو ما ينيف على ذلك ، ومثال ذلك عاصمة "أوراجواى" التى تحتوى على (٣٠٪) من سكان الدولة ، "وكاراكاس" عاصمة فنزويلا على (٢٩٪) ، وتختلف بطبيعة الحال هذه المعدلات عن تلك التى تسود فى أوربا ، وأمريكا [١] .

ويفسر "آلان منتجوى" ذلك على أن كل عمليات التنمية فى العالم الثالث لاتتجه إلى الازدياد فقط ، ولكنها تتجه أيضاً نحو التركز مكانياً ، إذ توجد الخدمات الأساسية التى تحتاجها الصناعية مثل الكهرباء ، والمياة النقية ، وطرق ، وتسهيلات الموانى ، والسكك العحديدية فى المدن الكبيرة فقه ، وغالباً ما تكون فى المدن [٢] .

فعلى سبيل المثال يوجد فى مدينة عمان أكثر من (٩٠٪) من المؤسسات الصناعية العاملة فى الضفة الشرقية فى الأردن ، ويوجد فى القاهرة (٤٠٪) من الصناعات المصرية [٣] .

هـ- مكانة المدينة :-

ونتيجة لذلك فإن المدن فى الدول النامية تمثل حلقة الوصل

---

(١) عبد الهادى محمد والى ، مدمة الترجمة ، مرجع سابق ، ص ص ٣٠ -٣١ .

(٢) محمد الجوهرى وآخرون ، تنمية العالم الثالث ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٨٤ ، ص ٤٨٩ .

(٣) حسن همام ، ماجدة علام ، علم الاجتماع الحضرى ، المعهد العالى للخدمة الاجتماعية ، كفر الشيخ ، ١٩٩٣ ، ص ٦٥ .

الأساسية بين هذه الدول من ناحية والعالم الخارجى من ناحية أخرى، فهى تؤدى وظائف سياسية ، واقتصادية ، وثقافية تمكنها من اكتساب مكانة متميزة ، فترسم المدينة السياسيات ونظم المشروعات الاقتصادية وتعيش الصفوة السياسية ، وتنمو المؤسسات الثقافية ، حيث تبدو وكأنها قلب المدينة النابض [١] .

فالمدينة فى الدول النامية هى مقر الحكومة . والأجهزة التنفيذية الأساسية ، كما أنها موطن الأحزاب السياسية ، والصحافة ، والاذاعة وكل وسائل الاتصال الجماهيرى [٢] .

و- التدهور الحضرى :-

فمن أبرز النتائج المترتبة على التضخم الحضرى فى الدول النامية ، ذلك التدهور الذى يطرأ على البيئة الحضرية ذاتها ، ويتمثل هذا التدهور فى ظهور الأحياء المتخلفة ، وتضخم حجمها ، والنقص فى الخدمات الحضرية بما فى ذلك الإسكان ، والمواصلات ، والمرافق العامة ، يضاف إلى ذلك سوء استغلال الأرض ، وارتفاع معدلات كثافة السكان ، وقلة الخدمات التعليمية ، والترويحية [٣] .

---

(١) جيرالد بريز ، مرجع سابق ، ص ٩٢ .

(٢) السيد الحسينى، المدينة: دراسة فى علم الاجتماع الحضرى، مرجع سابق، ص ٩٨.

(٣) كنجزلى دافيز ، هليدا هيرتز ، مرجع سابق ، ص ١٠٣ .

وليس أدل على ذلك مما يذكـره "مـابوجون جـى" Mabogun Je في تقريره عن مدن غرب افريقيا . حيـث يقـول أنـه يمكـن القـول بحق أن (٧٠-٨٠٪) من سكان المدينة يعيشون فى أحياء متخلفة [١]

كما أن مدينة "كلكتا" - طبقـا للإحصاءات الرسميـة - يعيـش ثلاثة أرباع سـكانها فـى أحيـاء متخلفـة مزدوجـة تفتقـر إلى الخدمـات الحضرية ، كما أن (٥٧٪) من أسر المدينة تعيش فى مساكن مؤلفة مـن حجرة واحدة ، وتصـل الظـروف السـكنية إلى أدنـى مسـتوى لهـا فـى العالم، فهناك أكثر من نصف مليون شخص لا يجدون مأوى يؤويهم ولا يحصلون على الحد الأدنى من الطعام ، مما دفع بعض الدارسين إلى القـول بأن بعض سكان "كلكتا" يولدون فى الشوارع ويموتون فيها أيضاً [٢] .

و - الهجرة : Migration

كذلك نلمس اختلافاً واضحاً فـى ظـاهرة الهجـرة ، فقـد كـانت الهجرة تعنى من قبل . وفى بداية الثـورة الصناعيـة انتقـال أنـاس مـن مناطق ذات دخل منخفض للعمل فى مناطق ذات دخـل مرتفـع ، كمـا تعنى مزيداً من التحسن والراحة فى ظروف العمل . ولكن فى البلـدان

---

(١) محمد الجوهرى ، علياء شكرى ، علم الاجتماع الريفى والحضرى ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٨٨ ، ص ٣٣١ .

(٢) السيد الحسينى ، علم الاجتماع الحضرى ، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٩٣، ص ٢٨٤ .

النامية تحدث الهجرة من مجتمع زراعى ذى دخل منخفض إلى مجتمع حضرى ذى دخل محدود . ولا يتمتع بقدر كبير من التحسن فى ظروف العمل ، وهذا بدوره يعنى نقل كثير من ظروف الفقر ، والجهل ، والمرض ، وانخفاض مستوى المعيشة ، وبالتراكم تتفاقم هذه الظواهر فى المدن [1] . ويطلق جيرالد بريز G. Breeze كما سبق أن وضحنا – على هذه الظاهرة "التحضر الحدى" subsistence Urbanization أو تحضر الكفاف ، وهو يشير به إلى الحياة الحضرية التى لايتوافر للمواطن فيها غير الضرورات ، وحتى هذه الضرورات قد يصعب تحقيقها فى مجالات معينة مثل الإسكان ، والتغذية، ووسائل الاتصال ، والترفيه والنقل ، والمواصلات [2] .

م – الاستفادة من التراكمات الثقافية :-

ومن الأمور التى تدفع إلى الإعتقاد باختلاف سمات التحضر ، وطبيعته فى العالم الثالث عنه فى العالم الغربى أن هذا التحضر فى البلدان الأولى قد تم على راس مجموعة من العوامل ، والتراكمات الاجتماعية ، والاقتصادية ، والثقافية ، والتكنولوجية ، وليس على

(1) Gook, Robert, The World Great Cities : Evolution or devolution, op. cit., pp. 14 - 21 .

(2) Ibid , P. 23 .

بلدان العالم الثالث أن تبدأ دورة تحضرها من جديد ولكنها استفـادت وتستفيد بالضرورة مما حققته المدينة الغربية فى هذا المجال [1] .

ومعنى ذلك أن نقطة الصفر فى كليهما سوف تكـون مختلفـة ، وبالتـالى سوف تختلـف المراحـل اللاحقـة فـى طبيعتهـا ، ومشـكلاتها ووسائل مواجهتها ، فإذا كان التركز الحضرى فى بلدان العالم الثـالث مـن أكـثر السمات وضوحـاً ، وإذا كـان هـذا الـتركز يخلـق كثـيراً مـن المشكلات ، فإن أهم أساليب مواجهة هذه المشكلات تتمثل فـى إعـادة توزيـع سـكان الحضـر Decentralization أو الانتشـار الحضـرى والنتيجة التى تترتب على ذلك هـى أن خصـائص التحضـر الحاليـة ، تكون محددة لسمات وخصائص التحضر ، بل تكـون محـددة لمستقبل الحياة الحضرية فى هذه البلدان بمعنـى أن مـا تكشـف عنـه دراسـات وخصـائص سـكان الحضـر ، ومـا يواجههـم مـن مشـكلات مثـل سـوء التوافق، وعدم التكيف للحياة الحضريـة ، والتمسـك ببعـض الرواسـب الثقافية ، كل ذلك سوف يمثل منطلقات لدراسات حضريـة متعـددة ، ومنطلقاً لوضع سياسات ملائمة لتخطيط المدينة .

ط- عوامل النمو : -

مدن العالم الثالث ، والمدن الكبرى بخاصة هى حلقـة الاتصـال

---

(١) جيرالد بريز ، مرجع سابق ، ص ٢٣ .

مع العالم الخارجى ونتيجة لذلك فقد نمت بسرعة ليس بفعل التصنيع الثقيل – كما حدث فى غيرها – بل كان بفعل عوامل أخرى مثل التجارة الخارجية ، وحركة الملاحة البحرية والموانىء ، وتركز السلطة السياسية ، وملكية الأرض على نطاق واسع ، ومن هنا فإن الباحث يلمح فاصلاً ثقافياً شاسعاً بين هذه المدن وبين مناطق ظهيرها الزراعى من ناحية ، وبينهما وبين المناطق الريفية من ناحية أخرى [١] .

ى – معدلات الزواج والولادة : –

هناك معدلات واضحة للزواج ، والولادة فى المدن الغربية ، والأمريكية وكذلك نجد معدلات الولادة غير الشرعية فى القرى منخفضة ، وفى المدن مرتفعة لكن بعض مدن أمريكا اللاتينية مثلاً تفصح عن معدلات مختلفة عن ذلك ، ويقول بعض العلماء أن استمرار التحضر ، والتصنيع سوف يغير هذه المعدلات لتصبح مشابهة لتلك السائدة فى الغرب ، ومع ذلك فهى سمات خاصة ، ونوعية تنفرد بها بعض مدن العالم الثالث ، ويمكن أن نستخلص منها خصائص فريدة[٢] .

---

(١) نفس المرجع السابق ص ٣٨ .

(2) Davis, Kingsly and Casis. Area, Traits of the Urban and Rural Populations of Latin America, in : Gibbs, Jack, p. (ed.) Urban Research Methods, Affiliated East - West press, PVT, New Delhi, 1966, PP. 505 - 506 .

ك- الأسرة الحضرية فى العالم الثالث : -

كشف الكثير من الدراسات عـن أن نمـط الأسـرة الحضريـة فـى بلدان العالم الثالث يختلف عن نمـط الأسـرة السـائدة فـى المجتمعـات الغربية هذا النمط الذى افـترض كثـير مـن البـاحثين أنـه أكـثر ملاءمـة لحياة المجتمع الصناعى الحضرى ، فقد اتضح على سبيل المثال وجود نوع من الأسر يحتل مكاناً وسطاً بين الأسرة النـواةNuclear Family، والأسرة الممتدة Extended Family ، وهو النوع الذى عرف بالأسـرة الممتدة المعدلة Modified extended Family وهو نمط لايعتمد علـى التقارب الجغرافى أساساً ولكن توجد فيه علاقات تقـوم علـى المسـاعدة المتبادلة بين أفراد الأسر ، وتعدد الالتزامات التى يقوم بهـا الفـرد فـى هذه الأسرة . كما أنها ليست مغلقة بشكل صارم ، لكـن بناءهـا يسـمح بالحراك الاجتماعى ، والتنقل الفيزيقى ، كما أن هناك أسـراً حضريـة فى مدن العالم الثالث لاتـزال تنطـوى علـى سمـات اجتماعيـة وثقافيـة تقليدية ، مثل طرق العلاج الشعبية ، واللامبالاة وانخفـاض مسـتويات التعليم وغير ذلك [1] .

ل - العلاقات الاجتماعية الحضرية :-

اشارت دراسات كثيرة إلى أنه فى مجال العلاقات الاجتماعيـة

---

(1) Ibid, pp. 524-525 .

فى الحضر ، لم يحدث تحول كلى إلى نمط العلاقات الثانوية فى بلدان العالم الثالث . ولكن كثيراً من الجماعات ، والروابط الموجودة فى بعض مدن العالم الثالث تنطوى على قدر كبير من العلاقـات الأوليـة ، الأمـر الذى يتعارض مع نظريات التحضر الغربيـة ، وتقـدم أنمـاط العلاقـات السائدة فى كثير من مدن الهند ، واليابـان ، وغيرهمـا دليـلاً علـى أن العلاقات الأولية لاتزال تلعب دوراً بارزاً فى المجتمع الحضرى .

م- وظائف المدن :-

حاولت الدراسات التى أجريت على مدن العالم الغربى تصنيف الوظائف التى تقوم بها المدن ، أو تصنيف المدن مـن حيـث وظائفهـا . فهذه مدن إدارية ، وتلك سياسية ، وثالثة ترويحية ، ورابعة تجارية، وخامسـة صناعيـة ، وغـير ذلـك . ومـع أن هـذا التصنيـف لم يتضمـن اقتصار دور هذه المدن على تلك الوظـائف وحدهـا ، ولكـن كـان يعنـى غلبتها على غيرها من الوظائف ، أى أن الأمر يختلف فى مـدن العـالم الثالث ، مـن حيـث أننـا نجـد مدينـة أو مدينتـان تقومـان بكـل هـذه الوظائف مجتمعة ، بحيث يصعب تطبيـق التصنيـف السـائد فـى علـم الاجتماع الحضرى عليها .

ن- الدور الحضارى للمدينة : -

من الأمور المسلم بها أن المدينـة تـؤدى دوراً حضاريـاً بالنسبـة

للريف ، وربما كان هذا هو حال المدينة الأوربية ، والأمريكية ، ولكن في مجتمعات العالم الثالث ، ومن بينها المجتمع المصرى – على سبيل المثال – نجد العكس ، فالقرية رافد حضارى هام بالنسبة للمدينة ، ذلك أنها تصب فى المدينة أكثر مما تصب المدينة فيها ، طالما أن حركة الهجرة تتجه دائماً إلى الحضر ، ونادراً ما تحدث هجرة عكسية . وهذا بدوره يفرض أعباء جديدة على مجتمعات المدن فى العالم الثالث فضلاً عن الأعباء القائمة . كذلك فإن هذا الوضع يحول دون تحقيق تقدم سريع فى الحياة الحضرية فى العالم الثالث ، ذلك أن القادمين إلى المدينة بخلفياتهم الريفية لايتكيفون لحياة المدينة بسهولة وعلى المدى القصير . فضلاً عن أنهم ينقلون إليها أنماطاً ثقافية ريفية ربما تسود فى مناطق المهاجرين للمدينة ، وربما تتفاعل مع الأنماط الحضرية ، وربما تنشأ منهما تركيبة جديدة ، الأمر الذى يطرح الكثير من التساؤلات عن الدور الحضارى المنوط بالمدينة ، كما يتطلب أخذه فى الاعتبار عند دراسة مدينة العالم الثالث [1] .

و– الجيرة فى المجتمع الحضرى : Urban Neighborhood

مجتمع الجيرة يشكل وحدة أساسية فى الحياة الحضرية ، ومن

---

(١) عبد الهادى والى ، التنمية والتخلف فى المجتمع الحضرى ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب جامعة الاسكندرية ، ١٩٧٧ ، ص ٤٧ ، ٦٣ .

الواجب ألا تغفله الدراسات فى هـذا المجـال . فهـو فضـلاً عـن كونـه وحـدة فيزيقيـة ، فهـو إطـار إجتمـاعى فعـال فـى تكشـيل العلاقـات الاجتماعية الحضرية . هذا وقد ذهب الكثير من الدراسات إلى أن هناك علاقة عكسية بين زيادة التحضر ، وأهمية مجتمع الجيرة ، بمعنى أنه كلما كانت نسبة التحضر مرتفعة ، كان الدور الذى تؤديه وحدة الجوار قليلاً ، حيث يرتبط التحضر بتزايد العلاقات السـطحية ، والثانويـة . ولكن على العكس من ذلك ظهرت دراسات عن كثير مـن بلـدان العـالم الثـالث تشـير إلى استمرار احتفـاظ وحـدة الجـوار بدورهـا القـوى فـى المجتمع ، وبالتالى من الممكن تنفيذ كثير مـن البرامج الاجتماعيـة مـن خلال هذا الإطار ، وهنا تقـدم لنـا نظريـة التحضـر فـى العـالم الثـالث شاهداً جديداً على اختلافات طبيعته عن التحضر الغربى أو الأمريكى .

ولعل اهتمامنا بالإشارة السـريعة إلى هـذه الفـوارق يرجـع إلى أن هذا الأمر أصبح متعاظم الأهمية ، وفى نفس الوقت يفرض وعياً متزايداً عند تناول ظاهرة التحضر فى العالم الثالث .

رابعاً : مشكلات المجتمع الحضرى :-

وإذا كان الحديث عن الحضرية ، والمجتمع الحضرى ، يجرنا دائماً إلى مشكلات المجتمع الحضرى ، فإنه يعن لى أن أشير فى عجالة إلى بعض هذه المشكلات . ولقد أصبح الحديث عن مشكلات المجتمع الحضرى عامة ، سواء فى الغرب ، أو الشرق ، أو العالم الثالث . فتتراوح النظرة إليه ما بين تشاؤم يرى أن الحضرية هى مبعث الشرور والآثام ، والأمراض ، وتفاؤل لايزال يؤمن باستمرار إمكانية سيطرة الإنسان على بيئته مهما تعاظمت مشكلاتها ، ويرى أن الاستسلام لهذه المشكلات يشكل تحدياً لكل ما أحرزته الإنسانية خلال نموها . وبين هذا وذاك تبقى مشكلات الحضر فى حاجة إلى دراسات فاحصة واعية . ولسوف أذكر منها ما يلى :

١- **الإسكان الحضرى** : وهو من أهم المشكلات ، فالمدينة كبناء أو نمط فيزيقى ، منظم على نحو معين أو آخر ، ولكل نمط عيوبه ومميزاته ، فقد يفى بمتطلبات الحياة الاجتماعية الملائمة ، وقد يعجز عن ذلك. وإذا أدركنا زيادة معدلات الهجرة الريفية الحضرية فى بلدان العالم الثالث، وزيادة الهجرة من الخارج إلى مدن العالم الغربى،فإن النتيجة تكون فى تفاقم مشكلة الإسكان ذلك أنه مالم يشكل المنزل أو المسكن فى المدينة قوة جذب فإن النتائج المترتبة على

ذلك تكون خطيرة .

٢- **مشكلة النقل والمرور** : نحن نـدرك أن إيقـاع الحيـاة الحضرية سريع . فالانضبـاط بوقت محـدد للعمـل ، واللقـاءات والتجمعات ، كلها تفـرض وجـود شبكة للنقـل والمواصلات علـى درجة من الانتظام والكفاءة تسمح بتوافق الإنسان الحضرى لظـروف عمله وحياته . وكلما أخذت بلـدان العـالم الثـالث بأسباب النمـو والتطور ، فإن معـدل اقتنـاء السيارة يـتزايد هـو الآخـر ، وتكـون النتيجة ضغطاً متزايداً على شبكة الطـرق التـى صممـت دون توقع لهذه الزيادة ، فتتحول المدينة إلى منطقة تكدس ، وازدحام لايتيـح لأصحاب السيارات ، ووسائل النقل الخاصـة إنجـاز أعمـالهم فـى أوقاتها المحددة . ولما كانت جوانب الحيـاة الاجتماعيـة متداخلـة ومتساندة فإنه يترتب على ذلك قصـور فـى بعـض جوانـب العمـل والخدمات والمرافق .

٣- **الأسواق والخدمات العامة** : فى المدينة تؤدى دوراً أساسـياً فى استقرار الحياة الاجتماعية ، وسهولة الحصول علـى متطلبـات الحيـاة . ولـما كـان التوسـع والامتـداد فـى كثـير مـن المـدن قـد تم بأسلوب عشوائى ، وغير مخطط فإنه لم يأخذ فى الاعتبـار أماكن الأسواق ، والخدمات وسهولة الوصول إليهـا ، ومـن هنـا نلمـس

مزيداً من التكدس فى قلب المدينة أو منطقة المركز ، وهذا بدوره يؤدى إلى ضغوط متزايدة على وسائل النقل والمواصلات ، ونسق المرور .

٤- **الترويح الحضرى** : ضرورةحيوية لحياة المدينة ، بحيث يمكن تصور وجود المدينة دون وجود أماكن للترويح مثل دور السينما والمنتزهات والشواطىء وغيرها ، وربما كانت معظم المدن فى العالم الثالث ، وبعض مدن العالم الغربى يعانى من مشكلات الترويح الحضرى وآثارها النفسية .

٥- ويرتبط بما سبق ندرة الأماكن الفضاء ، والخضراء ، خاصة على مستوى الجيرة ذلك أن هذه الأماكن تمثل متنفساً للمدينة ، فضلاً عن أنها تساعد على تنقية أجوائها ، وتسمح بوجود أماكن للعب والتجمع خاصة فى مجتمع الجوار .

٦- **المناطق المتخلفة** : وهذه المناطق تظهر بفعل عمليات أيكولوجية كالغزو والانتشار والمنافسة وغيرها ، فحينما يتركز السكان فى منطقة من المناطق وتبدأ أفواج جديدة فى غزو هذه الأماكن ، يبدأ القادرون فى التحرك إلى مناطق أخرى جديدة أكثر هدوءاً وملاءمة ، وبالتالى يهجرون بناءاتها وتترك دون صيانة أو رعاية ، بينما يستقر المهاجرون فى هذه المناطق وشيئاً فشيئاً تظهر

مناطق متخلفة ، دون المستوى المطلوب للحياة الاجتماعية ، فتتفاقم فيها الأمراض الفيزيقية ، والاجتماعية ، والنفسية ، وتمد المدينة بعناصر طفيلية غير منتجة . ولعل تركيز السياسات الاجتماعية ، والخطوط الحضرية على إزالة مثل هذه المناطق وإعادة بنائها دليل على مدى خطورتها .

٧- **التلوث الحضري** : وقد ساهمت حركة التصنيع ، وزيادة وسائل النقل والمواصلات فى زيادة معدلات التلوث Pollution ، ولاتزال تجرى دراسات متنوعة حول وسائل القضاء على هذا التلوث ، وبسببه حدثت كوارث كثيرة وتزايدت معدلات الأمراض.

٨- **اللامبالاة** : Apathy وهى ظاهرة عدم اكتراث كثير من سكان الحضر بما يحدث فى مجتمعهم ، وتقاعسهم عن المشاركة فى مشروعات عامة تهدف للنهوض بهذا المجتمع . وقد تأخذ اللامبالاة صوراً متعددة ، فقد فقد لا يبالى سكان الحضر بالأمور الاجتماعية ، أو الأمور السياسية ، أو المشاركة فى الاتجاهات العامة والرأى العام – وقد أشار بعض العلماء إلى أن من السهل على الحضرى أن يرفض أموراً أو ممارسات معينة ، لكن من الصعب أن يحدد أموراً تحتاج لجهد عام ، أو يشارك فى مثل هذا الجهد .

٩- **الأمراض النفسية** وقد أشار كثير من الدراسات إلى أن معدلات الأمراض النفسية ، والعصبية تتزايد فى المدينة بشكل أكثر من القرية . وقد يرجع ذلك إلى عدم التكيف لحياة المدينة ، أو المعاناة الاقتصادية ، أو الضغوط التى تفرضها هذه الحياة .

١٠- **وسائل الاعلام والرأى العام** : لعل من الواضح أن هناك حاجة دائمة لإجراء مراجعة شاملة على خطط وسائل الإعلام ، وسياساته ، لعيبر عن احتياجات سكان المدينة ، ورغباتهم . فتكشيل رأى عام يعتبر مهمة عسيرة فى المجتمعات الحضرية . مالم يكن هناك خط واضح ملتزم لوسائل الإعلام ، وتدريب سكان المدينة على إبداء رأيهم فى هذا الخط أو الأسلوب ، وهنا تظهر الحاجة المستمرة لإجراء استفتاءات للرأى العام بين وقت وآخر . فضلا عن استخدام الوسائل الأخرى لقياس الرأى العام . ويرتبط بهذه النقطة أيضاً الحاجة إلى وضع خطة للتعبئة الاجتماعية الشاملة بمجموعة من القيم والآراء التى تخدم الحياة الحضرية . وتؤدى فيها دوراً فعالا

١١- **الهجرة الريفية الحضرية** : Rural Urban Migration

ولعل حديثنا السابق عن التركز الحضرى ، وأثر الهجرة فيه . يوضح أن هناك حاحة ملحة لوضع ضوابط . وسياسات لهذه

الهجرة ، وسواء تم ذلك عن طريق تصنيع الريـــف ، أو النهـوض به، أو تم عن طريق إنشاء مجتمعات جديدة ، ومستحدثة ، فإنـه بدونه سوف تستمر المدن خاصة فى العالم الثالث فـى المعانـاة عـن مشكلات تتحدى كل خطة للنهوض بها .

١٢- **مشكلات الجماعات الخاصة** : تتضمن المدينة عـدداً كبـيراً مـن الجماعـات ذات النوعيـة الخاصـة ، مثـل المعوقـين ، وكبـار السن، والمتقاعدين ، وغيرهم ممن يواجهون ظروفاً خاصـة . وهـذه الجماعات فى حاجـة إلى مؤسسـات وسياسـات عامـة تتكفـل بهـا المدينة ، حتى لايتحول هؤلاء إلى طاقات سلبية تـأخذ مـن المدينـة ولاتعطيها .

١٣- **التفكك الأسرى** : تشير الدراسات التى أجريـت حـول هـذه الظاهرة إلى التفكك الأسرى فى المدينة أكثر وضوحاً منه فى القرية، ومن هنا فإن هناك ضـرورة لمواجهـة هـذه المشـكلة فـى ضـوء القيـم الدينـة ، والثقافيـة ، والاجتماعيـة السـائدة ، وفـى ظـل القوانـين المعمول بها فى المجتمع [1] .

---

(١) هذه المشكلات وغيرهـا وردت بصورة أو أخـرى فـى معظـم مؤلفـات الاجتمـاع الحضرى وشكلت فى كثير من الأحيان قضايا موجهة لكثير من الدراسات التى تهتم بالمجتمع الحضرى ومشكلاته انظر على سبيل المثال : =

وربما يتساءل المرء عما إذا كانت هناك استراتيجيات ، ومداخل ملائمة لمواجهة هذه المشكلات فى المجتمع الحضرى ، الذى أخذ كما أشرنا من الاتساع والامتداد فى جميع أنحاء العالم ، ولكن مثل هذا التساؤل يجعلنا نذهب إلى أنه ليست هناك استراتيجيات عامة وموحدة تفى بهذا الغرض ، ذلك أنه ببساطة إذا كانت طبيعة التحضر ، وخصائصة ، ومشلاكته قد اختلفت - كما أوضحنا - من مكان لآخر وفقاً للظروف التاريخية والأوضاع الثقافية وغيرها ، فإنه يترتب على ذلك ان أسلوب مواجهة هذه المشكلات سوف يختلف هو الآخر . ومعنى ذلك أن ممارسات التخطيط الحضرى فى أوربا وأمريكا مثلاً ، قد لاتتلائم مع الواقع الحضرى فى بلدان الكتلة الشرقية ، أو فى بلدان العالم الثالث . ومن ناحية أخرى فسوف نجد تنوعاً داخلياً فى كل كتلة من هذه ، وفقاً للظروف الخاصة لكل دولة من دولها .

ومع ذلك فإن هناك أفكاراً عامة تصلح لتوجيه سياسات القضاء على مشكلات المجتمع الحضرى . لعل منها ضرورة وجود نظم

= Culling Worth . j. B. Proplems of an Urban Society, George Allen & Unwin , London , 1972, VOL . 1, VOL.2, and VOL. 3,

وعاطف غيث : الاجتماع الحضرى ، مرجع سابق ذكره. ومصطفى الخشاب: الاجتماع الحضرى ، مرجع سبق ذكره وغير ذلك من مؤلفات ودراسات متعددة .

ومؤسسات حضرية قوية ، تستفيد من مستحدثات العلم والتكنولوجيا ، وتستثمرها الاستثمار الأمثل ، بشكل يجعل حياة المدينة أقل معاناه ، ثم إن هناك حاجة لوجود نمط من التخطيط الصحيح ، الذى يدرك أوجه القصور ، ويشخص أسبابها ، ويختار أسلوب القضاء عليها سواء فى ذلك ما يوجد فى الواقع الحضرى الفيزيقى ، أو الواقع الاجتماعى بشموليته . والى جانب ما سبق فإن هناك حاجة لإعطاء دفعة قوية لكل المؤسسات ، الحضرية الرسمى منها والطوعى .

ومن الناحية النظرية فإن البيئة الحضرية أصبحت مجالاً لاهتمامات متعددة من جانب مختلف العلوم الاجتماعية . فالجغرافيون مثلاً - يحاولون شرح مواقع التجمعات السكنية ، والأوضاع البيئية ، والمناخية وغيرها مما يؤثر على أداء المجتمع الحضرى . كما أن الديموجرافيين يحاولون قياس حجم السكان ، وتركيبهم فى المدينة . والتاريخيون يرصدون مختلف التطورات السياسية ، والثقافية وغيرها فى المدينة . ويرصدون مختلف التطورات التى حدثت فيها ، وبالإضافة إلى ذلك فإن الاقتصاديين يرون فى المدينة وحدة انتاجية ضمن أدوات الانتاج الاقليمية والقومية ، والعالمية ، وعلماء النفس الاجتماعيين يهتمون بظواهر مثل الاتصال الحضرى ، والرأى العام ، والقيادة فى الحضر ، كذلك التطورات العاطفية ، واللاعقلانية التى

تظهر فى المدينة من وقت لآخر، وتأثيرها على هذا المجتمع . كل هـذا فضلاً عن دراسات علم الاجتماع والأنثروبولوجيا . وبناء على ذلـك فـإن دراسة الحضر من ناحية ، وتخطيط المـدن ، ومواجهـة مشـكلاتها مـن ناحية أخرى ، يجب أن تستفيد من هذه المداخـل ، والفـروع المعرفيـة المختلفة ، حتى لو كان المدخل الذى تأخذ به هـذه الدراسـات مدخـلاً سوسيولوجيا بحتاً[1] .

(1) Cousins & Natpaul, Op. cit. P. 20 .

خامساً : التحضر فى جمهورية مصر العربية :-

لمصر تاريخ طويل من حيث أنماط الاستيطان الحضرى ، فمصر مهد الحضارات منذ قديم الأزل ، ونمت على ضفاف النيل المدن ، والامبراطوريات الكبرى ، فقد تأسست الاسكندرية عام ٣٣٢م.ق، وكانت المدينة الثانية فى الامبراطورية الرومانية ، وظلت ميناءً رئيسياً على البحر الأبيض المتوسط ، كما كانت القاهرة – أكبر مركز حضرى فى أفريقيا – عاصمة لمصر منذ (١٣٠٠) عام [1] .

إلا أن المدينة المصرية فيما قبل العصر الحديث – أى حتى الحملة الفرنسية تقريباً – لم تكن تختلف عن زميلتها القرية فى الحجم، أو فى المساحة ، أو فى الشكل ، أو التركيب، أو الجو العام، الفارق الوحيد فى الوظيفة ، غير أنه مع عملية التحضر الحديث بدأت عملية تباين مطرد ما بين المدينة والقرية إلى أن اكتملت التفرقة التامة بين النوعين فى العقود الأخيرة ، بل حتى وصلت إلى حد الهوة السحيقة بينهما فى بعض الحالات القصوى ، المهم أن العملية لم تصب كل المدن بدرجة واحدة ، ولا بمعدلات ، أو توقيتات موحدة ،

(1) El - Shakhs, Salah , Urbanzation in Egypt National Imperatives and New Directions In : Obudho R.A.. & EL-Shaks, Salah (Eds.) Devlopment of Urban Systems in Africa. Praeger Publishers, New York 1979, P. 116

وإنما جاءت أبكر وأسرع ، وأبعد مدى فى العواصم والمدن الكبرى وتخلفت وتباطأت ، وكانت محدودة القوة والمدى فى المدن الصغرى والأمصار [1] .

ولقد عبر "جمال حمدان" عن هذه الحركة أصدق تعبير حين أشار بأن موجة المدينة قد تخلفت عن موجة السكان فى مصر ، وظل معدل نمو المدن أقل من معدل نمو السكان العام حتى نهاية القرن الماضى ، ثم انعكست العلاقة بعد ذلك ، وبتزايد مطرد حتى أصبح المعدل المدنى يتفوق كثيراً على المعدل السنوى [2] .

ويكشف لنا تتبع النمو الحضرى فى مصر عن كثير من الدلالات الاجتماعية التى تفسر الضغوط السكانية ، والسكنية التى تعرضت لها المدن المصرية خلال القرن العشرين ، فبينما ازداد العدد المطلق لسكان مصر بحوالى أربعة أضعاف منذ تعداد (١٩٠٧) ، وحتى تعداد عام (١٩٨٦) ، ازداد حجم سكان المدن بحوالى ثمانية أضعاف فى نفس الفترة [3] .

---

(١) جمال حمدان ، شخصية مصر : دراسة فى عبقرية المكان ، جـ٢ ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٨١ ، ص ٢٢٨ .

(٢) محمد حافظ ، النمو الحضرى فى المجتمع المصرى ، دار سعيد رأفت للطبع والنشر ، عين شمس ١٩٨٧ ، ص ص ١٨٠ - ١٨١ .

(٣) السيد الحسينى ، علم الاجتماع الحضرى ، مرجع سابق ، ص ٣٢٣ .

ويعرف التحضر فى مصر سمياً منذ التعداد العام لسنه(١٩٦٠)، وحتى الآن على أنه [١] :-

١- المحافظات الحضرية : وهى القاهرة ، والاسكندرية ، وبورسعيد، والسويس .

٢- عواصم المحافظات الأخرى ، وعواصم المراكز فى هذه المحافظات.

٣- المناطق الريفية التى صدر بشأنها قرارات ادارية باعتبارها مناطق حضرية .

ويعتبر هذا المقياس تقديرياً حيث يمكن تحويل بعض القرى إلى مدن ، إذا ما طرأ عليها تغيرات تبرر ذلك ، وفى ظل نظام الادارة المحلية يشكل لكل مدينة مجلس ، أما القرى وتوابعها - الكفور ، والعزب ، والنجوع - ، فيشكل لكل مجموعة منها مجلس قروى يكون مقره احدى هذه القرى [٢] .

ولم تشغل قضية "المركز" ، أو المدينة - على حد تعبير التقسيم الإدارى الحالى فى مصر - بال الباحثين فى مسألة المدينة المصرية ،

---

(١) عبد الستار محمد ناجى ، أنماط واتجاهات التحضر فى اقليم وسط الدلتا ، مجلة السكان ، العدد ٣٧ ، يوليو ، ١٩٨٨ ، ص ٥١ .

(٢) محمد ابراهيم العزبى ، السكان الريفيون ، الشنهابى للطباعة والنشر ، الاسكندرية ، ١٩٩٥ ، ص ١٦

فدائما كانت القاهرة ، والمدن الكبرى الأخرى من جانب ، والقرية - بمعناها التقليدى - من جانب آخر هما القضيتان الشاغلتان لأذهان الباحثين ، ولاهتمام المنفذين على حد سواء . ومن ثم فقد القسم الأوسط فى التقسيم الإدارى الاهتمام بالدراسة ، كما أنه لم يلق - فى الوقت ذاته - أية عناية عملية بتنميته ، وباخراجه من عزلته وتخلفه [1] .

هذا ويمكن ارجاع النمو الحضرى فى مصر إلى ما يلى [2] :-

١- التنمية الزراعية المكثفة فى بعض المناطق ، وخاصة فى الدلتا مما أدى إلى نشأة العديد من المدن التجارية التى تعتمد على التجارة فى الانتاج الزراعى .

٢- كما ازدهر التحضر فى مصر بفعل العوامل الاقتصادية ، وارتباط المدن بشبكة السكك الحديدية .

٣- وساهمت النهضة الصناعية فى نشأة تجمعات حضرية جديدة جذبت إليها آلاف العمال من الريف إلى هذه التجمعات ، وخاصة صناعة الغزل ، ونسيج الأقطان ، وصناعات الحديد والصلب ، وغيرها .

---

(١) محمود فهمى الكردى ، المدينة المصرية : مشكلاتها وظواهرها ، مرجع سابق ، ص ٣٤ .

(٢) عبد المنعم عبد الحى ، مرجع سابق ، ص ص٤٤ - ٤٥

ويمكن تفسير ظاهرة تزايد عدد السكان بالمدن الكبرى مثل القاهرة، والاسكندرية . وطنطا . بالإضافة إلى الزيادة الطبيعية ، والهجرة الريفية الحضرية ، بالنظر إلى دور هذه المدن على الأصعدة القومية ، والاقليمية ، فلا شك أن بعضها قد لعب دوراً على المستوى القومى (القاهرة) ، كما أن البعض الآخر قد مارس تأثيراً قوياً على المستوى المحلى أو الاقليمى ، ولا يعنى ذلك أن حركة نمو المدن قاصرة على ذوات الحجم الكبير ، بل إن المدن الصغرى قد شهدت هى الأخرى نمواً مستمراً منذ بداية هذا القرن [1] .

ويتميز النمط الحضرى فى مصر ببعض الخصائص ، يشترك فى بعض منها مع خصائص التحضر فى العالم الثالث ، وينفرد ببعضها الآخر ، ويمكن أن أعرض لهذه الخصائص على النحو التالى :

أ- عدم التوازن بين المعمور واللامعمور :

توضح النظرة الفاحصة لخريطة مصر أن الصحارى المصرية تمثل (٦٩٪) من جملة مصر ، وباقى المساحة التى لاتزيد عن (٤٪) فقط عبارة عن شريط ضيق محيط بنهر النيل يتركز فيه (٩٩٪) من السكان، وباقى المساحة التى تعيش عليها (١٪) فقط ، وتنتشر فى داخل الرقعة

(١) محمد حافظ ، مرجع سابق ، ص ١٨٠ .

الزراعية فى هذا الوادى الضيق المحيط بالنيل فى المراكز الحضرية ، والقرى المنتشرة فى داخل الرقعة الزراعية المحدودة [1] .

ولقد أدركت مصر فى السنوات الأخيرة خطورة ذلك ، واتجهت إلى بناء المدن الجديدة ، والتوسع فى جنوب الوادى ، فضلاً عن سياسة توزيع الأراضى الزراعية على شبابا الخريجين لاستصلاحها من ناحية وتخفيف الضغط على المدن والقرى من ناحية أخرى .

ب- ظاهرة المدينة الأولى :

اتخذت الدولة من التخطيط أسلوباً للتنمية غير أن الخطط المختلفة عملت على تركيز الاستثمارات فى عدد محدود من المحافظات، مما أدى إلى نموها وتسلطها على حساب تدهو المحافظات الأخرى التى حرمت من عوامل نموها ، والمتمثلة فى الاستثمارات التى وجهت إلى مناطق أخرى ، وفى الفئة النشطة من السكان التى هاجرت إلى الحضر ، وفى الأنشطة التى توطنت أيضاً فى الحضر حيث الخدمات ، والوفورات ، والمناخ الملائم [2] .

فقد احتلت مدينة القاهرة دائماً موقع المدينة الأولى بالنسبة

---

(١) محمد أحمد غنيم ، مرجع سابق ، ص ص ٢٨٧ - ٢٨٨ .

(٢) معهد التخطيط القومى (اعداد) ، التفاوتات الاقليمية للنمو الاقتصادى والاجتماعى وطرق قياسها فى جمهورية مصر العربية، يوليو، ١٩٨٦ ، ص٣٢.

للمدن المصرية الأخرى ، بل إنها تتجاوز ذلك أحياناً لتصير أهم مركز حضرى فى أفريقيا ، والشرق الأوسط على الاطلاق فى حين نجد أن المركزين الثانى ، والثالث قد تبادلهما عديد من المدن المصرية خلال القرنين التاسع عشر ، والعشرين ، ففى عام (١٨٠٠) احتلت مدينة دمياط المركز الثانى ، بينما جاءت المحلة الكبرى فى المركز الثالث ، فى حين شغلت الاسكندرية المركز الرابع ، ومع أول تعداد أجرى بمصر عام (١٨٨٢) احتلت الاسكندرية ، وحتى اليوم ، المركز الثانى بين المدن المصرية [١] .

لذلك فإن علاقة القاهرة بالمدن الاقليمية ، والمناطق الريفية هى علاقة اقطاعية أدت إلى اضعاف "الطبقة الوسطى" من المدن ، فمن بعد القاهرة ، والاسكندرية تهوى أحجام المدن التالية ، وتهبط هبوطاً زريعاً، ففى عام ١٩٦٠ بلغ عدد سكان مدينتى القاهرة ، والاسكندرية نصف عدد سكان مصر تقريباً [٢] ، وقد أعلنت منظمة الصحة العالمية أنه من المتوقع أن يزيد عدد سكان مدينة القاهرة وحدها على عشرين

---

(١) محمود فهمى الكردى ، المدينة المصرية : مشكلاتها وأهم ظواهرها ، مرجع سابق ، ص ٤٢ .

(٢) السيد الحسينى ، المدينة : دراسة فى علم الاجتماع الحضرى ، مرجع سابق، ص ٢٧٥ .

مليون نسمة خلال الثلاثة عشرة سنة القادمة . أى أكثر من سكان قارة استراليا حالياً [1]

جـ- تضخم معدلات الهجرة الريفية - الحضرية :

أسهمت الهجـرة الريفيـة - الحضريـة بنحـو (٣١٪) مـن النمـو الحضرى فـى مصـر خـلال الفـترة مـن (٤٧-١٩٦٠) ، وحـوالى (٢٧٪) خلال الفترة من (٦٠-١٩٧٦) ، (١٧,٥٪) خلال الفترة (٦٦-١٦٧٦) ، وبلغ عدد المهاجرين مـن الريـف إلى الحضـر فـى عـام (١٩٧٦) حـوالى مليون مهاجر [2] .

وحدد التقرير المصرى أمام مؤتمر المسـتوطنات البشـرية ، الـذى عقد فى اسطنبول بتركيا فى يونيو (١٩٩٦) ، المحافظات الحضرية فى مصر - وهى القـاهرة ، والاسـكندرية ، بورسـعيد ، والسـويس - علـى أنها المحافظات الجاذبة للهجرة الداخلية ، حيث يبلغ صافى الهجرة إليها حوالى (٢,١٦٪) ، كما تستقطب محـافظتى القـاهرة والاسـكندرية حوالى (١٨,٢٥٪) مـن المهاجريـن [3] ، ويكفـى مؤشـراً علـى تضخـم

---

(١) عزة الحسينى ، تحذير من منظمة الصحة العالمية ، الأهـرام ، ١٩٩٦/٣/١٢ ، ص ١٩

(٢) محمود الكردى ، مرجع سابق ، ص ٧٩ .

(٣) عائشة عبد الغفار ، التقرير المصرى أمام مؤتمر اسطنبول ، الأهرام ١٩٩٦/٦/٣ ص ١٣

معدلات الهجرة الريفية - الحضرية فى مصر فى العصر الحديث أن أكثر من ثلث سكان العاصمة الحاليين من المولودين خارجها [1] .

وترجع هذه المعدلات العالية إلى أهمال الريف ، وحرمانه من الخدمات الأساسية مثل التعليم والصحة والمرافق العامة ، ونتيجة الضغط السكانى فيه على الموارد الزراعية المحدودة نجد سيلاً من الريفيين الذين يهجرونه إلى المدينة ، وفى المقابل نجد أن المدينة هى مركز القوة السياسية ، وتحظى بالعناية والرعاية من قبل الحكام لأنهم يعيشون فيها أولاً ، ولأنهم أكثر حساسية لمطالب سكانها ثانياً ، فالمهاجرون من الريف ينجذبون إلى المدينة بسبب الحرمان ، وهرباً منه من ناحية ، وبسبب ما توفره المدينة فى نظرهم من فرض أحسن من ناحية أخرى [2] .

ووفقاً للشواهد الإحصائية نجد أن نصيب الفلاح من الأرض الزراعية فى مصر قد تضاءل من فدان واحد فى أوائل القرن التاسع عشر ، إلى ثلث الفدان فى منتصف القرن العشرين ، إلى خمس الفدان فى أوائل الثمانينات ، أى أن الضغط السكانى على الموارد الزراعية فى

---

(١) عبد الهادى محمد والى ، التخطيط الحضرى ، مرجع سابق ، ص ٦٤ .

(٢) سعد الدين ابراهيم ، المجتمع والدولة فى الوطن العربى ، مرجع سابق ، ص ص ٣٢٤ ، ٣٢٥ .

تصاعد مستمر ، مما أدى إلى تقليص النصيب الفردى عاماً بعد عام ، وفى ظل غياب أى برامج جادة لتوزيع القاعدة الاقتصادية فى الريف مثل الصناعات الخفيفة ، والمتوسطة فإن مستوى الدخول يصبح غير كاف لسداد احتياجات قطاع كبير من سكان الريف ، مما يؤدى إلى البحث عن مهرب ، وأول ما يطرأ فى الذهن هو الهجرة إلى الحضر[1].

د- ترييف المدينة وتحضر القرية :

نتيجة لتضخم معدلات الهجرة الريفية - الحضرية يحدث ما يسمى بترييف المدينة ، فكما ترى "جانيت أبو الغد" أن المهاجرين الريفيين ينتمون إلى نمطين ، يتكون النمط الأول - وهو أفضل المهاجرين من حيث الكيف وأقلهم أهمية من حيث العدد - من الشباب فى مقتبل العمر ، المهاجر من أجل البحث عن العلم ، أو من أجل هدف أكبر ، ويكون لدى هذا النوع من المهاجرين الدافع ، والقدرة على التكيف السريع لثقافة المدينة ، ويتمثل النمط الثانى من المهاجرين غير المنتخبين Non - Selectives ويتكون بصفة أساسية من معدمى الريف ، ويندفع هؤلاء المهاجرين - بأعدادهم الكبيرة - إلى المدينة بنفس درجة طرد أرض القرية الجدباء لهم ، ويحاول هؤلاء

---

(١) المرجع السابق ، ص ٣٢٥ .

المهاجرين أن يكونـوا لأنفسـهم داخـل المدينـة صورة طبـق الأصـل مـن الثقافة التي تركوها ورائهم – ثقافة القرية – وذلك لقدرتهـم المحـدودة على تمثل ثقافة المدينة [1] .

فيحمل هؤلاء المهـاجرون الكثـير مـن عنـاصر ثقافـة مجتمعـاتهم المحلية إلى مجتمع الحضر الذى يقيمون فيه ، وليس هؤلاء المهـاجرون بالشخصيات "التافهة" التى لاوزن لهـا ، ولاهـم عجينـة طيعـة سـهلة التشـكيل، فمنهـم مـن يفـدون إلى المدينـة مغفلـين بغشـاء مـن الـتراب الريفى، وبأساليب مستقرة فى السلوك ، والعمل ، وأنماط محـددة مـن الولاء ، والالتزامات والأوضاع الاقتصاديـة ، وقنـوات الاتصـال ، وهـى جميعاً أشياء ليس من السهل أن تموت فى البيئة الحضرية [2] .

كما أن تضخم المدينة ، وازدياد حجمها يؤدى إلى احتمال اقترابهـا من المناطق الريفية المجـاورة ، فتنظـم إليهـا هـى وسـكانها – ذوو الأصـل الريفى – وكل أنشطتها سواء كانت زراعية بحتة ، أو مرتبطة بالزراعة[3].

---

(١) محمد الجوهرى ، علياء شكرى ، علم الاجتمـاع الريفـى والحضـرى ، مرجـع سابق ، ص ٥٠٩ .

(٢) السيد حنفى عوض ، مرجع سابق ، ص ١٢٠ .

(٣) محمود فهمى الكردى ، المدينة المصرية ، مشـكلاتها وأهـم ظواهرهـا ، مرجـع سابق ، ص ص ٤٤ – ٤٥ .

هـ- الإزدواجية الحضرية :

تشير النظرة العابرة إلى المدن الاقليمية المصرية عامة ، ومدينة القاهرة بخاصة ، إلى وجود قدر ملحوظ من الازدواجية ، إذ يوجد قطاعان أساسيان ، الأول قديم يقع عادة فى جنوب المدينة ، ويمتاز بقلب تجارى ذى طابع وطنى ، ويقوم عادة فى ظل جامع كبير تنتشر حوله غابة من المساجد الصغيرة ، وفى كل الأحوال فإن هذا القطاع يحاول مقاومة الانقراض الحتمى . أما القطاع الحديث فهو ابن القرن الماضى ، وأقرب إلى الطابع الأوروبى ، فهو مقر الجاليات الأجنبية ، وموطن الطبقات الغنية ، كما أن شوارعه مستقيمة وتتخذ شكلاً هندسياً معيناً ، ويقع هذا القطاع الحديث عادة فى الشمال ، كما أنه ينجذب دائماً إلى شاطىء النيل ، فالازدواجية الحضرية فى مدينة القاهرة تبدوا أوضح ما تكون فى اعتماد بعض أحيائها على خطة حضرية ، بينما تعتمد وتنمو الأحياء الأخرى بطريقة عشوائية [1] .

فخلال عقد السبعينات نمت المساكن العشوائية نمواً ملحوظاً فى مصر ، وهى مساكن لاتدخل فى نطاق التخطيط الحضرى ، ولا يتوافر

---

(١) السيد الحسينى ، المدينة : دراسة فى علم الاجتماع الحضرى ، مرجع سابق، ص ص ٢٦٩ - ٢٧٠ .

فيها الحد الأدنى من الشروط الصحية اللازمة لحياة الانسان [1] ، وذلك نتيجة لهجرة القرويين إلى المدينة والتمايزات الطبقية ، وانهيار المساكن القديمة وتركز المشروعات الصناعية بالمدينة ، وحدث تطور فى البناء الاقتصادى داخل المدينة ، وعدم قدرة هذا التطور على استيعاب جميع السكان [2] .

وتحت ضغط ما يسمى بالارهاب والتطرف تزايد الاهتمام بالمناطق العشوائية على اعتبار أنه اتضح أنها مكان ملائم لاختفاء العناصر الخارجة عن القانون ، ودليل ذلك أن المناطق المتخلفة وجدت من قبل ، ولم تحظ بمثل هذا الاهتمام ، وتغيرت التسمية من المناطق المتخلفة إلى العشوائية تحت ضغط هذه الظواهر الحديثة .

فقد اتجهت مصر فى توجيه مسار التحضر وضبطه إلى نقل بعض الأحياء المتخلفة كحى عشش الترجمان ، وحى المحمدى من قلب مدينة القاهرة إلى مناطق الامتداد العمرانى شمال العاصمة ، بعد أن قامت بتخطيط المناطق الجديدة ، وتزويدها بالبنية الأساسية ، والخدمات ، والمساكن ، ثم شرعت فى نقل السكان إلى هذه المناطق

---

(١) السيد الحسينى ، علم الاجتماع الحضرى ، مرجع سابق ، ٣٠٤ .

(٢) محمد الجوهرى ، سعاد عثمان ، دراسات فى الأنثروبولوجيا الحضرية ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٩١ ، ص ص١٨٩ – ١٩٠ .

المستحدثة ، كما شرعت مصر فى اعادة تخطيط بعض المستوطنات العشوائية فى منطقة حلوان ، وعين شمس ، بعد دراسة ظروف كل منهما على حدة ، وبعد تحديد أولويات المشاكل فى كل منهما ، وأهم احتياجات السكان [1] .

كما شرعت مصر فى بناء المدن الجديدة المستقلة كمدينة العاشر من رمضان، ومدينة العامرية ، ومدينة السادات ، ومدينة برج العرب، ويهدف انشاء هذه المدن إلى اعادة توزيع سكان مصر ، والتقليل من التكدس السكانى فى كل من القاهرة ، والاسكندرية ، وذلك بالانفتاح على الصحراء المصرية واعادة توزيع الصناعات المتوسطة على خريطة البلاد بدلاً من تكتلها فى المدن الكبرى . ولكن هذه المدن الجديدة لاتؤدى دوراً ملموساً فى خفض التكدس الحضرى ، وذلك للتناقض الطبيعى بين سياسات الاصلاح الاقتصادى الجديدة ، وسياسات جذب السكان من داخل المدن الكبرى .

وفى نهاية هذا الفصل نستخلص الباحث ما يلى :

١- أن الحضرية هى مفهوم كيفى يعبر عن طريقة فى الحياة وأسلوب

---

(١) نهى السيد حامد فهمى ، الاستيطان الحضرى والتنمية المستقبلية للمدن المتوسطة ، فى : أحمد الألفى وآخرون ، الانسان فى مصر ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٦ ، ص ١٦١ .

فى التفكير يختلف من مجتمع لآخر ، أما التحضر فهو مفهوم كمى يشير إلى نسبة السكان المتزايدة التى تعيش فى المدن ، لذلك فإن هناك فروقاً كبيرة بين التحضر ، والحضرية فى بعض المجتمعات – مثل مجتمعات العالم الثالث – وقد ينطبق المفهومان فى مجتمعات أخرى فيصبح كل من يسكن فى المدينة متميزاً بطريقة الحياة الحضرية ، لذلك لاتنطبق خصائص الحياة الحضرية على كل المجتمعات .

٢- للمجتمعات الحضرية فى دول العالم الثالث ، بصفة عامة ، وللمجتمعات الحضرية المصرية ، بصفة خاصة ، خصوصية اجتماعية واقتصادية وثقافية ، لذلك لاتنطبق الدراسات الحضرية فى المجتمعات الغربية على المدن المصرية بنفس الكيفية ، ولذا يجب توخى الدقة وعدم التعميم .

الفصل الثالث

مداخل الدراسة فى علم الاجتماع الحضرى

تمهيد

بينما يرى بعض العلماء أن التحضر يعتبر مدخلاً رئيسياً للتنمية، ويحاولون الكشف عن العلاقة المتبادلة بين التحضر والتخلف والتنمية ، ومع أن هذا يمكن أن يكون مدخلاً مقبولاً فى كثير من المجالات .. إلا أن الأمر قد يزداد صعوبة إذا أدركنا أن المجتمعات المتحضرة نفسها أصبحت فى حاجة ماسة للتنمية ، وأن قطاعات كبيرة منها يمكن أن توصف بالتخلف .. فكيف إذن تدخل لدراسة التنمية والتخلف فيها .. ؟

إن هذا التساؤل يشكل قضية محورية من قضايا هذه الدراسة ، لأنها تحاول تعمق مداخل دراسة المجتمع الحضرى ، والتى كانت كل منها تركز بدرجة ما أو بأخرى على جانب من الجوانب أو غيره ، وتأخذ بمنظور معين فى فهم طبيعة الحياة فى المجتمع الحضرى ، وفى المدينة كنموذج لهذا المجتمع ، ومن خلال ذلك تحاول هذه الدراسة تطويع بعضها من أجل المساعدة فى تكوين مدخل للدراسة الحضرية من منظور قضية التخلف والتنمية فى هذا المجتمع ، لأن مثل هذا المدخل لابد أن يستفيد من مداخل الدراسات الحضرية عامة، ومداخل دراسات التخلف والتنمية فى نفس الوقت .

ومما يضفى هذه الاهميه على قضيه المدخل فى دراسة التخلف

والتنميه الحضريه ،أنها لا تزال حتى الآن لم تعالج فى بلاد العالم النامى بالشكل الذى يتلاءم مع ظروف هذا العالم وواقعه ،وحتى فى الغرب ، كما سيتضح من عرضنا القادم – عولجت القضيه من مداخل جزئيه وسطحيه لم يربطها منهج محكم ،أو منظور ملائم ،أو ادراك واع لأبعادها .. فاذا كان قد غلب على تجارب التنمية فى العالم الغربى الآخذ بهذه المداخل الجزئية مثل مدخل الخدمة الاجتماعية الجزئى المحدد ، وحتى إذا كانت هذه المداخل قد نجحت فى عبض تجارب الغرب ، فإنه تقف عاجزة عن فهم التخلف والتنمية فى إطار سوسيو تاريخى متكامل الأبعاد ومن هنا تكشف عجزها .. وأصبحت الحاجة ملحة لمداخل جديدة للتخلف والتنمية تساعد عل الوفاء بالآمال والتطلعات على المستوى القومى والمحلى معاً . وأن نفس الأمر قد حدث بالنسبة لدراسة قضية التخلف والتنمية فى المجتمع الحضرى ومداخلها .

ومما يزيد الأمر صعوبة فى النقطة السابقة أن دراسات التحضر نفسها رغم كثرتها تركز على مدن معينة ، أو مقاطعات معينة ولاتنطبق فى الواقع إلا على المدن الأمريكية والأوربية ، وينعكس ذلك بالتالى على دراسات التنمية الحضرية ومداخلها .

أولاً : المدخل الأيكولوجي (1) : Ecological approach

ظهرت الأيكولوجيا الإنسانية ضمن دراسات علم الاجتماع الحضرى نتيجة الانتقاد الذى وجه لعلمائه بأنهم لايأخذون فى اعتبارهم عامل المكان والأرض ، وتأثيرها على الجماعات الإنسانية ، ومن هنا أخذوا فى الاهتمام بدراسات من هذا المنظور فى أمريكا اعتباراً من ١٩٢٠ على يدى روبرت بارك R. Park وزميله إرنست بيرجس

---

(١) تشير كلمة "أيكولوجيا Ecology" كما تستخدم فى البيولوجيا إلى الطريقة التى تتوزع بها النباتات والحيوانات فى مناطق معينة ، أما الأيكولوجيا الإنسانية فتهتم بتوزيع الوظائف المختلفة والجماعات والنظم عبر منطقة معينة، والعمليات المتضمنة فى هذا التوزع ، معنى ذلك أن كلا التعريفين يشيران إلى توافق الأعضاء مع موطنها الأصلى أو سكناها الطبيعية .

Bissanz, John & Mavis "Modrn society: An introduction to social scinece, Printice-Hall, inc. N. York, 1959, P. 145 .

ويعرف روبرتسون Robertson الإيكولوجيا على أنها ذلك الجانب العلمى من العلم الاجتماعى الذى يهتم بالعلاقة بين الإنسان وبيئته ، وهو أمر حيوى بالنسبة للسيطرة على الأحداث ، فالأعمال التشريعية والإدارية تغير الآن من البيئة الانسانية ، ولكن مالم يكن ذلك قائماً على أساس علمى ، فإنها تصبح غير قادرة على السيطرة أو التحكم الفعال ، وهى تقوم على أساس تحليل القوى الفاعلة فى الحياة .

Robertson, Thomas, "Human Ecology : The Science of Social Adjustment" , William Maclelan, Glasgow, 1947, P. 413

E. Burgess ، وروبرت ماكينزى R. Mackenzie وعندما شكلت الأيكولوجيا البشرية اتجاهاً قوياً فى علم الاجتماع عرفت على أنها العلاقة المتبادلة بين الانسان والبيئة ، ولاتقتصر البيئة هنا على البيئة الفيزيقية بل تمتد إلى النظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والى مكونات الثقافة المادية التى ابتكرها الإنسان [١] .

وإذا كان هذا النوع من الدراسات قد ظهر فى أمريكا باسم الأيكولوجيا الإنسانية على يد هؤلاء العلماء ، فقد لخص أموس هاولى Amose Hawly المجال العام لهذه الدراسة فى كتابة : "The human cology A theory of community structure, 1950" إلا أنها ظهرت فى فرنسا أيضاً باسم المورفولوجيا الاجتماعية Social morphology على يدى هالفاكس M. Halwaks فى مؤلف صغير بعنوان Morphologie sociale عام ١٩٣٨ [٢] .

ولكن هناك مناطق نمت فيها المدن نتيجة لجهد الإنسان كانسان ، مما تبرز معه خطورة تخطى الاهتمام بالثقافة ، ومن العمليات التى تتسم بها الايكولوجيا البشرية : الغزو invasion ، والانقسام segregation ، والانتشار decentralisation ، والمنافسة

---

(1) Erickson, op. cit. chap . 5 .
(2) Dickinson, Robert, E. "The City Region in Western Europe" Routledge & Kegan paul, London , 1967, pp. xi - xii.

competition ، والتعاقب succesion وهذه العمليات هى خطوات عن طريقها تنمو المدينة وتتغير [1] .

وعن هذه العمليات نشأت أنماط متشابهة من المدن الأمريكيـة ، وتطورت كثير من النظريات الخاصة بالنمو الحضرى ، وأنماطه تأسيساً على المدخل الأيكولوجى ومنها :

١- نظرية أرنست بيرجس : E. Burgess – وتسـمى نظرية النمـوذج الدائرى المتراكز Concentric – وترى أن النمـو فـى المدينـة يـأخذ الشكل الدائرى الـذى يتخـذ شـكل حلقـة clustor حـول المركـز ، ويتوزع السكان فى هذه الدوائر ، وبكل حلقة منطقة لهـا سماتهـا ، فاشـتملت المدينـة علـى مناطقـة خمسـة ، حـى الأعمـال المركـزى central business district ومنطقـة التحـول zone of transition ، ومنطقة سكن رجال الأعمـال ، فمنطقـة الضواحـى . وقد أشار بيرجس إلى مدينة شيكاغو كنموذج حـى للتعبـير عـن هـذه النظرية ، وإن نظرة عابرة على هذه المدينة توضح أنها تـأخذ شـكلاً مربكاً للعين أو محـيراً فهـى تـأخذ شـكل دوائـر تحيـط بنقطـة هـى المركز، ومع ذلك فإنه يبقى هناك تساؤلاً حول إمكانية التعميم بنـاءً

---

(1) Biezanz, op. cit. pp. 145-148 .

على دراسة أو دراسات أجريت على مدينة واحدة مثل شيكاغو

٢- نظرية هومر هويت : Homer hoyet وتسمى نظرية القطاع sector theory - وتقوم على أساس أن النمو يبدأ من منطقة المركز فى اتجاه الخارج على هيئة قطاعات ، فتبدأ الطبقات الغنية فى التنقل نحو الخارج ، ومع استمرار ذلك التنقل تنتقل معهم أو تنشأ أوجه نشاط ترتبط بهم وبخدماتهم كالمتاجر ، والباعة والصيدليات ، ودور السنما . ويزيد من هذا الاتجاه نحو الخارج إنشاء المصانع خارج أو على حدود المدينة ، وقد استخلص هويت هذه النظرية من دراسة أجراها على ١٤٢ مدينة أمريكية انتهى إلى القول بعدها بتكرار النمط الأيكولوجى فيها بشكل متشابه ، بحيث يقوم نمطها على أساس قطاعات تأخذ كل منها شكل قطاعات على حد تشبيهه [(١)] .

٣- نظرية هاريس وأولمان : Harris & Ulman ، ولقد طور هذان العالمان نظرية أخرى وهى ما يعرف بنظرية النوى المتعددة Multiple nuclei theory ولقد كان العنصر الجديد فى هذه النظرية هو إدخالها للوظيفة أو النشاط عند النظر للامتداد

---

(1) Bogardus, Emory, S. "Sociology" The Macmillan Company, New York, 1957 , pp. 139 - 141 .

الأيكولوجى للمدينة . فهناك أكثر من مركز للإنتاج ، وأكثر من مركز للتجارة ، والتبادل ، وأكثر من مركز يقوم بوظيفة سياسية ، والنوع الرابع يقوم بوظيفة ثقافية ، والنوع الخامس يقوم بوظيفة الاستجمام والراحة ، وأما النوع السادس فيقوم بوظيفة أو يحتوى على وظائف وأوجه نشاط متنوعة ، فانتقال الناس من مكان لآخر ومن منطقة لأخرى ، من المركز مثلاً لمناطق مجاورة يتطلب انتقال أوجه نشاط مختلفة تأخذ شيئاً فشيئاً فى تشكيل نواة جديدة تخفف من الاعتماد الكبير على المركز ، ولقد استخدمت هذه النظريات والنظريات السابقة كأساس للتصنيف المختلف للمدن وتنميط الوجود الأيكولوجى للمدينة اعتماداً على نمط استخدام الأرض land use pattern [1] .

هذه هى أهم النظريات السائدة فى الأيكولوجيا – ولو أن هذا العلم حديث النشأة إلا أنه منذ وقت يحاول تحديد ميدانه وقضاياه ، فيفرد جوردن إيركس الفصل الرابع من كتابه السالف الإشارة اليه للحديث عن تطور الاهتمام به وبمنهجه ، فيقول أنه بينما يهتم علم الاجتماع الحضرى بالعلاقات الاجتماعية الشعورية فى المدينة ، نجد

(1) bogardus, op. cit, p. 142 .

أن الأيكولوجيا تهتم بداسة العلاقات اللاشعورية فيها ، وما حاول الإنسان صنعه من منتجات ثقافية لكى يتوافق مع بيئته توافقاً مريحاً . وكان هذا بالتأكيد توسيعاً لمجال الأيكولوجيا بدلاً من التركيز على النطاق الجغرافى للمدن، ، فتدرس الأيكولوجيا بدلاً من التركيز على النطاق الجغرافى للمدن ، فتدرس الأيكولوجيا الآن كيفية تأثير البيئة الطبيعية والتكنولوجية على حياة الناس فى المجتمع ، مثل ميادين الثقافة والموطن الطبيعى ، والنظام الاقتصادى ، والسياسى والأخلاقى، وكذلك التفكك الاجتماعى الذى ينتج عن تزايد عدد السكان أو سوء توزيعهم فى المكان وتنقلهم ، وينتهى اريكسن إلى أن الأيكولوجيا علم جديد ، ووجهة نظر جديدة ، ذات وسائل فنية فى البحث يمكن أن تضاف إلى العلوم الاجتماعية الأخرى [1] .

ولقد اتجهت الإيكولوجيا اتجاهات عدة ، وأصبحت كطريقة لانشاء واختبار درجة العلاقة بين المتغيرات مستعينة فى ذلك بالخرائط والمادة الإحصائية . فلقد درس دانهام ، وفارس Dunham & Faris المناطق التى يسودها العصاب فى شيكاغو ، وحاولا إيجاد العلاقة بين هذه الظاهرة وتغييرات أخرى مثل ملكية المنزل ، وسكنى الحجرات، والنسبة المئوية لغرباء المولد والزنوج واتضحت قيمة هذه الطريقة لأنها

(1) Erickson, Op. cit., chap . 4 .

بسطت عرض المادة ، وأوضحتها وقننت البحث فى المتغيرات ذات الصلة بالمدينة [1] .

ومنذ عام ١٩٣٠ أصبحت الأيكولوجيا ينظر إليها على أنها علم يسوده الغموض – وكان هناك اتفاق عام بين المؤلفين ، والعلماء على ضرورة تصحيح الوضع الكلاسيكى لهذا العلم ، فقد أجرى تيودورسون Theodrson مراجعة للدراسات السابقة ونقحها ، واقترح ثلاثة ميادين تمثل مجالات للعمل الحديث أو المعاصر وهى :

١- التقليدية المحدثة — Neo - orthodox

٢- تحليل الميدان الاجتماعى — Social area analysis

٣- الميدان السيوسيوثقافى — Socio - cultural area

ولكل من هذه المجالات الثلاثة مدرسة خاصة به – تهدف المدرسة الأولى إلى تخليص النظرية الأيكولوجية من التصورات غير العقلية التى خلقها عدم الاهتمام فى مجالا استخدام المنهج الأيكولوجى، وإعادة التأكيد على بناء المجتمع وقواه التحتية كشكل ممكن للشرح والتحليل [2] .

---

(1) Faris, Robert, E.L. & Dunham, Warren, H. "Mental disorders in Urban Areas" University of Chicago press, Chicage 1967, PP. 1-7.

(2) Theodorson, George, A. "Studies in Human Ecology" (ed) Evanston III., Row Poterson & Company, 1961, P. 115-120.

أما مدرسة تحليل المجال الاجتماعى فقد استمرت فـى تأسـيس القانون الأساسى للإيكولوجيا ، والقائم على الاعتماد المتبادل للأنسـاق، وقد تصور علماؤهـا أربعـة متغـيرات تتبـادل الاعتمـاد فيهـا بينهـا فـى المركب الأيكولوجى وهى : السكان، والبيئة ، والتنظيم، والتكنولوجيا. فالدخان المشبع بالأتربة smog قد وجد فى لوس أنجيلوس مثلاً ووفقـاً لتحليل دنكان نظراً لوجود عدد كبير من الناس (السكان) يعيشـون فـى منـاطق واطئـة ومجوفـة (البيئـة) ، ويعتـم ذلـك علـى وجـود الصناعـة والتكنولوجيا فى المدينة (التكنولوجيا) – ثم اتخـذت بعـض الخطـوات من جانب التجمعات المحلية لمقاومة ذلك التلوث (التنظيمات) [١] .

ولكن مدرسة التحليل الاجتماعي قد ركـزت بشـكل كبـير علـى المتغيرات الاقتصادية كقوى أساسية فى التفسير ، مما جعلهـم يـتركون البيئة الطبيعية بدون استكشاف دقيق ، ولكنهم أخذوا بمنهـج مضبـوط يقوم على عزل سمات ثلاث اعتبروها ذات سيادة فى المجتمع وهـى : الطبقة الاجتماعية أو المرتبة ، والتحضر، والانقسام ، لأنها تساعد على شرح المناطق الفرعية الهامة لأجزاء مختارة من المنـاطق الميتروبوليتـان ، وهو ما افتقدته الدراسات المبكـرة للأيكولوجيـين . ولقـد سـاعدت هـذه

---

(1) Duncan, Otis Dully & Schnene, W. "the myth of human ecology" in , sociological inquiry, vol. 3. 1961. PP 1-15 .

المدرسة على فهم الشكل الذى تتخذه المتغيرات الاجتماعية فى امتداداها الدائرى فى المكان . وعلى الرغم من قيمة هذه المدرسة إلا أنه مما يؤخذ عليها أنها لم تقدم شيئاً فى مجال الصلة بين البيئة الفيزيقية والظاهرة الاجتماعية [1] .

أما المدرسة الثالثة وهى المدرسة السوسيولوجية ، فقد كان فيرى W. Firey من أهم روادها . فأشار إلى أمثلة من أنماط استغلال الأرض حددها الناس وفقاً لأهداف ثقافية . ولقد أشار إلى مثال من عملية إعادة التوطين Relocation فى Boston قائلاً أن الناس هناك قد دافعوا عن مواطن قديمة ، وفضلوا المحافظة عليها كما هى بدلاً من إحلالها بطرق عامة أو أحزمة خضراء green belt ، ونظم الناس أنفسهم لمقاومة أى شكل آخر من أشكال استغلال الأرض ، لأن بقاء هذه المناطق على ماهى عليه يشبع لدى الناس حاجات ثقافية ، كالمناطق التاريخية والأثرية . وأوجد دراسون آخرون مثل جوناسين Jonassen علاقة مشابهة كنوع من التأكيد على العلاقة بين الظاهرة الاجتماعية والأيكولوجية ، ولقد تضمن كتاب فيرى الإشارة إلى العديد من هذه الأنماط [2] .

---

(1) Michelson, William. "man and his urban invironment A sociological approach "Addison, Wesley company inc. Philippnes, 1970. PP. 14-16.

(2) Firey, waler. "Land use in central Boston" Harvard University press, Cambridge, 1977. P. 15 F.

ثانياً : مدخل التحليل على أساس النماذج المثالية :-

اهتم بعض علماء الاجتماع بالتحليل النموذجى تأسيساً علـى أن الباحث يمكن أن يتوصل عن طريق الخصائص الملازمة لموضوع أو ظاهرة معينة بغية الوصول إلى صورتها الكاملة ، ونهايتها المنطقية بغض النظر عن إمكانية انطباقها على الواقع لاسيما على مستوى مدينة بعينها [١].

وإن المتتبع لهذا المدخل يجد أصوله عند فرديناند F. Tonnes فى نظريته عن الجماعة المحلية والمجتمع ، ودوركيم E. Dorkheim فى نظريته عن التضامن العضوى ، والتضامن الآلى ، وروبرت فيلد R. Redfield فى نظريته عن نمـوذج الفولك Folk society والمجتمع الحضرى وكذلك سير هنرى مين Sir. H. Main فى نموذجه التصورى المماثل [٢] .

ثالثاً :مدخل التحليل على أساس السمات الريفية الحضرية :-

لقد أصبح أمراً طبيعياً أن يحاول علماء الاجتماع الحضـرى عقـد مقارنـات بـين السمات الريفيـة والحضريـة لتحليـل التغـيرات التـى حدثـت، وتـأخذ فـى الحـدوث . وكـانت هـذه محاولـة للتغلـب علـى

---

(١) عاطف غيث ، مرجع سابق ، ص ١١٣-١١٤ .

(٢) عاطف غيث ، مرجع سابق ، ص ١١٥ .

تعقيدات الحقائق المجردة . ويمكن تطبيق هذا المدخل على مجتمعات بعينها ، ولعل من أشهر من قاموا بمثل هذه المحاولة بيتريم سوركين P. Sorokin ، وكارل زيمرمان K. Zimmerman فتقوم التفرقة بين المجتمعين عندهما على أساس المهنة ، أى أنهما استخدما فى التحليل محكات مهنية ترتبط بها عدة سمات أخرى ، واختلافات تنمو تأسيساً على هذا المحك الرئيسى ، وحددوا هذا السمات فى ثمانية بالإضافة إلى المهنة هناك البيئة الطبيعية ، حجم المجتمع ، كثافة السكان ، التجانس واللاتجانس ، فروق التدرج الاجتماعى ، والحراك ، نسق التفاعل . فبالنسبة للمهنة مثلاً نجد أن جميع السكان وأسرهم يعملون بالزراعة ، وعدد قليل منهم يعمل فى مهن غير زراعية فى المجتمع الريفى . وفى المجتمع الحضرى يعمل جميع السكان تقريباً فى مهن غير زراعية ، كالمهن الصناعية والتجارية ، أو الميكانيكية ، أو التبادلية ، أو الفنية أو أعمال الحكم والإدارة وغير ذلك . وهكذا يستمران فى التمييز بين الريف والحضر فى مجال المتغيرات السبعة الأخرى ، ويسميانها متغيرات تابعة [1] .

وعلى المستوى الحضرى هناك من يرى سمات عامة فى كل

(1) Sorokin, P. A. & Zimmerman , C. C. Principles of rural urban sociology, Henry-Holt and company, N. York. 1929. PP.3-33.

المدن الطبيعية منها :

١- الوظيفة المتخصصة داخل الاقتصاد الكبير ، ففيها التخصصات غير الزراعية كالسياسة والترويح والوظائف الدينية والتعليمية وغير ذلك.

٢- تجمعات كثيفة وكبيرة من البشر ، فيشغل الريفى فى القرية مساحة تصل إلى حوالى ٥٠٠ ضعف ما يشغله ساكن المدينة ذات الحجم الأكثر من ١٠٠,٠٠٠ نسمة [١] .

٣- علاقات اجتماعية متميزة : فهناك علاقات تنتج عن الظروف السابقة ، وتتأثر بها من حيث درجة العمق واللاإسمية ، والتخصص ، وتزايد الأدوار التى يلعبها الفرد والانقسامية مما يظهر التناقض بين العلاقات الاجتماعية الريفية والحضرية .

٤- ومن حيث التنظيم الداخلى Internal organization فهذا التنظيم ذو شقين ، الأول مكانى مثل الأقسام الأيكولوجية فى المدينة ، والآخر اجتماعى مثل تنوع النظم والطبقات ، والجماعات المنظمة رغم تباين أعضائها ، والعوالم الاجتماعية الصغيرة داخل المدينة[٢].

---

(1) Bogue, Donald, J. "The structure of the mertopolitan community" An Arbor University of Chicago press, 1949, P. 35 .

(2) Quinn, james "Urban sociology" American book company, N. Y. 1955. PP. 15-24.

رابعاً : مدخل التحليل على أساس المتصل الريفى الحضرى :

Rural Urban continuum approach

يقول لين سميث ان الريفية والحضرية لم تنشأ من فراغ على ماهى عليه الآن ، فإن ملامحهما الأساسية تختلط معاً ، ولاتوجدان فى أشكال متباعدة ، ولاتنسخ أحدهما الآخر ، ومن هنا يميز بين أقصى أنواع التحضر ، أو التحضر المفرط ويطلق عليه hyper urbanization وأدنى أشكال الريفية sub-rural وهذا التمييز ليس على أساس نظرية ثنائية انقسامية dichotomy وإنما على أساس نظرة ترابطية ، فهو يأخذ بفكرة الأقطاب Polars المتصلة والمرتبطة فيما بينها ، وذلك بهدف الوصول إلى أن التحضر قد تطور عن الريف [1] .

ومهما يكن من أمر فإن تصنيف المجتمعات إلى ريفية وحضرية ماهو إلا خطة فارغة فى أحسن أحوالها ، إذ أن هناك محاذير من أن:

١- الانتقال من المجتمع الريفى الخالص إلى الحضرى الخالص لايتم فجاءة ولكن بالتدرج .

٢- ليس هناك حداً فاصلاً بين المجتمع الريفى والحضرى بشكل صارم [2] .

---

(1) Smith , Lynn, T. "Urban and Rural Worlds" in : Smith L. T. & Macmamhan, C. S. "The Sociology of Urban life", New York, 1951, P. 43 .

(2) Sorokin, P. & Zimmerman, C. C, op. cit. P. 14 .

هـذا بالإضافـة إلى أن المدينـة والقريـة همـا قطبـا المجتمعـات الإنسانية ، مع وجود تدرج متصل يلغى فكرة الثنائية فـى التقسـيم إلى ريف وحضر فحسب .

فمفهوم المتصل الريفى الحضرى يشتمل على فكرتين أساسيتين:

الأولـى : التدرج المتصـل continious graduation أى التقسـيم إلى مراحل متدرجة .

الثانية : التغير المتسق consistent change .

ويكون المقياس هنـا هـو الحجـم ، ولـو أنـه تعسـفى ، وعرضـه للانتقاد ، إلا أن أحداً من العلماء لم يقدم بديـلاً عنـه ، وقـد اسـتخدم معيار حجم السكان فى أمريكـا فـى تعـداد ١٩٥٠ للتمـيـيز بـين منـاطق خمسة :

١- **المناطق المتحضرة** : urbanized areas وهـى تشـمل مدينـة ذات حجـم سـكانى ٥٠ ألـف نسـمة علـى الأقـل بالإضافـة إلى الضواحي المتضمنة وتتضمن مدينة مركزية أو أكـثر ، ومنـاطق غـير مدمجـة uncorporated areas بحيـث يكـون بهـا ٥٠٠ وحـدة سكنية على الأقل أو مركزاً للنشاط التجـارى والصنـاعى ذو علاقـة قوية بالمدينة المركزية.

٢- أماكن خارج المناطق المتحضرة .

٣- مناطق ريفية غير قروية nonvillage rural .

٤- مناطق غير زراعية nonfam .

٥- مناطق زراعية farm .

والمناطق الريفية الأخيرة تصنف فى معظم جداول الإحصاء تحت اسم ريف - ويقع حجم سكانها بين ١٠٠٠و ٢٥٠٠ نسمة والمناطق تحت الألف تقع تحت فئة الريف اللازراعي ، ومن مميزات هذا التصنيف أنه فصل القرى village عن الفئات الريفية الأخرى ، وتشتمل المناطق الريفية غير الزراعية على ثكنات الجيش وبعض أطراف المدن ، والسجون ، والمستشفيات ، ومناطق العزل ، أى أنه ليست هناك ملامح واضحة لهذه الفئة مما يؤخذ على هذا التصنيف من عيوب [١] .

ولقد أورد دنكان هذا التصنيف فى معرض دراسته لفرض المتصل الريفى الحضرى اعتماداً على متغير الحجم كمتغير مستمر ، وانتهى إلى أن الشواهد التجريبية لاتعارض هذا الفرض فى بعض الأحيان ، وإن كان فى البعض الآخر لايتأيد عن طريق الحجم ، فنسبة الذكور وحجم الأسرة لايتدرجان على المتصل كما هو مفروض . وكذلك فإن توقع تدرج

---

(1) Duncan, Otis Dudly "community size and rural - urban continuum" in : hatt, Paul, K. & Reiss, Albert, v. Jr. (eds) "Reader in urban sociology" Glencoe III, The free press, 1951. PP. 35-40 .

المتغيرات التابعة طبقاً لتدرج المتغير المستقل وقع خاطيء . ومن ناحية أخرى وجدت علاقة بين حجم المجتمع ، وبعض المتغيرات الأخرى على جزء فقط من المدى الكلى للمتصل ، وتنطبق بشكل خاص على المجتمع الأمريكى ولاسيما فى مجال تغير أنماط السلوك فى المراحل المختلفة للمتصل .

ومع ذلك يرى دنكان أنه من المشكوك فيه أن نصل إلى نتائج مخالفة لو أخذنا متغيراً آخر غير الحجم ، مثل الكثافة ، أو سيادة مهنة معينة أو غيرها ، ومن هنا يذهب إلى الحاجة إلى تصنيف يقوم على أساس استقرائى للمجتمع inductive classification ويرى أن ذلك أكثر قيمة من الناحية العلمية من فرض المتصل الريفى الحضرى. كما أن التصنيف الواقعى سوف يكون متعدد الأبعاد multi dimensional يأخذ فى اعتباره بالنظريات المختلفة التى تنطبق على صلة الكثافة السكانية ، والحجم بعدم التجانس ، والتى توضح اتجاهات تغير هذه العملية مثل فرض هربرت سبنسر عن العلاقة الإيجابية بين الكثافة الاجتماعية وهى تكرارات الاتصال والتبادل بين السكان ، وإن الأخذ بهاتين الفكرتين يعطينا متغيراً وسيطاً intervening يتضمن الاتصال السيكولوجى والاجتماعى [1] .

---

(1) Ibid, P. 35 .

خامساً : المدخل الجغرافي : geographic approach

ويهتم المدخل الجغرافى لدراسة المناطق الحضرية بشرح السمات الفيزيقية والعلاقــات المكانيـة التـى تحـدث فـى المنطقـة وبينهـا وبـين المناطق المحيطة بها . وكذلك توزيع السكان وأوجه النشاط الاقتصــادى والاجتمـاعى فـى ضـوء هـذه الســمات الفيزيقيــة . فتبــدأ الدراســات الجغرافيـة بشـرح دقيـق للمنطقـة الحضريـة ، شــكلها وطبوغرافيتهــا وسماتها الجيولوجية ، وسمــات الطقس ، ثـم تقـوم بتصنيـف المنـاطق الفرعية وتحليل الفروق الجغرافية موضوع الدراسـة . ثـم تـدرس توزيـع السكان والسمات الثقافية للمنطقـة وعلاقتهـا بتنـوع السـمات الفيزيقيـة والجيولوجية والطبوغرافية ، والمنــاخ ، وتعتمـد معطيـات هـذا المدخـل على ما يوجد فى الأرض والتربة ، والماء ، والزراعة ، وأمـا تكنيكـات التحليل فتقوم على تحليـلات رياضيـة وإحصائيـة متطـورة . والمشـكلة المحورية فى هذه الدراسات هى تلك الخاصة بموقـع المكـان الحضـرى نفسه – داخل الإقليم ، أو الدولة ، وموقـع أوجـه النشـاط الاقتصـادى وأنماط استغلال الأرض داخل المنطقة الحضرية . كما يهتم هذا المدخــل بآثار زيادة وسائل النقل فى الإقليم أو الدولة على النمو النســبى للمـدن وتطورها ، وكذلك العلاقة بين توزيع السكان ، والأنشطة والنظـم وبـين وسائل النقل وزيادة التيسيرات فى المدن مــن ناحيــة أخــرى. وتهتـم

الدراسات الجغرافية الحديثة للمجتمع الحضرى بحى الأعمال المركزى كأساس محورى لأوجه النشاط الحضرية ، وأنماط النمو واستغلال الأرض وامتداد شبكة النقل المحلى باعتبارها تبدأ من حى الأعمال المركزى [1] .

سادساً : المدخل الاقتصادى : economic approach

يقوم المدخل الاقتصادى لدراسة المنطقة الحضرية على أساس شرح وتحليل أوجه النشاط الاقتصادى فيها . وتحليل علاقات النظام الاجتماعى والديموجرافى باقتصاد المنطقة وتحليل العلاقة بين النشاط الاقتصادى فى المنطقة الحضرية ، والوحدة الاقتصادية الأكبر والتى يشكل جزءاً منها ، وتكون العمليات المتضمنة فى هذا التحليل هى عمليات استغلال الأرض والموارد الأخرى ، وتكوين الثروة أو الناتج الخام والصافى والناتج الكلى ، والناتج بالنسبة للفرد ، والمشاركة فى القوى العاملة ، وبناء العمالة ، وتوزيع الدخل وبناء الاستهلاك والادخار والاستثمار ولقد ركزت المدارس المختلفة للنظرية الاقتصادية على واحد أو أكثر من العمليات السابق ذكرها . أما العوامل الباقية فقد كان يتم النظر إليها من خلال الإطار المرجعى الموجه نحو مدخل أو

(1) Matras, Judah, "Other social research methods" in Hauser . Ph. op. cit. pp. 77 - 87.

مجموعة مداخل . وأما فى العصر الحديث فقد ظهر الاهتمام بالاقتصاديات القومية متضمنة العلاقة المتبادلة بين العمالة والإنتاج والاستهلاك ، والاستثمار ، ومعدل ومستوى الإنتاج بالنسبة للفرد والطريقة التى يتغير بها هذا المستوى أو التى يمكن أن يتغير بها . فتشكل السلع والخدمات التى تنتج فى المنطقة الحضرية والتى تزيد عن حاجة سكانها وتصدر لمناطق أخرى - تشكل الأساس الاقتصادى لهذه المنطقة . ومن هنا فقد تغير الاهتمام بالأساس الاقتصادى وأصبح يدرس من كل جوانبه وبما يتضمنه من عمليات .

وتكون معطيات الدراسات الاقتصادية للمنطقة الحضرية متضمنة المعطيات الخاصة بكل شكل من أشكال النشاط الاقتصادى ، أو من النوع الذى يتم تسجيله مرحلياً بواسطة الأجهزة العامة ، أو الخاصة التى تهتم بجمع المادة ، أو من النوع الذى يتم تجميعه لأغراض دراسة خاصة ، أو من سجلات التظيمات والاتحادات العمالية ، والهيئات غير الحكومية والتى تجمع بيانات تغطى أوجه النشاط الاقتصادى الخاص بها .

وتتضمن الدراسات الاقتصادية فى المنطقة الحضرية شرح وتحليل بعض العمليات المعقدة مثل دراسة المعدلات النسبية للمشاركة فى القوى الغاملة ، وحجم وتركيب القوى العاملة على أساس السن

والنوع ، وتحليل المستويات التعليمية والمهنية ، وتوزيع القوى العاملة، والعمالة ، والبطالة العامة ، والبطالة النسبية ، وتحليل الدخل بالنسبة للفرد فى جماعات مهنية مختلفة ، وتحليل الاستهلاك والإنفاق الأسرى ، وبناء هيكل الاستهلاك بالنسبة لجماعات اقتصادية مختلفة ، وتصنيف الاستهلاك على أساس شكل السلع والخدمات ، وتصنيف الأسر على اساس السمات المكانية والدخل . ومقارنة كل ذلك بالمعطيات الخاصة بمناطق حضرية أخرى ، أو الخاصة بالدولة ككل، كذلك دراسة العلاقات الاقتصادية بين المناطق الحضرية الفرعية للمنطقة الحضرية [1] .

سابعاً : المدخل الديموجرافى : *Demographic approach*

يرتبط هذا المدخل بالمدخل الاقتصادى ، ولقد سبق أن تعرضت لجوانب تركيزه عند الحديث عن مشكلة النمو السريع فى المدن ، فقد أدت عوامل الزيادة السكانيه فى المدن وأسبابها إلى جذب الأنظار إلى أهمية الجوانب الديموجرافية عند رداسة المجتمع الحضرى ، وقد أشرت إلى أن فترة النمو السريع فى شيكاغو فى عام ١٩٢٠ أدت إلى ظهور دراسات امبريقية – وتقدم نظرى مثل الأمر الذى يحدث الآن فى

(1) Ibid , pp . 75-78 .

كثير من مدن البلاد النامية ، وكلا الوضعان أدى إلى حفز وتشجيع الدراسات التى تأخذ بالمنظور الديموجرافى .

وقد تضمنت المرحلة الأولى من الدراسة بعض التكميمات Quantifications لاسيما أعمال كنجزلى دافيز Kingsley Davis وهيلدا هيرتز Hilda Hertz اللذان وضعا الأساس لكثير من المعطيات التى ظهرت فى نشرة الأمم المتحدة بعنوان "تقرير عن الوضع الاجتماعى فى العالم" Report on the world social situation عام ١٩٥٧ . ويشير دافيز إلى أن التحضر هو "النسبة الاجمالية للسكان الذين يتركزون فى مناطق حضرية أو غيرها ، إلى درجة النمو فى هذه النسبة" [1] . أى العلاقة بين هذه النسبة وما يطرأ عليها من نمو .

وعلى هذا الأساس فإن المدن يمكن أن تنمو بدون تحضر ، على أساس أن سكان الريف ينمو بمعدل مساو وربما أكبر . ومن هنا فإن دافيز يجادل فى أن التحضر "عملية متناهية أو محدودة Finite process" وأن هذه النظرة الضيقة أو المحدودة والإدارية تشكل أساس النشرة التى صدرت عن الأمم المتحدة والتى أشرنا إليها .

ومع ذلك فلقد تطورت الاهتمامات التى تبنتها الأمم المتحدة – وهيئاتها المتخصصة فى مجال المقارنات العالمية للتحضر من هذا

---

(1) Paul, R. E. "Aprospective on urban sociologe" in , Pahl, op. cit., PP. 26-27 .

المنظور، واصبحت تتجه إلى الاهتمام بمشكلات اجتماعية وفيزيقية معينة فى ضوء ارتباطها بالنمو السريع للمناطق الحضرية القائمة . فنجد أن نسبة تتراوح ما بين ٩ ، ١١٪ من سكان أفريقيا يعيشون فى مدن ذات حجم سكانى يزيد على ٢٠,٠٠٠ نسمة ويؤدى هذا التركز السكانى إلى مشكلات حادة فى هذه المناطق ، وما يرتبط به من تحليلات نوعية ، وعمرية ، وزواجية ، وخصوبة ، وهجرة ، وكل هذه من وجهة نظر الديموجرافيين تسبق التحليلات الخاصة بالصحة ، والإسكان ، والتغذية ، وإمدادات المياه ، والتعليم ، ومشكلات الحياة الأسرية .. إلخ .

ومن بين العلماء الذين ساهموا بشكل كبير فى الدراسات الديموجرافية للمناطق الحضرية فيليب هاوزر Ph. Hauser لاسيما فى مدن العالم الثالث . مع تركيز خاص على مشكلات هذه المدن والتى تعتبر نتاجاً للنمو السكانى السريع فيها [1] .

وفى مجال قضايا التنمية والتخلف اختلفت النظرة إلى مسألة

---

(١) من أهم الكتب والمقالات التى ظهرت لهذا الكاتب فى إطار المدخل الديموجراى:

A) "Urbanization in Latin America" , Unesco, Paris" , 1961. (ed)
B) "Handbook of social research in : urban areas", Unesco Prais, 1965. (ed.) .
C) "Problems of rapid urbanization" in : "Problems of modern. society" (ed.) by : Peter Worsley, Penguin books, London, 1973.

النمو الديموجرافى ، بحيث ظهرت اتجاهات عدة - بعضها يرى فى النمو السكانى السريع عاملاً مباشراً للتخلف ، والبعض الآخر يرى أن التقدم العلمى يستطيع القضاء على النتائج السلبية لهذه الزيادة ، والبعض الثالث ينكر قضية اعتبار النمو الديموجرافى السريع سبباً فى التخلف .. ولاتزال هذه القضية خلافية . ولكن المهم أن هناك معالجات كثيرة ظهرت تحول الربط بين النمو الديمجرافى وقضية التنمية والتخلف لاسيما فى المجال الاقتصادى . وسوف نعود إلى هذه النقطة عند الحديث عن التخلف الاجتماعى فى الحضر .

ثامناً : المدخل التاريخى :

يذهب بول فى حديثه عن المدخل التاريخى إلى أنه يعطى عمقاً إضافياً لدراسات علم الاجتماع الحضرى ، ويقول أنه متأكد من أن السوسيولوجيين والتاريخيين إذا عملوا معاً وفى ارتباط فسوف ينتج عن ذلك تقدماً هاماً فى فهم الحضرية ، والحياة فى المجتمع الحضرى ، لاسيما أن علماء التاريخ قد أخذوا الآن فى الابتعاد عن الدراسات الضيقة المحدودة Parochial وتحولوا إلى دراسة موضوعات وقضايا أكثر عمومية . ويظهر ذلك جلياً فى الاهتمام الحديث لدى علماء التاريخ الحضرى فى بريطانيا لاسيما فى جامعات جلاسجو، وليسستر Leicester حيث صدرت دراسات تشكل عوامل

مشجعة لهذا الاتجاه وجدواه [1] .

وقد يكون للدراسات التاريخية الحضرية ثلاثة أهداف متميزة هى :

أولاً : وصف بناء عملية التشابك فى المنطقة الحضرية فتدرس سمات هذه المنطقة من جوانب مختلفة وفى أوقات زمنية مختلفة لفهم اتجاهات وكثافة التغيرات التى تحدث فى البناء الفيزوغرافى – والسوسيو اقتصادى .

ثانياً : دراسة وتوحيد الأحداث ، والأشخاص ، والتيارات ، والحركات التى تلعب دوراً رائداً فى تطور المنطقة الحضرية ، فتصف الأحداث الهامة والحركات الدينية والسياسية والاجتماعية ، والتكنولوجية لفهم دورها وفى إحداث التغيرات فى المنطقة الحضرية .

ثالثاً : دراسة نوعية السلوك ، والطريقة التى تؤثر بها الأحداث ، أو الأشخاص أو الحركات ذات الدور الرائد فى تطور الإقليم أو المنطقة الحضرية موضع الدراسة ، ويتم ذلك على أساس مقارن بهدف توضيح العلاقات السببية المباشرة .

وتعتمد الدراسة التاريخية على كثير من المصادر من أهمها

---

(1) Pahl, R. E., op. cit., p. 36 .

الوثائق Decuments والتسجيلات اللفظيــة أو الخاصـة بالحالـة . أو التسجيلات الرمزية والأوصاف ، والخطابات، والسجلات الإحصائية، وسجلات الأحداث المصورة والخرائط . وأدخلت تكتيكات حديثة علـى وسائل الحصـول علـى المـادة التاريخيـة منهـا التسـجيلات الصوتيـة ، والمقابلات ، والأوصاف والتقديرات اللفظية [1] .

ولقد قدم دويوس Dyos مجموعة ممتــازة مـن المقالات والأوراق فـى التـاريخ الحضـرى جمعهـا بعـد أن قـام بمراجعـة شـاملة ومفيـــدة للدراسات التاريخية الحديثة وفى أمركيا قام لامبارد lampard بجهـد كبير أيضاً فى هذا المجال . وتعتبر كتاباته مقدمة لتراث شامل وهنـاك دراسات خاصة بمدن معينـة وكثير منهـا ذو أهميـة كبـيرة مـن وجهـة النظر السوسيولوجية . فعلى سبيل المثـال درس بويـل Powel مدينـة بوفالوا Buffalo خلال الفترة ما بين ١٨١٠-١٩١٠ مـع تركـيز خـاص على الرأسمالية الصناعية ، تطور مشكلة العزلة ، وقد توصـل فيهـا إلى أنها الرأسمالية هى التى تخلق العزلة ، وليـس المدينـة ، وقـد وجـدت هذه القضية صدى فى أعمال التاريخيين [2] .

---

(1) Matras, J., op. cit., P. 74 .

(2) Powell, E. H. "The evalution of American city and the emergence of Anomie. A culture case study of Buffalo" British journal of sociology . vol . 13 . No. 2 . p. 166-167 .

أما شيكلاند Checkland فقد قدم فى دراسته لجلاسجو قضية مضبوطة حيث يقول "أنه العمل الذى يشكل أساس دعم المدينة. وأنهم رجال الأعمال الذين حكموا المدينة البريطانية على مدى فترة طويلة من تاريخها ، وهؤلاء ومن يعتمدون عليهم يشكلون واحدة من الطبقات الاجتماعية الكبرى ، ويحدد إسكانهم أو يقرر شكل المدينة[١].

ثم يستمر فى تحليل جلاسجو فى ضوء النموذج الاقتصادى والمكانى ، ويرى أن التحليل فى ضوء النموذج الاجتماعى والسياسى مطلوب أيضاً ، ولكن معرفة العناصر الاقتصادية والمكانية يجب أن تسبق دراسة العناصر الاجتماعية ، ويرى نفسه شريكاً للسوسيولوجيين وغيرهم فى محاولة فهم المدينة والحياة فيها [٢] .

ومن بين الدراسات التاريخية الهامة جداً بالنسبة لعلماء الاجتماع الحضرى تلك الدراسة التى أجراها فوستر Foster عن قيام الطبقة وتكوينها فى ثلاث من مدن القرن التاسع عشر فى انجلترا . فقد بذل جهداً كبيراً فى تحليل المصادر التاريخية المختلفة ، متضمنة

(1) Checkland, S. G. "The British industrial city: Glasgow, in Urban studies. Vol. I. No.1 pp. 36-37 .
(2) Ibid, p.p. 37 - 38 .

شهادات الزواج . والمادة الإحصائية المفصلة ، مع الاتجاهات التقدمية المتجانسة Sympathy ومعرفة اتجاهات علم الاجتماع ، وهذه المصادر وتحليلها قد ساعدت على إلقاء ضوء كبير على الحضرية الآخذة فى الظهور . ولقد تمكن فوستر بمقارنة المدن الثلاثة وهى أولدهام Oldham ونورثامبتون Northampton وسوث شيلدز Southshields ، تمكن من توضيح الاختلافات فى الوعى الطبقى المرتبط بالبناء الاجتماعى والاقتصادى ، وتوصل إلى أن الوعى بالحرمان النسبى لدى الطبقة العاملة عامة وأوضاعها أقل احتمالاً إذا ظهرت ثقافات فرعية قائمة على أساس المهن المختلفة . وكذلك توصل إلى أن منظورات الحراك الاجتماعى والأوضاع المتداخلة للجماعات الزواجية سوف تؤثر أيضاً فى نمو الوعى الطبقى . وقد أوضح هذا النوع من الدراسات أنه رغم أن الحضرية الصناعية ونمو الوعى الطبقى مترابطان بشكل مباشر ، إلا أن هناك على الرغم من ذلك اختلافات بين المدن[1] .

وإن هناك كثيراً من الأمثلة الخاصة بالدراسات التاريخية كلها توضح بشكل كبير جوانب التقاء هذين العلمين : التاريخ – والاجتماع، وتظهر لنا أعمال كثير من علماء الاجتماع ما استطاعوا أن يقدموه حينما

---

(1) Pahl, R. E. op. cit. p. 37 .

اهتموا بالمـاده التاريخيـة متهـا أعمـال ردفيلـد ،وسـنجر ،وجوبـيرج ، وليفى ستروس وغيرهم من العلماء .

تاسعاً : المدخل المقارن :

يختلـف التحضـر والاسـتجابة بشـكل واضـح مـن الناحيـة التاريخية، والمقارنة أيضا ، واذا كنا قد أشـرنا إلى أهميـة الاختلافـات البنائية بين الغرب ووسط أفريقيا وانجلترا فى القرن التاسع عشـر . إلا أننا يجب أن نكون فى يقظة من خطورة افتراض أنه نظرا لوجود بعض أوجه الشبه الاحصائية بين نمو المـدن فـى القـرن التاسـع عشـر – كمـا أشارت إلى ذلـك أدنافيـبر – وبـين نمـو مـدن العـالم المعـاصر أن تكـون العملية واحدة . ولكن التقدم التكنولوجى قد يساعد بعض البلاد علـى تجاوز أو تخطى بعض مراحل ظهور الحضرية الصناعية . كذلك يجـب أن نتنبه لأى افتراض حول ضرورة وجـود صلـة حتميـة بـين التصنيـع والتحضر . فالتجربة التاريخية لبلاد مثل السويد ، أو الوضـع المعـاصر لبعض بلاد أمريكا اللاتينية يجب أن تـدرس فـى إطـار إدراك خطـورة الافتراض السايق .

وإن هناك كثيراً من الدلائل على أن علماء الاجتمـاع قـد أخـذوا فى لفظ التحيز العنصرى الذى كان يرى فى المدينة الأمريكية والتحضـر الأمريكى معياراً لغيره من البلاد الأخرى . وعلى ذلك إن هناك ترحيباً

متزايدا بالاهتمام بالدراسات المقارنة [1] .

وفى إطار نمو الاهتمام بالمدخل القارن ظهرت دراسات كثيرة عن الحضرية فى الدول الاسكتلندية ، وفرنسا ، وألمانيا ، ومدن البحر الأبيض المتوسط وآسيا ، وأفريقيا ، وأمريكا اللاتينية . كذلك فإن الدراسات المقارنة عن المدن اليابانية تدحض القول بأن هناك نمطاً واحداً للحضرية فى المجتمع الصناعى . وقد شجع هذا المدخل على دراسة مدن أخرى غير المدن الأوربية والأمريكية – مما سنوضح فائدته فيما بعد

نقد وتحليل :

أولاً : بالنسبة للمدخل الأيكولوجى عرضنا نظريتى بيرجس ، وهومرهويت أو نظريتى الدوائر المتراكزة والقطاع ، وقد انتقدت هاتان النظريتان . فذهب النقاد إلى القول بأن فهم النمط الأيكولوجى لايتم إلا بالجمع بينهما ، فنمو المدن ذاته يتضمن اتحاداً بينهما ، فيقول بيترمان Peter mann أن تفسير الامتداد الحضرى الأيكولوجى على هيئة قطاعات تتخللها دوائر أو مناطق دائرية ، تصور يقرب المنظور الأيكولوجى أكثر من الاعتماد على أى من النظريتين السابقتين

(1) Ibid , pp. 38 - 40 .

بمفردهما [1] .

ثم يذهب موريس إلى أن النظريات الأيكولوجية الثلاثة – الدوائر – والقطاع – والنوايا المتعددة قد عجزت كلها عن أن تقدم نتائج عامة ، ويرى أن من الأفضل الجمع بينها عند محاولة التطبيق ، كما أنه رغم كثرة الدراسات الايكولوجية والجغرافية للمدينة على هذا النحو إلا أنها لاتزال تواجه مشكلة التصنيف ، وحتى علماء الاجتماع الحضرى لم يضيفوا شيئاً فى هذا النطاق ، ويرجع العجز فى ذلك إلى أنه رغم تصورهم أنماطاً أو نماذج لاستغلال الأرض كنتيجة للمنافسة على الموارد الطبيعية ، أى أن تحليلهم كان ضيقاً للغاية ، ففسرت نماذجهم فى ضوء المنافسة الاقتصادية بوجه عام ، وتركوا لعلماء الاقتصاد مهمة وصف وتحليل هذه النماذج [2] .

ولما غلبت النظرة إلى الدراسات الأيكولوجية على أنها علم يسوده الغموض أصبح هناك اتفاق عام كما أشرت من قبل على ضرورة تصحيح الوضع الكلاسيكى لهذا العلم ، وكانت أعمال تيودورسون من أهم الإسهامات فى هذا المجال . وقدمت وجهات نظره ميادين جديدة فى دراسة وفهم البناء الايكولوجى ، ودخلت الأيكولوجيا مجالات

(1) Mann, Peter "An approach to urban sociology" Routledge & Kegan Paul, London. 1970. pp. 95-96 .

(2) Morris, R. F., op. cit. p. 142 .

بحث جديدة كنمو الاهتمام بالعلاقة بين الظاهرة الأيكولوجية والظاهرة الاجتماعية لدى أنصار المدرسة السوسيوثقافية ، ونمو الاهتمام بالاعتماد المتبادل بين أربعة متغيرات أساسية هى السكان - والتكنولوجيا - والتنظيم والبيئة لدى علماء مدرسة التحليل الاجتماعى .

وإذا كان نقاد المدرسة السوسيوثقافية يذهبون إلى أن الناس قد اختاروا على أساس اقتصادى ، إلا أن نظرة السوسيوثقافى كانت أكثر صحة ، فهناك أدلة كثيرة على الاعتماد المتبادل بين الجانب السوسيوثقافى ، والأيكولوجى .

ولكن الجدير بالذكر هنا هو أن مراجعة سريعة للتطورات التى حدثت فى الأيكولوجيا الإنسانية تفترض أن المتغيرات الفيزيقية وتداخلها مع المتغيرات الاجتماعية قد أهملت بشكل كبير من جانب علماء الأيكولوجيا الإنسانية الذين اقتنعوا باهتمامات أخرى غير ذلك ولعل الاهتمام بسد هذه الثغرة يجعل الأيكولوجيا أكثر فائدة وأكثر جدوى فى ميدان فهم الحياة الحضرية عن ذى قبل .

إن هناك أربعة أسباب أرى أنها كانت سبباً فى عجز الإسهام الأيكولوجى :

١- التصور غير الكامل للبيئة ، حيث لم تستخدم كمتغير ذى أثر خاص ومحتمل .

٢- النظر للتجمعات الإنسانية على أنها ثابتة ومتوافقة وليست هناك متغيرات ذات آثار اجتماعية .

٣- إقامة حدود صارمة وربما جامدة للدراسات التى يجب على الأيكولوجيين دراستها . فقد التزموا لفترة طويلة بقول بارك إن الأيكولوجيا تهتم بالإنسان وليس بالمجتمع ، وتعنى بعلاقة الإنسان بالبيئة ، وليس بعلاقة الإنسان بالإنسان . وكان لذلك أثره فى تضييق مجالات الدراسة الأيكولوجية .

٤- فكرة التداخل التى ظهرت فى العصر الحديث ، مثل التركيز على الاهتمام بالعلاقة بين المتغيرات الاجتماعية والفيزيقية وتداخلها . ولعل قبول هذه الفكرة من جانب الأيكولوجيين يساعد على التغلب على جوانب الفشل فى الدراسات الأيكولوجية السابقة (١) .

وهكذا فإن الأيكولوجيا ليست العامل الحاسم فى خلق وتشكيل نوع متميز من الحياة الاجتماعية ، والعلاقة بين الظاهرة الأيكولوجية والاجتماعية ورغم اعترافنا بأهميتها فى محاولة فهم العوامل التى أدت إلى نمو المدينة ، والبعد الجديد الذى أضافته للدراسات الحضرية ، رغم ذلك تبقى المدينة فى أساسها وجوهرها نسقاً اجتماعياً خلقه الناس بأنفسهم ، ولم يفرض عليهم ، وأن ما يتضمنه هذا النسق من علاقات

(1) Michelson, op. cit. pp. 16 - 23 .

شعورية ، فالمدينة نتاج للجهد الإنسانى لخلق مجتمع على أساس التقدم التكنولوجى - والثقافى ، والقوى الأساسية الفاعلة فيه هى القوى الاجتماعية .

وفى مجال فهم قضايا التخلف والتنمية - أتصور أن الأيكولوجيا لم تقدم الكثير ، وليس أدل على ذلك من أن ظهور المناطق المتخلفة ، والبناء الاجتماعى الذى يسودها - كذلك المشكلات الاجتماعية الجادة التى أخذت تلفت الأنظار فيها ، ليست عمليات قائمة على منظور واحد أو جزئى أو بفعل عامل واحد . ونفس الأمر - بالنسبة لاستراتيجيات القضاء على هذا التخلف ليست استراتيجية تعتمد على منظور واحد .. إذ لايتصور أن وضع سياسة للقضاء على التخلف الحضرى بالأسكندرية مثلاً سوف تكون مجدية إذا انطلقت من مفاهيم أيكولوجية .

إن الأيكولوجيا علم يضيف بعداً جديداً إلى فهم الحياة الحضرية. ولكنه ليس كافياً وحده ، ومن هذه النقطة نرى أن علماءه قد أخذوا فى العصر الحديث يوسعون من نطاقه ، ويدخلون فى قضايا لم تكن من قبل محل اهتمامهم . وفى ذلك دليل واضح على عدم كفاءته بصورته السابقة .

ثانياً : وفى المدخل القائم على أساس النماذج المثالية أو

التصورية ، فغنى عن البيان أنه يبنى تصوراً منطقياً للمجتمع بغض النظر عن وجود هذا المجتمع فى عالم الواقع من عدمه ، كذلك فإن هناك صعوبة لتطبيق هذه النماذج على مجتمعات بعينها أو مدن بعينها.

وفى مجال التخلف والتنمية يحاول هذا المدخل أن يبنى نموذجاً للمجتمع المتخلف ، وآخر للمجتمع المتقدم على أساس نسب كمية معينة كحجم المدينة ، والتعليم ، والرعاية الصحية ، والتصنيع والتحضر . وعلى أساس الشكل التصورى للمجتمع المتخلف نبدأ فى التخطيط لكى نصل إلى الشكل التصورى أو النموذجى للمجتمع المتقدم . ولكن هنا أيضاً ظهر أن حساباتهم والنسب التى حددوها للتقدم نسب أو معدلات حسابية وليست اجتماعية ، وهذا أمر يصعب الأخذ به . كذلك فإن معايير التقدم عندهم هى معايير مستقاه من المجتمعات الغربية وهذه أوضحنا أنه لايمكن اعتبارها محكات فى عملية التنمية ، أو نماذج للتقدم ، وأيضاً فإن التخلف ليس عملية واحدة وموحدة فى كل البلاد ، ولكنه يختلف فى مكوناته وخلفيته التاريخية من مجتمع لآخر .

فقد يكون من المفيد أن نحدد ملامح التخلف وجوانبه ، فى ضوء الطبيعة الخاصة لكل مجتمع وبناء القوى الفاعلة فيه ، ومنها أن

نحدد أهدافاً معينة تتجه سياسات التنمية للوصول إليها ، ولكن أيضاً فى ضوء الطبيعة الخاصة ، والبناء الخاص لكل مجتمع من هذه المجتمعات . أى يستند فهم التخلف – وتوجيه التنمية على الواقع الاجتماعى والاقتصادى لكل مجتمع نريد تنميته أو تحديثه .

ثالثاً : ويتشابه المدخل السابق مع مدخل السمات الريفية الحضرية ، وإن كان هذا الأخير يتميز بأنه يقدم خصائص وسمات معينة تنطبق على عالم الواقع ، ويمكن دراستها فى هذا العالم ، وعقد مقارنات وترابطات بينها ، ولكن هذا المدخل – فيما أرى – قد يسهم فى فهم وتحليل الحياة الحضرية ذاتها – ولكن فى مجال التنمية الحضرية – وفهم قضية التخلف قد يتوقف هذا الإسهام .

على أن بعض علماء التنمية قد حاولوا استخدام هذا المدخل – بذكر أو تحديد بعض العناصر أو السمات النموذجية – عل أساس أن التنمية هنا ستصبح واضحة فى ضوء وجود أو عدم وجود هذه السمات. ولو أن دراساتهم كانت فى مجملها تعكس ازدواجية التقدم والتخلف ، أو التقليد ، والتحديث . بوجه عام لاسيما فى مجتمعات أو مدن العالم الثالث . ولقد سبق أن ناقشت هذه القضية .

ومن ناحية أخرى ومن منظور دراسة الاسكندرية يواجه هذا المدخل بصعوبات كثيرة منها مثلاً : إنه لايمكن إقامة حد فاصل بين

سمات الريف والمدينة فى المجتمع المصرى بشكل عام . فالمجتمع المصرى لاسيما بعد عام ١٩٥٢ يتسم بأن الريف بتقاليده المحافظة لا يزال هو المنبع الذى يصب فى المدينه أكثر مما تصب المدينة فى الريف، فالهجرة السكانية المتلاحقة حتى الآن تمنع المدينة المصرية من تكوين شخصيتها إلى الحد الذى يجعلها من بعض الوجوه امتدادا حضاريا للريف المصرى . وأن للريف آثاراً ضرورية وحتمية على المدينة من هذه الناحية [1] .

ثم أن السمات يمكن أن تعتبر نموذجية فى عملية تنمية مدينة كالأسكندرية لها تاريخ متميز وربما كان للظروف التاريخية التى مرت بها آثاراً فى خلق جوانب أو قطاعات متخلفة على هذا النحو أو ذاك..؟

ومن ناحية أخرى يقول بيترمان إنه رغم مشروعية هذا المدخل فى الدراسات الحضرية ، إلا أن هناك أخطاء يجب التنبيه إلى ضرورة تحاشيهما عند المقارنة :

أ- عدم وضوح جانب الزمن عند المقارنة كأن نقول كما قال توماس

---

(١) لويس عوض : أقنعة الناصرية السبعة - جريدة الاهرام ، عدد الجمعه ١٩٧٥/٩/١٩ : الصفحة الخامسة .

شارب T. Sharp إن القريـة هـى فـى النهايـة تنظيـم اجتمـاعى ، متجاهلين الوقت الذى أخذ فيه التغير يدخـل إليهـا ، وكذلـك دون أن نحدد الوقت الذى نتحدث عنه .

ب- والخطأ الثانى مرتبط بالأول وزهو عدم تمتع القضايا بدرجة كافيـة من العمومية والأخذ باشكال محددة أو جامدة Stereo Types بدلاً من الاهتمام بدرجة التعميم ، وكذلك التوجيه القيمى الذى يعـالجون من خلاله هذه السمات [1] .

رابعاً: وأما بالنسبة لمدخل المتصل أو الاتصال الريفى الحضرى، فمع أنه يتضمن أفكاراً واقعية مثل كون الحضرية لم تنشـأ مـن فـراغ ، وأن هناك اتصالاً بين أدنى أشكال الريفية ، وأعلى أشكال الحضرية ، إلا أن القياس الذى قام عليه هذا المدخل وهو الحجم هو مقياس تعسفى بلا جدال، كما أنه يصعب على المتصل أن نحدد المراحل الاجتماعيـة، التى يمر بها المجتمع فى تطـوره مـن الريـف إلى المدينـة وسمـات كـل مرحلة ، ونوع العلاقات السائدة فيهـا . لأن هـذا يعتمـد علـى ظـروف خاصة بكل مجتمع . وقد أشرت إلى ما ذهب إليه دنكان مـن الحاجـة إلى تصنيف يقوم على أساس استقرائى للمجتمعات الحضريـة ، ويكـون متعدد الأبعاد ولايقتصر على مقياس حجم السكان فقط .

---

(1) Mann, op. cit. pp.4 - 6 .

ومع ذلك فإننى أميل إلى القول بأنه لايجب غض النظر عن هذا المدخل وأن قيمته تتضح بشكل أكثر إذا استخدم فى ضوء علاقته بالمدخل التاريخى ، وأن تتم الاستفادة منهما معاً فى إطار المدخل الذى سيتحدد فيما بعد .

خامساً : والمدخل الجغرافى يهتم بأمور تفيد فى فهم المجتمع الحضرى ومقوماته المادية ، وله فى سبيل ذلك تحليلات رياضية وإحصائية ، وتعتمد معطياته على ما يوجد فى الأرض ، والتربة والماء، والزراعة . وأما اهتماماته بالقوى الاجتماعية والعلاقات السائدة فى هذا المجتمع فهى اهتمامات محدودة ، كذلك فإن هذا المدخل لايصلح وحده فى فهم البناء الاجتماعى الحضرى ، أو دراسة قضايا التنمية والتخلف فيه . ومع ذلك فإنه يمكن أن يفيد فى تقديم المادة التى قد تدعم الجانب المادى فى علميات التنمية والتحديث ، أو مشروعات مواجهة التخلف .

سادساً : كذلك فإن المدخل الاقتصادى ذا أهمية خاصة فى دراسة المجتمعات الحضرية ، ودراسات التنمية والتخلف ، فرفع مستوى المعيشة والتعليم ، والعمالة ، والبطالة ، والاستهلاك ، والادخار ، والاستثمار كلها عمليات اقتصادية ، وربما كانت التنمية الاقتصادية هى أقرب الميادين للتنمية الاجتماعية وأن العلاقة المتبادلة

بين الجانبين مسألة ذات تركيز خاص . ومع ذلك فالاعتماد على هذا المدخل وحده قد يجعلنا نغفل أن التنمية الاقتصادية عملية ذات طبيعة اجتماعية كاملة ، وأن التنمية الاقتصادية هى تغييرات كمية فى المقاييس والإجراءات الاقتصادية ، وأن هذا التغيير يجب أن يسبقه تغيير فى النظم الاجتماعية ، فالتنمية الاجتماعية عملية كيفية تتمثل فى خلق بناءات اقتصادية ، وغير اقتصادية . هذا فضلاً عن أن المدخل الاقتصادى قد فشل فى فهم كثافة التنمية الاجتماعية وطبيعتها التاريخية .

سابعاً : أشرت إلى أن المدخل الديموجرافى يرتبط بالمدخل الاقتصادى فالتحليلات الخاصة به تركز على العلاقة بين البناء الديموجرافى كماً وكيفاً – وبين حركة النمو الاقتصادى واستغلال موارد المجتمع ، وقد أوضحت أن كثيراً من الدراسات عالجت قضية التحضر ونمو معدلاته من منظور معدلات النمو السكانى ثم حاول بعض العلماء إقامة علاقة بين قضايا التنمية والتخلف وبين معدلات النمو السكانى ، فيرى فيه البعض سبباً مباشراً للتخلف الاجتماعى والاقتصادى ، ويراه البعض من منظور التقدم التكنولوجى – والصناعى عاملاً غير حاسم فى احداث التخلف ، وينكر البعض الثالث هذه القضية من أساسها .

ومع ذلك فلا يستطيع أحد أن ينكر العلاقة بين الكثافة

السكانية الزائدة لاسيما فى مدن العالم الثالث وبين المشكلات التى تنتج أو تتولد فى هذا المجتمع كذلك فإن استراتيجيات التنمية الاجتماعية فى الريف أو الحضر ، لايمكن أن تتغاضى عن المعطيات الديموجرافية للمجتمع الذى يراد تنميته أو تحديثه ، وعن أمور مثل البناء العمرى ، والنوعى ومعدلات الخصوبة ، والهجرة للمدن ، وغير ذلك مما تهتم به الديموجرافيا .

وعلى ذلك فالمدخل الديموجرافى فى دراسة المجتمع الحضرى، ودراسة التنمية والتخلف فيه مدخل مهم ، ويمنح هذه الدراسات عمقاً، حيث أن التنمية تهدف لإحداث تغيرات مرغوبة لصالح الأغلبية السائدة فى المجتمع ، وقطاعاته المختلفة . ومما يزيد من أهمية هذا المدخل أن الدول المتخلفة ، والنامية تمر الآن بمرحلة تحول سكانى يترك آثاره على خطط تنمية هذه المجتمعات . وقد أشرت إلى ارتفاع معدلات النمو السكانى فى مصر عامة ، والاسكندرية خاصة الأمر الذى يفرض نفسه على كل سياسة انمائية قومية أو اقليمية .

ثامناً : وقد تعرضت للجوانب الأساسية التى تهتم بها الدراسات التاريخية ، ومنذ البداية فإننى أميل إلى الاتفاق مع ما يقوله بول R. E Pahl من أن السوسيولوجيين والتاريخيين إذا عملوا معاً فسوف ينتج عن ذلك تقدم فى فهم الحياة الحضرية ، وإدراك عوامل تخلفها ، ووسائل تنميتها .

فإذا نظرنا إلى مدينة مثل الاسكندرية وجدنا أنها مدينة ذات تاريخ طويل يمتد إلى أكثر من أربعة آلاف سنة ، وعبر تاريخها الطويل واجهت مواقف كانت فيها من كبريات مدن العالم ، ثم تلاحقت عليها غزوات خارجية كانت تؤثر باستمرار على جوانب نهضتها وبنائها الاجتماعى والاقتصادى والديموجرافى واستمر الأمر على هذا النحو إلى مطلع العصر الحديث . هذا فضلاً عن أنها مركز احتكاك ثقافى – وحضارى عالمى ، يؤثر ويتأثر بالأحداث السياسية والاجتماعية العالمية . وهنا تبرز واضحة أهمية المدخل التاريخى فى دراستها على أساس ترابطه مع المدخل السوسيولوجى .

تاسعاً : أشرت إلى نمو الاهتمام بالمدخل المقارن ، وانتهاء الاهتمام بالمدن الغربية والأمريكية وباعتبار أن ما يسودها يمثل معياراً أو محكاً لدراسة المدن الأخرى وفى هذه الصدد نمت الكثير من الدراسات.

والمدخل المقارن مع أهميته الكبيرة ، إلا أننى أرى أنه لايصلح وحده كمدخل مستقل بل نقول المدخل السوسيولوجى المقارن ، أو التاريخى المقارن ، أو الديموجرافى المقارن وهكذا . وتزداد أهميته فى دراسات التنمية والتخلف على أساس أنه يمنحنا الأساس لمقارنة تجارب التنمية فى مدن ومجتمعات حضرية مختلفة بعضها ذو بناء اجتماعى واقتصادى وسياسى مشابه للاسكندرية ، والبعض الآخر

مختلف . لذلك فإن إغفال هذا المدخل عند التحليل قد يصيب الدراسة بشيء من القصور .

عاشراً : المدخل التكاملي : لقد عرضنا أهم مداخل دراسة المجتمعات الحضرية ، وأعقبنا ذلك بمناقشة عامة نقدية تحليلية – لأوجه النفع أو القصور فى كل منها بهدف بيان ما يمكن أن يخدم منها فى تحديد مدخل الدراسة الراهنة . وقد اتضح من العرض والمناقشة أن أياً من المداخل السابقة لايصلح وحده لدراسة المجتمع الحضرى بشكل عام ، ودراسة التنمية والتخلف بوجه خاص. فكل من هذه المداخل – فيما عدا المدخل المقارن – يركز على جانب معين أو آخر فى فهم الحياة الحضرية ، وتحليل التنمية والتخلف ، وليس أدل على ذلك من أن علماء كل مدخل من هذه المداخل كانوا يرون أن علم الاجتماع الحضرى – والتنمية الحضرية لايشبع كل منهما حاجات علومهم بما فيه الكفاية . فيرى الأيكولوجيون أنه ليس أيكولوجيا بما فيه الكفاية ، والجغرافيون أنه ليس جغرافياً بما فيه الكفاية والاقتصاديون أنه ليس اقتصادياً بما فيه الكفاية .

ولكن ملاحظة الحياة الحضرية هى بالضرورة عملية تكاملية أو يتداخل فهمها بين علوم متعددة ، وظهرت الحاجة إلى هذا المدخل فى كثير من البلاد وأصبح محل تركيز دائم ، ففى فرنسا أشار العلماء إلى

الحاجة إلى دراسات تاريخية وجغرافية ، واقتصادية كخلفية للأبحاث السوسيولوجية المتخصصة ، وإلى الحقيقة القائلة بأن من الصعب أن نفهم السكان ، أو أى جماعة ، أو حالة فردية بدون وصفهم بشكل دقيق فى وقت معين ، وفى حياة عصرهم التى تكونت فيها أشكالهم تحت تأثير المراحل المبكرة ، وفى مكان سوسيولوجى ، والذى يجب أن يكون شرحه بشكل دقيق ، ولايقل أهمية عن ذلك أن نشرح ظروف المعيشة والنسق الاقتصادى الذى تجد الموضوعات والأشخاص نفسها فى علاقة وثيقة معه ، وكذلك تقييم البناء السكانى الذى ترتبط فى إطاره تغيرات معينة فى السلوك ، وتحولات معينة فى البناءات الاجتماعية ، وكذلك اتجاهات معينة أو قوالب سلوكية معينة ، كل هذه الأمور ذات أهمية لاجدال فيها ، وتمثل نقطاً أو جوانب لالتقاء العلوم ، والنظم ، وتطور المناهج الجديدة [1] .

إن هناك عوامل كثيرة تفاعلت وتداخلت ، بل وتشابكت لكى تؤثر فى المجتمع الحضرى ، على هذا النحو أو ذاك ، وأسهمت بتداخلها وتفاعلها فى صياغة التخلف الحضرى ومشكلات ، ومن هنا فإن خطط مواجهته يجب أن تأخذ بمبدأ التكامل ، وتهتم بهذا

(1) Chombart de lawe, I. H. "Field and case studies" in : Hauser, (ed.) op. cit. p. 56 .

التفاعل والتداخل ، وأى تركز على جانب منهـا دون آخـر بـل تـأخذ هذه الجوانب فى تكاملها وتداخلها وعملياتها المتبادلة ، ولعله لايكـون مبالغة أن نقول أن الحاجة إلى النظرة التكاملية ليست أكثر ضرورة فـى أى دراسة منها فى دراسة وتحليل التخلف ، وتشكيل مداخل القضـاء عليه .

مـن هنـا فـإن مداخـل العلـوم المختلفـة لاسـيما الاقتصاديـة ، والسياسـية والتاريخـة تظهـر أهميتهـا بشـكل واضـح فيمـا تقدمـه مـن إسهامات وتعميق لتحليل التخلف والتنميـة ، وإذا كـان ذلـك ضروريـاً بالنسبة لدول العالم الثالث عامة – تلك التى عانت كثيراً من مشـكلات التبعية السياسية والاقتصادية وحتى الثقافية – فإنـه أكـثر ضـرورة فـى دراسة المدن المصرية عامة ، والاسـكندرية بشـكل خـاص . فكثـير مـن مشكلاتها ذات جذور بعيدة ، وذات أبعاد تاريخية .

الفصل الرابع

الفروق الريفية الحضرية

تمهيد :

ربما كان ضرورياً على دارس علم الاجتماع الريفى ، ودارس الاجتماع الحضرى أيضاً التعرف على الفروق الأساسية بين هذين النوعين من المجتمع ، فذلك هو المدخل الأساسى لتحديد الموضوعات والقضايا التى يجب على كل منهم درستها أو الاهتمام بها . هذا بالإضافة إلى أن الدراسة العلمية لمشكلة الفروق الريفية الحضرية تمكننا فى النهاية من الإجابة على تساؤل أساسى هو : ما الريف ..؟ وما المدينة ..؟

وانطلاقاً من هذه النظرة فإننا نبدأ هنا بدراسة مشكلة الفروق الريفية الحضرية ، وأول ما يلفت أنظارنا هو أنه من الأهمية بمكان أن نتعرف بدقة على الفروق بين ماهو ريفى ، وما هو حضرى . وفى الحقيقة فإن التفرقة بين هذين النمطين من المجتمعات ليست مسألة يسيرة ، ذلك أنها مازالت موضع خلاف بين الباحثين . فتحديد الفروق والاتفاق عليها أمر صعب لأن التداخل ظاهر بين المجتمعين ، ولايمكن إنكاره حتى عن طريق الملاحظة العادية .

ولايمكن الإشارة إلى بعض الاختلافات فى الرأى حول هذه المسألة ، فبينما نجد بوبيه يحاول تحديد صفات أو سمات Traits يمكن أن تنطبق على كل المجتمعات الريفية فى دولة معينة كالهند ،

نجد أن أوسكار هاندلين O. Handline حـاول أن يتوصـل إلى صفـات معينة تنطبق على المجتمعات القروية فى كل أنحاء العالم انطلاقـاً مـن أن هذه المجتمعات متشابهة إلى حد بعيد . ومن ناحية ثالثة هناك مـن يرفض فكرة الإنقسامية أو الثنائيات Dichotomies تلك التـى تعتمـد على قسمة المجتمعات إلى ريـف وحضر ، وكـان محـور انطـلاق الآراء الأخيرة أنه على الرغم من إمكان ملاحظة فروق بين ماهو ريفـى ومـاهو حضرى ، إلا أن هذه الملاحظات لايمكن تعميمها على كل المجتمعـات وفى كل العصور ، ويضربون مثلاً على ذلك أن هناك مجتمعات لايمكن لاتنقسم الى ريف وحضر . كما هو الحال فى الهند وبعض بلـدان العـالم الثالث الأخرى ، وهذا فضلاً عن أن كثيراً مـن بلـدان المعسـكر الشـرقى تعتنق أيديولوجية تتضمن عدم الاعتراف بالقسمة إلى ريف وحضر ، بل تؤمن بالعمل على تقريب الفوارق أو حتى إزالتها بين هذين النوعين من المجتمعات . كذلك فإنه من الصعب تقرير الفوارق أو حتى إزالتها بـين هذين النوعين من المجتمعات الريفية ، أو المجتمعات الحضريـة كلهـا فى بلد من البلدان . ذلك أن الريفية والحضرية تحمل فى البلد الواحـد مضامين مختلفة من مكان لآخر ، فلعلنا نلاحظ فـى مجتمـع أن هنـاك حضارتـان احداهمـا محليـة والأخـرى قوميـة تقومـان جنبـاً إلى جنـب وتتبادلان التأثير والتأثر ، وإن لم يتحقق بينهما امتزاج كامل ، وهـذه

الحالة هى ما يسميها حامد عمار "الانفصام الاجتماعى" [1] .

هـذا فضـلاً عـن أن التحـول مـن المجتمـع الريفـى الخـالص إلى المجتمع الحضرى الخالص أمراً لايتم فجأة . ولكن بين المرحلتين تدرج فـى اكتسـاب الخصـائص والسمات وعلـى ذلـك فالمسـافة بـين الريـف والحضر تختلف باختلاف مراحل التقدم الاجتماعى وهذه الفروق تنتـج عن بناء ثقافى معين ، وبالتالى فإنها تختلف مـن ثقافـة لأخـرى . وإذا كانت وجهة النظر التى عرضنا لها مؤخراً تذهب إلى عدم جواز التفريق بين الريفى والحضرى، فإنها بالتالى لاترى ضرورة لوجود علـم اجتمـاع - ريفى ، وآخر حضرى .

الجذور التاريخية لقضية الفروق الريفية الحضرية . [2]

لو تتبعنا محاولات وصف وتفسير التباين بين الريف والحضـر، لوجدنا أن أولى هــذه المحـاولات ظهـرت عنـد السـير هـنرى مـين Sir Henry Maine عام ١٨٦١ حينما ميز بين التنظيـم الـذى يقـوم علـى أساس القرابة ، ويرتبط بالمكانة الاجتماعية Social status والتنظيـم

---

(١) حامد عمار : دراسات فى تطور المجتمع الريفى .

(٢) عبد الهادى الجوهرى وآخرين ، دراسات فى علم الاجتمـاع ، مكتبـة الطليعـة بأسيوط ، ١٩٧٩ ، ص ٩١ .

الذى يقوم على التعاقد Contract وقد تلى ذلك فرديناند تونيز .F Tonnies حينما ميز فى عام ١٨٨٧ بين المجتمع المحلى gemeinschaft والمجتمع الكبير أو العام gesellschaft وبعد ذلك ظهرت دراسة دوركيم عن تقسيم العمل الاجتماعى متضمنة التمييز بين نمطين من المجتمعات أحدهما متجانس والآخر متباين أو متغاير . ويقوم المجتمع الأول على التضامن الآلى mechanical solidarity بينما يقوم الثانى على التضامن العضوى .Organic s ومنذ ذلك الحين جذبت مشكلة الفروق الريفية الحضرية اهتمام علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا فنجد أن جولدن ويزر Golden Weiser يهتم بوصف المجتمعات البدائية ، وهوارد بيكر H. Beaker يميز بين المجتمع المقدس sacred والمجتمع العلمانى cosmoplitan وأخيراً نجد روبرت ردفيلد R. Redifield يركز على دراسة نمطين من المجتمعات الأول هو المجتمع الشعبى Folk socitey ، والثانى هو المجتمع الحضرى Urban society ويتسم التطور فى هذا الاتجاه عند روبرت بارك R. Park وايرنست بيرجس E. Burgess حتى وصل إلى لويس ويرث L. Wirth . الذى أسهم فى صياغة نظرية "عن الحضرية كطريقة للحياة" Urbanism as a way of life عام ١٩٣٨ مهتماً فيها بتفسير المؤثرات الشخصية والاجتماعية للمدينة معتمداً على معايير

ثلاثـــة هـــى الحجـــم Size الكثافـــة Density واللاتجـــانس Heterogeneity فيقول مثلاً أن تزايد الحجم والكثافة السكانية يؤدى إلى جانب التوسع فى تقسيم العمـل إلى اللاتجـانس الاجتمـاعى . وقـد أسس على هذه القضايا مجموعة أخرى من القضايا الفرعية التابعة لها.

ومن الإشارات السريعة السابقة يتضح أن مسألة الفـروق الريفيـة قد احتلت مكانة هامة فى الفكر السوسيولوجى ، وكذلك فى الدراسات الأنثروبولوجية ، ولعله من المفيد هنا أن نعـود بشـىء مـن التفصيـل إلى الاسهامات التى أشرنا إليها من قبل ، حتى نتبين مضمـون كـل منهـا- ونتوصل فى النهاية إلى رؤية تؤدى إلى فهم حقيقة هذه الفروق.

إن أول محاولة لتفسير الفروق بين النمط الريفى هـى تلـك التـى ظهرت عند السير هنرى مـين بحيـث يعتـبر أول مـن اسـتخدام هذيـن المفهومين فى ضوء ما يعرف فى الفكـر الاجتمـاعى بالنمـاذج المثاليـة ، وقد تأثر كثير من اللاحقين بأفكار السير هنرى مين خاصـة بعـد ظهـور كتابـه "القـانون القديـم" Ancient law عـام ١٨٦١ . وتمييـزه بـين المجتمـع الريفـى والحضـرى يقـوم علـى محكـى المكانـــة الاجتماعيـة social status والتعاقد contract ، فـالمجتمع يتحـول مـن التنظيـم القرابى الذى يعتمد على المكانة إلى التنظيم التعاقدى الذى [illegible] إدراك الجماعـة للحقـوق والواجبـات والارتبـاط علـى أسـاس [illegible]

ويمكن أن نجد جذور هذه الفكرة فى تاريخ القانون الرومانى حيث يرى الإشارة إلى أن التحول الاجتماعى فى هذا العصر كان يكمن فى العمل على تغيير المجتمع من نمط العلاقات الأسرية إلى نمط العلاقات الاجتماعية . أو من القانون الفردى المقدس إلى القانون الشخصى العلمانى على حسب تعبير فوستل دى كولانج . كما نجد أن "لويس مورجان" يشير إلى أفكار قريبة من ذلك حيث يميز بين مصطلح المجتمعية والحضرية .

واذا ما انتقلنا إلى فرديناند تونيز F. Tonnies نجد أنه بدلاً من أن يؤكز على الفروق بين الريفى والحضرى فى مرحلتين تاريخيتين مختلفتين ، يتجه إلى توضيح مظهرين متناقين أو متباينين فى مرحلة تاريخية واحدة . وأطلق على الأول "المجتمع المحلى" حيث تكون إرادة الفرد فيه تلقائيه ومؤثرة ، وتكون وحدة المجتمع فيه مطلقة أساسها القيم العامة ، والنمط الثانى "المجتمع العام" . وتكون وحدة المجتمع فيه قائمة على التباين والتفرد ، والتعقد ، وتكون إرادة الفرد فيه إرادة عقلية أو رشيدة Rational . وتمثل الأسرة وما يرتبط بها المجتمع الأول بينما تمثل الحضارة فى نموها وتقدمها المجتمع الثانى. وتقوم نظرية تونيز على فكرة النماذج المثالية التى ليس لها وجود فى عالم الواقع . ويقابل المجتمع المحلى الآن القرية والمدينة الصغيرة ،

والمجتمع العام يقابله المدينـة الكبيرة والعواصم الكبرى والمجتمعات القومية . ويحاول تونيز أن يشير بشىء من التفصيل إلى نمط الحياة فى كل من هذين النموذجين من حيث بناء النسق أولاً ، ومن حيث التنظيم المجتمعى ثانياً .

فمن الناحية الأولى يتمثل بناء النسق فى المجتمع المحلى فيما يلى :

الحياة الأسرية ، ويرتبط فيها الفرد بكل سماته الشخصية التى تمثل الإطار العام الضابط فى المجتمع .

- *وفى القرية الريفية* ، ترتكز الحياة على الأعراف والطرق الشعبية .
- *وفى المدينة الصغيرة* ترتكز الحياة على الدين والانتماء إلى الشعور الجمعى المهيمن فيها .

أما فى المجتمع الكبير أو العام فيكون البناء متمثلاً فى :

- *المدينة الكبيرة :* وتتحدد الملامح والعادات والتقاليد فيها وفقاً لدرجة التجمع الإنسانى فيها وحجمه .
- *الحياة القومية :* وهى أوسع نطاقاً وتعتمد على التشريع والقانون التعاقدى الذى ينظمها ويعبر عنها .

ومن حيث التنظيم المجتمعي : فيتمثل في المجتمع المحلي فيما يلي :

- *المنزل* ، وهو يعبر عن الوحدة الأسرية ، ويكون فيه الاقتصاد قائماً على التماثل وفهم المعايير الاقتصادية .
- *والزراعة :* وتقوم على العادات الاجتماعية خاصة العادات التعاونية التي تسود العمل الزراعي .
- *أما الفن :* فيعتمد على الذاكرة ، ويتلاءم مع طبيعة العمل اليدوي .

وفي المجتمع العام يقوم التنظيم المجتمعي على :

- *الحرف :* وهي تعتمد على الدقة ، والتخصص وغير ذلك من الاعتبارات الثقافية .
- *والصناعة :* التي تقوم على الترشيد ، واتخاذ القرارات وتحديد مفاهيم الإنتاج والعمل والقواعد التنظيمية للمصنع .
- *والعلم :* وهو يتضمن المفهومات العلمية ، ويتكامل مع الرأي العام ويؤثر فيه نحو الاتجاهات المرغوبة .

وعلى ذلك يرى تونيز أن العلاقات الاجتماعية في المجتمع الأول تقوم على الخضوع للنظام الاجتماعي الذي نلاحظ أنه يعتمد على التوفيق بين مجموع الإرادات الفردية ، ويسوده التجانس ، وتؤدي الطرائق الشعبية Folk ways والأعراف norms والدين religion

دوراً هاماً فى نمو هذا النمط من المجتمعات .

ولكن فى المجتمع الثانى فتقوم العلاقات الاجتماعية على أساس الوحدة التى تتحقق فى العلاقات الفكرية بفعل الاتفاق والتعاقد فى إطار القانون ، وفى نفس الوقت تستمد مرتكزاتها الايديولوجيه من الرأى العام ، والتفاعل القائم يكون غير شخصى ، وتزداد هيمنة العقل على العرف والمعايير بدرجة تفوق سيطرة العادات والتقاليد .

وفى كل من هذين المجتمعين يتحدد دور جماعات العمل والإنتاج وفقاً لطبيعة ومدى تركز السكان ، فالوظائف والمهن تكون محدودة فى المجتمعات الريفية بينما يتسع نطاقها ، وتتعدد وتتباين فى المجتمعات الحضرية وذلك تبعاً لحجم المجتمع . وهناك مجموعة من السمات التى تتسم بها جماعات العمل والإنتاج فى كل من هذين المجتمعين ، وهذه السمات ترتبط أو تنبثق من طبيعة وبناء النسق الاجتماعى الذى توجد فيه ، كما تعتمد إلى حد كبير على درجة تقسيم العمل فى المجتمع .

وقد أشار تشارلز لوميز Ch. Loomis فى كتابة النسق الاجتماعى social system (١٩٦٠) إلى هذه المسميات الخاصة بجماعات العمل بشىء من التفصيل ويهمنا أيضاً أن نتعرض لتفسيرات لوميز لأنه كتبها فى ضوء أفكار فرديناند تونيز ونظريته .

١- **فى مجال المعرفة :** Knowledge ، والمعرفة تعبير عن الجوانب الفكرية لدى الجماعة وهى ظاهرة تتسم بالعمومية فى كل من المجتمعين لأنها ذات طبيعة عقلية ، والاختلافات فى المعرفة تنتج عن مدى تكيف الجماعة لظروفها المتغيرة ، كما تنتج عن أسلوب الحياة وأنماط الفعل الاجتماعى ، ولما كانت المعرفة خاصية مكتسبة فإنها تكون فى المجتمعات المحلية متشابهة نظراً لأن هذه المجتمعات هى الأخرى متشابة الأنساق . وأيضاً لما كانت المجتمعات الكبيرة متباينة فإن المعرفة فيها تكون هى الأخرى متباينة . وتؤدى المعرفة دوراً محورياً فى المجتمع الريفى، وعلى العكس من ذلك تكون فى المجتمع الكبير أو العام .

٢- **ومن ومن حيث الشعور** feeling، والذى يقصد به مجموعة عواطف الجماعة ويعبر عن المشاعر والأحاسيس التى تربط أفراد الجماعة بعضهم البعض ، ويظهر ذلك بجلاء فى المجتمعات المحلية . فمشاعر الحب والكره تتضح فى جماعات العمل فتؤدى حالة الحب إلى المشاركة الإيجابية والفعالة ، بينما تؤدى فى حالة الكره إلى مظاهر سلبية وغير خلاقة . ومن الملاحظ أن طبيعة العمل فى المجتمع المحلى تتسم بالمحبة ذلك أن نشاط العمل فى هذا المجتمع يقوم فى نطاق الأسرة ، وتؤدى هذه المشاعر القائمة على

الحب دوراً هاماً فـى تنظيم أوجـه النشـاط الاجتمـاعى . أمّا فـى المجتمع العام أو الكبير فنلاحظ اختلاف درجة المشاعر بين الأفراد وتغيرها تبعـاً لتغـير العلاقـات الاجتماعيـة فـى جماعـات العمـل، وأيضـاً تـزداد درجـة التضـامن فـى المجتمـع المحلـى عنهـا فـى المجتمع الكبير نظراً لقوة الضبط الاجتماعى فى المجتمع الأول .

٣- أما من حيث الغايات والأهداف : فمـن المعـروف أن الجماعـات العاملة فى كل مـن المجتمعـين تسـعى لتحقيـق هـدف أسمـى هـو العمل على تكامل النسق الاجتماعى العام . وتكاد تتشابه السـمات الخاصة بنسق العمل فى كل من المجتمعين ، فالأسرة على سـبيل المثال تؤدى دوراً مهماً فى عملية التنشـئة الاجتماعيـة فـى جميـع الأنساق المحلية والكبيرة . وإذا كانت غايـات العمـل تتشـابه فـى كل من المجتمع المحلى والمجتمع الكبير . فـإن وجـه الاختـلاف يتمثـل فـى أن هـذه الغايـات تكـون محـدودة وضيقـة النطـاق فـى المحتمع الاول وتتركز حول الانتاج والاستهلاك أو الانتاج من أجل المعيشة ، بينما تتعدد وتتنوع هذه الغايات فى المجتمع الكبـير ، هذا فضلا عن أن الاهداف فى المجتمع المحلى تستمد من أهـداف الأسرة أما فى المجتمع العام فهى تقوم علـى أسـاس المكتشفـات التكنولوجية الحديثة .

٤- **ومن حيث القيم والمعايير : values & norms** فدورها يختلف في النشاط الاجتماعي في المجتمع المحلي ، فالروابط فيه قوية ويكون التضامن آلياً للتماثل والتشابه بين أفراده . أما في المجتمع الكبير فتظهر الحاجة إلى التعاقد أو القانون ، وقد ظهرت هذه الفكرة عند دوركيم بعد ذلك في حديثه عن التضامن الآلي ، والتضامن العضوى . وكذلك تنشأ في المجتمع الكبير الجماعات المستقلة عن بعضها الأمر الذي يؤدي إلى بعض الظواهر العرضية نتيجة الهجرة الريفية الحضرية والتي تثير الحاجة إلى تكيف الجماعات المهاجرة للقيم والمعايير الجديدة . والتخصص وتقسيم العمل عند تونيز يؤدي إلى التباين الاجتماعي ، وبالتالي يكون دور القيم محدوداً .

٥- **وأخيراً من حيث توزيع الوظائف وأوجه النشاط :** نجد أن هناك اختلافات بين نمطي المجتمعين اللذين تحدث عنهما تونيز - فالعمل الزراعي هو الأساس في المجتمع المحلي الصغير ، وتؤدي الأسرة دوراً هاماً في ترويض الطفل مع هذا العمل ، وبالتالي فإن دور الفرد فيه يكون تقليدياً ، ومعبراً عن أسلوب معين في الحياة الاجتماعية ويكون التغير في دور الفرد الوظيفي محدوداً إلى حد كبير . وهذا يفسر ما أشار إليه بعض الرحالة والأنثروبولوجيين من

أن هذا الدور لم يتغير فى بعض المجتمعات منذ ثلاثمائة عام . وذلك على العكس من المجتمعات الكبيرة التى تتعدد وتتنوع فيها الأدوار والوظائف وأوجه النشاط ، ويتسع نطاق الحراك الاجتماعى social moblility والتدرج المهنى .

وقد أثرت هذه النظرة الثنائية على كثير من علماء الاجتماع ، ومع ذلك نجد بعض التحول عند هربرت سبنسر H. Sepncer فى تفسير عملية التحول من التجانس إلى اللاتجانس ، حيث ذهب إلى أن المجتمع الإنسانى يتحول من نمط المجتمع الحرفى إلى نمط المجتمع الصناعى ، وفى الأول تكون الوظائف والأدوار وأوجه النشاط بسيطة ومتشابهة ومتجانسة ، بينما تكون فى الثانى معقدة ومختلفة وغير متجانسة . ومن الملاحظ هنا أن سبنسر فى تقسيمه الثنائى للمجتمعات الإنسانية يلتزم بفكرة النماذج المثالية Ideal types .

كذلك يتعرض اميل دوركيم فى تقسيمه لنمطى المجتمعات تأسيساً على فكرته عن التضامن الآلى ، والتضامن العضوى ، فالمجتمع المحلى أو الصغير أو القروى يسوده النوع الأول من التضامن لأن أوجه النشاط محدودة ومتشابهة وكذلك أنماط العلاقات الاجتماعية ، أما المجتمع الكبير أو الحضرى أو الصناعى فيسوده التضامن العضوى لأن أوجه النشاط متسعة ، ومتباينة وكذلك شبكة العلاقات الاجتماعية . وهنا أيضاً تشابه بين أفكار دوركيم وأفكار تونيز مع فارق بينهما يتمثل فى

أن دوركيم يتناول الفكرة فى إطار تاريخى ، ولكنه مع ذلك نموذج مثالى .

ومن العلماء الذين تأثروا بفكر تونيز ودوركيم نشير إلى روبرت ردفيلد ، وقد احتلت دراساته أهمية خاصة فى الدراسات الاجتماعية والأنثروبولوجية ، وكما قلنا كان من أوائل العلماء الذين استخدموا المناهج الأنثروبولوجية مع تعديلها لتتلاءم مع دراسة المجتمعات القروية . فهو يميز بين خصائص مجتمع القرية وهو ما يطلق عليه المجتمع الشعبى folk society ، والمجتمع الحضرى ، ويقوم هذا التمييز على نتائج دراساته لأربعة مجتمعات محلية مكسيكية استخلص منها بعض النتائج التى ساعدته على تحديد الفروق بين المجتمعات الريفية والحضرية على النحو التالى :

١- يتميز تقسيم العمل بالاتجاه نحو التعقد كلما اتجه الأفراد للعمل فى الحرف والمهن فهذه المهن ضرورية فى المجتمع من أجل استمرار وجوده .

٢- يقوم العمل فى المجتمعات القروية على المجهود الجمعى ، وبالتالى فإن تفسير العمل يتم فى حدود ضيقة .

٣- لكل من المجتمعات الأربعة (التى درسها ردفيلد) خصائص وأوضاع تختلف عن خصائص وأوضاع غيره من المجتمعات ، وعلى ذلك فتفسير التباين الاجتماعى فى هذه المجتمعات لايمكن

التعبير عنه فى صيغة عامة .

ومن المعروف أن المجتمعات الأربعة التى درسها ردفيلد فى المكسيك كانت عبارة عن قبيلة هندية ، وقرية ريفية ، ومدينة صغيرة Town ، ومدينة كبيرة City وقد كان موجهاً فى هذه الدراسة بأربعة فروض هى :

أولاً : المجتمعات البدائية والريفية لها خصائص تماثل خصائص النمط الأول من المجتمعات عند تونيز وهو المجتمعات المحلية .

ثانياً : عندما تتصل المجتمعات القروية ببعضها من ناحية ، وبالمجتمع المتحضر من ناحية أخرى عن طريق المواصلات والاتصالات فإنها تبدأ فى الاتجاه اتجاها عكسيا يغاير خصائصها المميزة لها .

ثالثاً : هناك علاقه طبيعية أو تداخلية بين الخصائص أو بينها جميعا فى حاله التغير .

رابعاً: من المحتمل وجود علاقات اجتماعية عارضة بين الحياة الحضرية وسوء التنظيم المجتمعى أو بين الفردية وسوء التنظيم[1] .

ووفقا للنتائج التى توصل إليها ردفيلد يمكن القول إن خصائص

---

(1) Redfiled, Rebert , The folk culture of yacatan The univeristy of chicago press, 1941.PP.5-18.

المجتمع الشعبى تتلخص فى :

١- صغر الحجم .

٢- العزلة .

٣- انخفاض مستوى التعليم .

٤- تضامن الجماعة وتماسكها .

٥- بساطة تقسيم العمل .

٦- العادات والتقاليد أساس الثقافة .

٧- العلاقات تلقائية .

٨- نسق المعرفة غير منظم .

٩- التجانس .

١٠- بساطه التكنولوجيا .

١١- المكانة الاجتماعية تقوم على الانتماء أو النسب أو الوراثة .

١٢- وضوح تأثير العاطفة على العقل .

١٣- سيادة الجوانب المقدسة فى ألمجتمع .

١٤- استقلال الاقتصاد .

١٥- السلوك شخصى تلقائى .

على العكس من ذلك بالطبع تكون خصائص المجتمع الحضرى، وقد كانت نتائج ردفيلد كما قلنا ولا زالت ذات أهمية كبيرة

فى دراسات علم الاجتماع الريفى وذلك لوضوحها واعتمادها على الدراسة الميدانية .

وتتشابه أفكار هوارد بيكر H.Beaker مع ما توصل إليه ردفيلد فنجد بيكر يميز بين نمطين من المجتمعات أحدهما سماه المجتمع المقدس sacred s. والآخر سماه المجتمع العلمانى secular s.، وتتناقض خصائص كل من هذين المجتمعين على النحو السابق ذكره عند ردفيلد . أما سوروكين وزيمرمان P. Sorokin & Zimmerman فقد اهتما بالتفرقة بين المجتمعات الريفية والحضرية على أساس المهنة occupation باعتبارها متغيراً أساسياً أو مستقلاً independant ، وبناء على هذا المتغير يشيران إلى سبعة متغيرات أخرى أطلق عليها "المتغيرات التابعة" dependant وهى البيئة ، وحجم المجتمع ، وكثافة السكان ، والتجانس واللاتجانس ، التباين ، والحراك الاجتماعى ، ونسق التفاعل .

ويذهب سوركين وزيمرمان إلى أن المهنة ترتبط فى المجتمع الريفى بالعمل الزراعى الذى غالباً ما ، يتم خارج المنزل ، ويحتاج لمساحات كبيرة من الأرض وعلى هذا الأساس تكون قوة العمل فى المجتمع الريفى قائمة على عمال الزراعة الذين يمثلون نسبة كبيرة من سكان هذا المجتمع . كما لايتطلب العمل الزراعى تخصصاً فى

الوظائف بل يمكن للفرد الواحد أن يقوم بأكثر من عمل ، وتمثل الأسرة طاقة أساسية فى حجم قوة العمل ، وإذا ما كان هناك عمال من خارج الأسرة فعددهم محدود ، ويعتمد على العلاقات الشخصية بين الفلاح ومن يستأجرهم .

وعلى عكس ذلك يكون العمل فى الصناعة التى توجد غالباً فى المجتمع الحضرى ، ففيها لايرتبط العمل بجماعة الأسرة ارتباطاً مباشراً ، كما يزداد التخصص فى المجتمع الصناعى ويصعب على الفرد القيام بأكثر من عمل واحد ، لأن هذا العمل بطبيعته معقد ويعتمد على التداخل بين الوظائف بشكل يؤدى إلى تكاملها ، كما يرتبط العمل فى الصناعة بمسألة الهجرة الريفية الحضرية بحثاً عن مستويات أعلى من الدخل خاصة بين العمال المهرة ، وهذا ما يسمى بالحراك المهنى وهو لايوجد فى المجتمعات الريفية الزراعية [1] .

أما الخصائص أو المتغيرات التابعة للمهنة فهى :

١- **البيئة :** يتصل الريفيون اتصالاً مباشراً بالطبيعة أو الأرض ، وهذه الصلة تحدد نشاط السكان ونظرتهم للحياة ، ويكون للبيئة فى حياة الريفيين غلبة أو هيمنة على البيئة الاجتماعية الإنسانية أما سكان

---

(١) عبد الهادى الجوهرى وآخرون ، دراسات فى علم الاجتماع ، ص ص ١٠٠-١١٢ .

الحضر فهم منعزلون عن الطبيعة بشكل واضح ، لأن البيئة فى الحضر من صنع الإنسان فهو الذى خلقها وهو الذى طور الحياة فى المدن وأدخل عليها تعديلات ومكتشفات أثرت فى الحياة الاجتماعية .

٢- **حجم المجتمع :** يتناسب حجم المجتمع الريفى مع حجم الأرض التى يمارس عليها السكان نشاطهم تناسبا عكسيا . ويرجع ذلك إلى طبيعه العمل الزراعى الذى يحتاج لمساحة واسعة ، وعلى العكس من ذلك فإنه كلما زادت نسبة التحضر تزايدت معها أحجام المجتمعات . وهنا يشير بعض العلماء فى تعريف المدينة إلى أنها تمثل مساحة صغيرة نسبياً من الارض يعيش عليها عدد كبير نسبياً من السكان .

٣-**كثافه السكان** : population density تتسم المجتمعات الريفية بانخفاض فى كثافة السكان بالمقارنة بالمجتمعات الحضرية وترتبط هذه النقطة بالنقطة السابقة ، علماً بأن الكثافة هى عدد السكان فى الكيلومتر المربع .

٤- **التجانس واللاتجانس :** Homogeniety & Hetrogniety يتميز سكان الريف بأنهم أكثر تجانساً بالمقارنة بسكان الحضر سواء كان هذا التجانس فى مجال السمات العنصرية أو السلالية أو السيكولوجية ، أو الاجتماعية .

٥- **التباين والتدرج الاجتماعى :** differentiation & stratification

فالتباين الاجتماعى أو التدرج الذى يؤدى إلى قيام الطبقات الاجتماعية أمر لايظهر فى المجتمعات الريفية ، بينما يظهر هذا الأمر بوضوح فى المجتمعات الحضرية ، وهذه الخاصية تعتبر واحدة من أهم الخواص عند التمييز بين الريف والحضر .

٦- **التنقل الاجتماعى :** social Mobility التنقل الاجتماعى وكذلك الحراك المكانى أمور تكاد تكون غير موجودة فى المجتمع الريفى ، وإن كان هذا الأمر قد تغيز فى العصر الحديث بزيادة هجرة العمال من الريف للعمل فى الصناعة ولكنها محدودة وغير واسعة النطاق . أما هذه الظواهر خاصة التنقل الاجتماعى فهى تكثر فى المدينة لاتساع نطاقها واتساع نطاق العمل والسوق ، وإمكانية تحقيق التطلعات الفردية بشكل أكثر منه فى القرية .

٧- **نسق التفاعل :** system of interaction ، يتضح أن مدى التفاعل يكون ضيقاً فى المجتمع الريفى ، ولكن على مستوى العلاقات الأولية التى تقوم فى القرية الصغيرة يكون التفاعل واضحاً وعميقاً ، وهناك تتميز العلاقات بالبساطة والمودة والإخلاص . أما فى المجتمع الحضرى فإننا نجد كثرة الاتصالات التى تشمل جزءاً كبيراً من نسق التفاعل بالنسبة للفرد أو الجماعة،

ولكن العلاقات التى تسود المدينة تكون من النوع الثانوى ، والسطحية ، وغير الشخصية ، وقصيرة المدى . كما تتميز بالشكلية والتعقيد ، ففى كثير من الحالات يتعامل الشخص فى المدينة كرقم وعنوان على خد تعبير سوركين وزيمرمان (1) .

ويمكن أن نستخلص أن التصنيف السابق والذى قدمه "سوركين وزيمرمان" يعتمد على أساسين : أحدهما مرتبط بفكرة المتصل الريفى الحضرى ، وهى فكرة ترفض الانفصال النوعى بين الحياة الحضرية والحياة الريفية . بل تقول بالاتصال بينهما ووجود رواسب ريفية لاتزال تمارس دورها فى المجتمع الحضرى ، أما الأساس الثانى فهو يأخذ بفكرة النماذج المثالية لأن الخصائص التى تعرضا لها قد لاتنطبق بالضرورة على كل أنواع المجتمعات الريفية ، أو الحضرية ، وإنما قد توجد كلها أو بعضها أو قد توجد بصورة أو بأخرى .

لقد تضمن العرض السابق الإشارة إلى مسألة الفروق الريفية الحضرية من مدخل النماذج المثالية ، ومدخل السمات الريفية الحضرية . ويتضح أن المدخل الثانى أكثر كفاءة من المدخل الأول ، لأنه يحاول التغلب على صعوبات التجريد التى يتسم بها مدخل

(1) Sorokin, P. & Zimmerman , principles of rural urban sociolgy, N. Y. 1929 . P. 13 .

النماذج المثالية . فأنصار مدخل النماذج المثالية يحددون النموذج الذى يتحدثون عنه بصورة نظرية مجردة أو تصورية . وذلك بصرف النظر عن إمكانية انطباق هذه النماذج فى عالم الواقع من عدمه . أما المدخل الثانى وخاصة عند سوركين وزيمرمان فهو يتعرض لسمات وخصائص معينة يمكن أن يكون لها وجود فى عالم الواقع . وقد أدخلت تحسينات على دراسة الريف والحضر من هذا المدخل باستخدام الإحصاء والمعادلات الرياضية . وقد اهتم علماء هذا المدخل بالسمات والخصائص على أساس إمكان إكساب الريف خصائص المدن إذا - حاولنا تغييره أو تطويره . وأما مدخل المتصل الريفى الحضرى الذى سبقت الإشارة إليه فيقوم على القول بأن الريف والحضر لم ينشا من فراغ بل إن ملامحهما الأساسية وسماتهما تختلط وتتداخل ، فيتحدث أنصاره عن أقصى أنواع التحضر Hyper Urbanization ، وأدنى أنواع الريفية ، sub - Rural ، وذلك دون انقسامية بينهما ، بل على أساس نظرة ترابطية تتدرج بين قطبين two polars متصلين . وقد حاول أنصار هذا المدخل تصميم مقاييس تتدرج عليها المجتمعات بين القطبين المذكورين ، ومن أشهرها مقياس ثورنديك Thorondike . وعلى ذلك فقد واجهت هذا المدخل بعض الصعوبات ومنها أنه حاول أن يستوعب كل أوجه النضال الإنسانى والتقدم الحضارى بحيث يمكن

حصر سماتها وإدخالها فى هذا المتصل لإمكان تحديد وضع المجتمع على متصل الريفى - الحضرى rural urban continiuum ، ومن هذه الصعاب التساؤل ... هل الخصائص التى يتضمنها المتصل متغيرة فى ذاتها .؟ وإذا كانت متغيرة فهل تتغير المقاييس التى تحددها فى كل مجتمع ، وهل هذه المقاييس من الدقة بحيث يسهل تعيين وضع كل مجتمع على المتصل .؟ والاجابة على هذه التساؤلات تساعدنا على تقدير مدى التحضر أو التريف فى كل مجتمع محلى على حده .

ومع ذلك فإن هذه التساؤلات لم تلق اجابات دقيقة فى تراث - علم الاجتماع ودراساته الحالية .

وهناك مدخل آخر يستخدم فى : التفرقة بين الريف والحضر وهو المدخل الديموجرافى demographic ، وقد اشتهر هذا المدخل أكثر ما اشتهر فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وقد حاول أوتيس دادلى دنكان Otis Dudly Duncan أن يطبق هذا المدخل فى اختبار كفاءة المدخل السابق وهو المتصل الريفى الحضرى ، وقد توصل إلى أن التدرج فى حجم المجتمع المحلى يمكن أن يعتبر مقياساً لسلامة هذا المدخل، أى أن المدخل الديموجرافى يقوم على أن حجم السكان فى المجتمع هو الأمر الحاسم فى التفرقة بين ماهو ريفى وماهو حضرى ، ومع ذلك فقد تواجهنا صعاب كثيرة فى هذه النقطة ، فهناك قرى فى بعض البلدان وفى مصر على سبيل المثال يكون حجمها كبيراً ، وتنطوى على كثير

من الخصائص والسمات التى أشرنا إليها على أنها مدن ، كذلك فإن هناك مجتمعات تحدد حجم المدينة بألفين وخمسمائة نسمة كما هو الحال فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وإذا ما طبقنا هذا المقياس الديموجرافى على مصر مثلاً فسوف يتضمن عدداً ضخماً من القرى والتى لاتكتسب صفات المدن .

أى أن الخلاصة إن مقياس الحجم السكانى كأساس للتفرقة بين القرية والمدينة مقياس تعسفى لأننا فيه نصطدم بالحجم الذى نراه ملائماً لإطلاق كلمة المدينة على المجتمع المحلى ، والحجم الذى نراه ملائماً لتحديد الريف والقرى . فهذا الحجم إذا تلاءم مع أحد المجتمعات فسوف يكون قاصراً مع غيره من المجتمعات .

أما المدخل التالى فى تحديد الفروق الريفية الحضرية فهو المدخل الإدارى adiminstrative approach ، وهذا المدخل تأخذ به بعض البلدان منها مصر ، والسويد وبولندا ، ورومانيا وغيرها . وبالتالى يتلزم المشتغلون بعلم الاجتماع فى هذه البلدان بهذا المقياس .

ويعتمد هذا المدخل على وجود مؤسسات معينة فى المجتمع سواء كانت مؤسسة إنتاجية أو مؤسسات خدمات . ومن هذه المؤسسات النوادى والمستشفيات والمدارس والمحاكم ، ومراكز الشرطة ، والمؤسسات التجارية والصناعية . فإذا توافرت هذه المؤسسات كان .

المجتمع حضرياً والعكس ففى مصر نجد تطبيقاً للتقسيم الإدارى يعتبر عواصم المحافظات مدنا بمعنى cities وعواصم المراكز مدنا أو أمصارا بمعنى Towns وفى مصر يقوم التقسيم الإدارى للمدن والقرى على أساس التصور بأن المحافظات والمراكز عادة ما تكون مجالاً فسيحاً لأوجه النشاط المتنوعة ، الإدارى منها والتجارى والصناعى، والثقافى، والتعليمى ، والترفيهى . وغير ذلك مما لايتاح للقرى ممارسته . هذا فضلا عن أن المدن والمراكز هى التى تملك السلطة وتسيير الخدمات ، وإصدار القرار . وبالتالى فهى مراكز الجذب بالنسبة للقرى .

وحينما صدر قانون الإدارة المحلية الأول عام ١٩٦٠ جعل المحك الذى يقوم عليه تقسيم المدن هو وجود المجالس البلدية ، فكل مدينة أو مركز وجد به مجلس بلدى قبل صدور القانون أعتبر مدينة وشكل له مجلس مدينة ، وهذا ينطبق أساساً على عواصم المحافظات والمراكز فى مصر وقد ظهر من التقسيم الإدارى فى مصر وجود (٢٥) خمسة وعشرون مدينة هى عواصم المحافظات ، و (١٠٨) مائة وثمانية مدينة تعنى Town هى عواصم المركز .

وهذا المدخل أيضاً لايخلو من الانتقادات ، لأنه أدخل فى عداد المدن تجمعات سكانية قد لاترقى إلى هذا المستوى ، وأخرج من عداد المدن تجمعات سكانية يمكن أن تكون مدناً ، وأنه كذلك يعتمد على الاختيارات الرسمية ، التى قد تلعب الانتماءات فيها دوراً كبيراً .

وهناك مدخل آخر يحاول تحليل الفروق الريفية الحضرية على أساس الوضع الطبقى ، فإذا كانت الطبقة السائدة فى المجتمع هى طبقة الفلاحين وهم الذين يملكون إصدار القرار الذى يؤثر فى مستقبلهم، فإن المجتمع بهذا المعنى يكون ريفياً . وإذا كانت الطبقات المسيطرة هى طبقات عمال الصناعة ، والجنود والمثقفين ، وأصحاب رؤوس الأموال وكبار التجار فإن المجتمع يكون حضرياً .

وهذا المدخل هو الآخر مشكوك فيه لأن الطبقات الأخرى التى تشكل عماد الحياة الحضرية قد توجد بالريف ، كذلك فى أطراف المدن وضواحيها قد نجد طبقات الفلاحين ، صحيح أنه وجود نسبى ، والفيصل فيه يكون لحجم الطبقة وفعاليتها وقوتها ، ولكن مع ذلك فانه فى مرحلة تاريخية عاش كبار ملاك الأرض خارج الريف ، ومع ذلك كانوا يؤثرون فى مصائر سكان الريف وأقدارهم بشكل كبير . وأيضاً فإن هذا المدخل لاينظر للمجتمعات الريفية غير الزراعية على أنها ريف طالما أنها تخلو من طبقات العاملين بالزراعة . بينما هناك مناطق ريفية قد لاتعمل بالزراعة ، وقد لاتحيطها أراض صالحة للزراعة ، وقد يعمل معظم سكانها فى حرف مثل النسيج اليدوى (القطن والصوف) أو صنع الطوب ، أو الأوانى الفخارية أو التجارة ، وغير ذلك .

أما المدخل التاريخى لفهم الفروق الريفية الحضرية ، فيرى أنصاره أن المدينة ذات بعد تاريخى طويل ، ولاتزال فيها آثار شاهدة على تاريخها ، أما القرية فهى التى لم يكتب لها تاريخ من قبل ، كذلك لم تنل من الشهرة والمجد مثلما نالت المدينة . فالمدينة من هذا المدخل ظاهرة تاريخية .

ومع ذلك فالوقوف عند البعد التاريخى أمر قاصر ، ذلك أن مدناً قديمة وعريقة انكمشت واضمحلت بل وزالت ولم تستمر فى كونها مدناً ، مثل بعض المدن المصرية القديمة (طيبة ، منف) مثلاً . إن هذا المقياس قد يصدق على مدينة كالاسكندرية لها تاريخ لم تعرفه أعظم المدن فى العالم حتى الآن ، ويبدأ من مرحلة ما قبل الميلاد بوقت طويل ، ولكنها ظلت حتى الآن مدينة وكتبت عنها المجلدات والبحوث فى كل الفروع والتخصصات ، ولكن هذا المقياس لاينطبق على كثير من المدن الحالية .

كما أن هناك قرى قد يكون لها تاريخ مكتوب ولو على سبيل المصادفة كان نعثر على تاريخ مسجد ، وتاريخ إنشائه ، أو أحد القادة الدينيين فى إحدى القرى ، ومن خلال ذلك قد نتوصل إلى ملامح كامنة عن طبيعة هذه القرية وسكانها وعاداتهم وتقاليدهم ، وغير ذلك هنا هل يمكن أن نعتبر هذه القرية مدينة لأن لها تاريخاً مكتوباً .

إن المدخل التاريخى هام بلا شك فى الدراسات الاجتماعية ، ولكن فى مجال التفرقة بين الريف والحضر ، يمكن أن يفيد فى الوقوف على المراحل التاريخية التى مرت بها المدن أو القرى ، وقد يساعد فى استخلاص أنماط عامة لما يوجد فى كل منهما من نظم ومؤسسات ، ودورها ، و تكرارات الأحداث وغير ذلك .

المدخل السوسيولوجى فى فهم الفروق الريفية الحضرية :

اهتم علماء الاجتماع أكثر من غيرهم بقضية الفروق الريفية الحضرية . وكانوا فى اهتمامهم هذا لايعتمدون على بعد واحد أو جانب واحد . ويهتم علماء الاجتماع الذين يمثلون هذا المدخل بطبيعة العلاقات الاجتماعية السائدة فى المجتمع ،فهناك العلاقات السطحية ، وغير العميقة ، وعلاقات الوجه للوجه ، وهذه تميز حياة المدينة كذلك – وعلى العكس مما سبق – فإن هناك علاقات اجتماعية قوية ، ومباشرة ، وتتميز بالبساطة وهى التى تميز العلاقات فى الريف .

فالفرد فى المدينة يستطيع أن يعرف كل سكانها ، وهو أمر قد يتسنى لساكن القرية . وهناك العلاقات الأولية (فى المجتمع الريفى) والعلاقات الثانوية (فى المجتمع الحضرى) ، وهناك التكامل وسيادة الروح التعاونية والتكافل فى (المجتمع الريفى) وهناك التفكك وعلاقات المنافسة ، والأنانية (فى المجتمع الحضرى) .

ومن هذا المدخل نعود إلى ما سبق أن أشرنا إليه من قبل ، وهـو أن الريفية طريقة متميزة فى الحياة ، كما أن الحضريـة طريقـة متمـيزة فى الحياة . وطريقة الحياة هنا تشمل سائر الجوانب الأخـرى ، فهـى تستوعب المهـن ، والنشـاط الاقتصـادى ، وحجـم المجتمـع ، وطبيعـة العلاقات، واستخدام المكتشفات التكنولوجية وغير ذلك .

وقد كانت دراسة الاختلافات بين الحياة فى القرية والحياة فى المدينة من المسائل الهامة فى دراسات علم الاجتماع ، والواقـع أن هـذا الاختلاف يرجع إلى سهولة الفصل بين نموذجين كبـيرين مـن التنظيـم الاجتماعى ، فالمدينة تعتبر بيئة من خلق الإنسان ، فهو الذى غير فى ملامح البيئة الطبيعية التى تقوم عليها وتمثل هذه النقطة أول اختـلاف أساسى بين المدينة والقرية ، وهى تقودنـا إلى البحـث فـى مـدى تأثـير البيئة على الإنسان ، أو على التنظيم الاجتمـاعى فـى منطقـة معينـة . وليس هناك شك فى أن البيئة رغم تطور وسائل سيطرة الانسان عليها، إلا أن لها تأثيرها على حياة الناس بوجه عـام سـواء بشـكل مباشـر أو غير مباشر .

وفى مجال القضية التى نتحدث عنها يمكن أن نشير إلى أن دور البيئة فى التأثير على سـكان القريـة يتفـوق علـى تأثيرهـا علـى سـكان المدينة ، والفارق هنا نسبى أو هو من حيث الدرجة فحسـب ، بدليـل أن تأثير البيئة فى المراحل الأولى من تطور المدينة أكثر وضوحاً منه فـى

حالة تطورها الحديث أو فى المراحل المتأخرة .

وكما أشرت من قبل فإن المقارنة بين الريف والمدينة لابد أن تتم فى إطار تاريخى بحيث تكون المقارنة بين أمور مشتركة أو متزامنة ، فالمقارنة التى يجريها البعض لاتنطبق فى كل الأحوال على جميع المدن والقرى بصرف النظر عن الزمان والمكان ، فلكل حالة تاريخاً . فما هى العوامل التى شكلت الحياة فى هذه المدينة أو تلك على هذا النحو أو ذاك . فهذه مدينة تطورت عن قرية ، وتلك نشأت بطريقة إرادية لأغراض معينة . وبالتالى فإن بينهما فوارق حسبما يوجد فى احداهما من رواسب تاريخية لاتزال تؤثر فى نمط الحياة الاجتماعية , ووجود هذه الرواسب التاريخية يجعلنا مرة أخرى نشير إلى أنه ليست هناك حدود فاصلة بين القرية والمدينة ، أين تنتهى القرية أو أين تبدأ المدينة؟

فلو صدق معيار الحجم السكانى فى البلدان المتقدمة صناعياً كبلدان أوربا وأمريكا ، فإنه لايصدق فى مناطق أخرى فى آسيا وأفريقيا وغيرها من بلدان العالم الثالث ، كذلك لو قلنا إن الريف فى طريقه للزوال فى بلدان العالم المتقدم أو الصناعى ، فإنه لايجوز أن نطلق نفس الأمر على بلدان العالم الثالث التى يعيش معظمها على الزراعة والإنتاج الزراعى . وبالتالى لاتزال وسوف تبقى فيها خواص الريفية إلى أمد بعيد.

وبناء على ماسبق فإن هناك بعض المحاور التى يهتم بها المدخل السوسيولوجى فى دراسة الفروق الريفية الحضرية ومن أهمها :

أ- **ظاهرة العزلة النسبية لحياة الريف** : وهى تتعلق بعزلة الجماعة نفسها وليس الفرد . فالعائلة فى القرية تشبع إلى حد ما الحاجات الاقتصادية والاجتماعية لأعضائها ، وتعتبر وحدة مستقلة داخل القرية ، وتقوى الروابط فيها كلما زادت درجة الإشباع ، ووصلت إلى حد الاكتفاء الذاتى ، والمقصود بالعائلة هنا تلك العائلة الكبيرة التى تتضمن داخلها عدداً من الأسر . وتكون العادات والتقاليد فيها ذات قوة وسلطة كبيرة . ومن هنا نجد العلاقات فى القرية من النوع المباشر والأولى .

ب- **عدم وجود مجال للتخصص** : فالمهنة الرئيسية فى القرية هى الزراعة وكل نشاط فى القرية يتصل بها ويقوم عليها ، فالفلاح مثلاً عليه أن يتقن جميع العمليات الزراعية دون إحساس بالغرابة ، كذلك قيمة الأفراد تتحدد على أساس العمل الزراعى ، ويظهر دورها فى المصاهرة والموافقة على الزواج ، فبعض المهن الفرعية فى القرية رغم ندرتها لاتشكل قيماً اجتماعية معينة مثل الزراعة ، وقد ترفض الأسرة تزويج من يقوم بهذه الأعمال وبطبيعة الحال فالعمل الزراعى غير متخصص بطبيعته، وطموح الفلاح وآماله وقيمة ترتبط بالزراعة .

جـ- بساطة الحياة الريفية : وهى من المسائل الهامة التى يلحظها الباحث فى الريف ، فالفلاح يميل للبعد عن مظاهر التعقيد السائدة فى المدينة وسبب ذلك بساطة الأعمال التى يقوم بها ذاتها ، هذا فضلاً عن رتابتها ، فالمنافسة مثلاً تأخذ طابعاً مختلفاً ، فهى تنحصر فى التفوق على غيره فى الإنتاج الزراعى ، أو ادخار مزيد من الأموال ، ولكن لاتظهر لديه الرغبة فى التميز على أقرانه من الناحية الاجتماعية ، كذلك قد لايعير الكماليات اهتماماً كثيراً ، إلا فى حالات تأثره بالتيارات الحضرية بشكل جارف .

وعلى العكس من كل ما سبق نجد أن الحياة فى المدينة تختلف، فبدلاً من العزلة نجد التجمع أو الانتماء لجماعات ومنظمات مختلفة خارج نطاق العائلة . كما تسود العلاقات الثانوية ، وتزداد تكرارات الاتصالات الاجتماعية سواء مع الأفراد الآخرين أومع المواد الثقافية . ويتفوق حجم هذه الاتصالات على الاتصال بالطبيعة الذى يوجد فى الريف . وأيضاً يسود التخصص فى النشاط الاقتصادى ، إلى جانب تحديد الأعمال ووضوح المراكز ، وأخيراً تتزايد حدة المنافسة وجمع الثروة والتطلع للحراك أو التنقل من طبقة لأخرى وغير ذلك .

ومن كل ما سبق يمكن أن نشير إلى أن الفارق بين الريف والمدينة يتمثل فى البناء الاجتماعى لكل منهما وطبيعته ، وهذا البناء يتضمن سائر الجوانب الفرعية الأخرى ، نوع النشاط الاقتصادى ، وما يرتبط به من أشكال للتنظيم الاجتماعى .

الفصل الخامس

بعض النظم الاجتماعية فى المجتمع الحضرى

تمهيد :

النظم الاجتماعية أساسية فى كل المجتمعات الإنسانية ، ويكاد إطارها العام أن يكون متشابهاً ، لكن فاعليتها وكفاءتها فى أداء الأدوار المنوطة بها هو الذى يتغير . والنظام الاجتماعى ظاهرة إنسانية معقدة ، ذلك أنه يشتمل على معايير ، وقيم ، ووظائف منها ماهو بيولوجى وفطرى ، ومنها ماهو مكتسب ، وتتضمن النظم قيماً ومعايير إذا اتبعها أفراد المجتمع تحقق أداء النظام لأهدافة .

فالأسرة كنظام اجتماعى مثلاً تتضمن وظائف متعددة تحدد أدوار كل فرد من أفرادها ، فالإنفاق ، والتوجيه ، والإرشاد ، والعمل مسئولية رب الأسرة ، يقابلها معيار الطاعة والاحترام من جانب الأبناء. ومن هذا وذاك نجد معايير فرعية وسيطة تكفل حسن أداء الأسرة لوظيفتها الاجتماعية .

كذلك فإن النظام الاقتصادى يتضمن الإنتاج ، والملكية ، والتوزيع، وغيرها ولكل من هذه الوظائف معايير وحدود لايتخطاها حتى يستقيم شأن المجتمع ويؤدى النظام الاقتصادى الكلى أهدافه المتوخاه.

ولما كانت النظم الاجتماعية فى أى مجتمع متداخلة إلى حد كبير فإن هذا التداخل وحدوده ومعاييره تحدد استقرار المجتمع

ورسوخه . وسياسة التغيير الاجتماعى تهدف دائماً إلى تنقية النظم من كل ما يشوبها . كما تعمل على المضى بها قدماً إلى الأمام فى ضوء أهداف التغيير والتقدم .

ولوسوف نختار من بين النظم الاجتماعية فى المجتمع الحضرى ثلاثة نظم هى نظام الأسرة . والنظام الاقتصادى ، والنظام السياسى .

أولاً : نظام الأسرة فى الحضر :

كانت المدينة ولاتزال محط أنظار سكان الريف الذين يهاجرون إليها إما سعياً وراء العمل ، أو الرزق أو زيادة الدخل ، وإما سعياً للتمتع بما فى الحضر من مميزات . وهذه الهجرة الريفية الحضرية تمتد لتشمل الأسرة التى تنتقل من القرية للحياة فى المدينة . وكما نعلم فإن الأسرة الريفية تعيش حياة منتجة بمعنى أن كل أفرادها يعملون فى الزراعة وأوجه النشاط المرتبط بها . أى أن – أعضاءها يقومون بأدوار متماثلة تقريباً فى حقل الإنتاج . لكن الهجرة إلى المدينة تؤدى بالضرورة إلى إدخال عدة تعديلات فى أدوار هذه الأسر وأعضائها .

فقد يعمل الوالد فى التجارة أو الصناعة بدلاً من الزراعة ، ويذهب الأبناء إلى أماكن الدراسة أو التدريب أو العمل . وقد تعمل الأم، وقد تبقى للأعمال المنزلية هذا فضلاً عن أن الأسرة الحضرية

تخفف من سيطرتها المطلقة على كل أفرادها ، كما تخفف التزاماتها قبل الأقارب ، والأصهار ، وغيرهم . وليس خافياً أن هذا التحول الذى يطرأ على نمط حياة الأسرة ، وأدوار أفرادها يحدث بعض المشكلات نتيجة لاستمرار التمسك بالنمط والقيم القديمة أو الريفية فى وسط جديد تسوده الحياة الفردية مما يؤدى إلى الخروج شيئاً فشيئاً من التقليدية إلى التحررية . فالوالد أو الجد فى الأسرة أو العائلة الكبيرة كان يتمتع بنفوذ كبير ، واخذ هذا النفوذ فى الإنكماش فى الأسرة الحضرية لما أصبحت تتمتع به من استقلال . وفى الوقت الذى أدى هذا التغير إلى التحلل من بعض الالتزامات نحو الأقارب : إلا أنه ضاعف من مسئولية رب الأسرة الحديثة الذى لم يكن من قبل مسئولاً عن كل أمورها . ولو أننا أمعنا النظر فى سمات الأسرة الحضرية فإننا يمكن أن نستخلص السمات التالية :

أولاً : سيطرة أو وحدانية الزوج والزوجة ، وانخفاض حالات تعدد الزوجات ، بينما ترتفع نسبة الطلاق فى المدن عنها فى القرى ، تحت وطأة النزعة الفردية وإقدام الحضرى على ما يعتقد أنه يشكل مصلحته.

ثانياً : تتزايد نسبة النساء العاملات فى المجتمع الحضرى عنها فى المجتمع القروى وهذه الظاهرة قد أدت إلى حدوث تغيرات كبيرة

فى الأسرة الحضرية من حيث الاختيار للزواج ، والإنجاب ، والإنفاق وغير ذلك من الجوانب . إلا أنه لايزال هناك جدل هذه التأثيرات خاصة فى حجم مسئولية الزوجة العاملة ، واستقلالها الاقتصادى عن الزوج ، وأنسب الأعمال التى يجب أن تقوم بها المرأة ، والأسلوب الأمثل للتربية ، ورعاية الأطفال فى الأسرة الحضرية التى تعمل فيها الأم .

ثالثاً : أظهرت الاتجاهات الفردية فى الأسرة الحضرية الحاجة إلى مزيد من الخدمات وأوجه الرعاية من جانب المجتمع وهيئاته ، ومؤسساته الحضرية مثل خدمات التأهيل ، والتأمينات الاجتماعية ، والمساعدات أو الرعاية الصحية ، ورعاية الطفولة ، وخدمات تنظيم الأسرة وغير ذلك . وليس هناك من خلاف حول كون هذه الخدمات تعبر عن مدى تقدم المجتمع ومبلغ حضارته .

رابعاً : يقل حجم الأسرة الريفية ، على الرغم من أن الأسرة الحضرية فى بلدان العالم الثالث ومصر من بينها لاتزال أكبر حجماً من الأسرة الحضرية فى البلدان المتقدمة . وفى نفس الوقت فإن التوازن بين الموارد ، وأوجه الإنفاق كثيراً ما يتخلخل فى بلاد العالم الثالث .

خامساً : المسكن الحضرى يتميز عن نظيره الريفى بتوفر الخدمات ،

والتيسيرات الحضرية ، فالمرافق ، وشبكة الصرف ، ونسبة التكدس . هذا أيضاً على الرغم من أن مدن العالم الثالث لاتزال تعانى من مشكلة المرافق هذه ، ولاتزال تبذل جهوداً لإحلالها ، وإبدالها . والمسكن كما نعلم يمثل مكانة بارزة فى حياة الأسرة الحضرية . فهو إما أن يكون عنصر جذب وربط لأفراد الأسرة بما يحقق ولاءهم للمجتمع الأكبر ، وإما أن يتحول إلى عنصر طرد ونقمة على هذا المدتمع .

فالأفراد يخرجون إلى العمل ، أو الدراسة أو غير ذلك وهم فى جميع الحالات متأثرون بطبيعة المناخ الاجتماعى الذى يسود المسكن . وعوامل الراحة ، والقلق التى تسيطر عليه . ومع أن سيطرة المنزل الحضرى على أعضائه قد ضعفت نتيجة الفردية والتحرر والاستقلال ، إلا أن رسالته لاتزال موضع اهتمام من جانب الدارسين والمسئولين عن المجتمع الحضرى على حد سواء .

والمسكن أصبح فى العصر الحديث مؤشراً على عمل رب الأسرة ومكانته الاجتماعية التى يمكن استخلاصها من مكان المسكن ، والحى والجوار ، والأثاث الموجود بالمسكن ، كذلك فإننا لايمكن أن ننسى قرب المسكن أو بعده عن مكان العمل فى الحضر ، ومدى تأثير ذلك على أداء العامل ، أو الموظف ، أو الطالب فى معهده .

ومن جملة المساكن يتكون الجوار ، ولهذا الجوار آثاره البعيدة على الحياة الاجتماعية للأسرة الحضرية ، فقد يخلق أنواعاً من التعاون والتكافل بين ساكنيه . أو يتحول إلى صراع وتفكك بين هؤلاء السكان ، فتدب فيه عوامل الإنهيار والتفكك .

سادساً : كما أن التفكك الأسرى يعتبر من بين السمات التى تغلب على الحياة الحضرية ، الأمر الذى جعل كثيراً من الكتاب والدارسين ينظر إلى مستقبل الأسرة الحضرية ، بنوع من التشاؤم ، نتيجة سيادة النزعات الفردية واضمحلال أواصر الصلات الأولية . فارتفاع نسبة الطلاق فى الحضر مقارنة بنسبته فى الريف يؤكد تلك النظرة ، كما يؤكد الأخطار المحيطة بالأسرة الحضرية بصفة عامة ، وعلاقات الزواج متشابهة فى كل المجتمعات الحضرية فى العالم ، لكن معظم المجتمعات الغربية سادت فيها الأسرة الريفية الممتدة . لكن فى مجتمعات العالم الثالث ظهرت الأسرة الممتدة المعدلة ، وهى أسرة وسط بين النوعين السابقين . فهى تعيش فى الحضر، وتتمتع بنوع من الاستقلال والفردية ، لكنها كثيراً ما تقوم بوظائف تقليدية تمليها عليها ارتباطاتها مع الأسرة التقليدية الريفية مثل مساعدة الأسرة الأصلية ، أو الوفاء

بالتزامات نحو القادمين من القرية وغير ذلك من الأعباء .

المهم هنا هـو أن الأسـرة الحضريـة كـأحد النظـم الرئيسـية فـى مجتمع المدينـة أصبحـت تختلـف اختلافاً كبـيراً عـن الأسـرة الريفيـة باعتبارها أحد النظم الاجتماعية الرئيسية فى القرية .

ثانياً : النظام الاقتصادى الحضرى :

أصبحت الحياة الحديثة فى الحضـر ترتبـط بالصناعـة ، ونظـم الميكنة فى مجالات العمل والإنتاج ، وقد أصبح هنـاك تناسب طردى بـين الحضريـة والتصنيـع والتكنولوجيـا . وقـد أدى ذلـك إلى أن أطلـق البعض على المجتمع الحضرى الحديث ، المجتمـع الصنـاعى ، ذلـك أن الصناعة وما يرتبط بها من أعمال ، وأوجـه نشـاط أصبحـت السـمة الغالبة على العمل والإنتاج الحضرى .

وقد حاول الإنسان منذ القدم فى مجال الصناعة ، وظل يدخـل عليها من التعديل والتطويـر مـا جعلـه يصـل بهـا إلى مـاهى عليـه فـى المجتمع الحديث . والصناعة كما نفهم هى الجهد الإنسانى مـن أجـل تحويل ، وتحوير صورة المادة الخام لتصبح مركبا جديداً يفيد الإنسان، ويساعده على سد حاجاتـه . فصناعـة البـترول تقـوم بتحويـل البـترول الخام إلى مواد ومشتقات تستخدم فى الطاقة والغذاء، والزيوت وغيرهـا.

كذلك يتحول القطن من مادة خام إلى منسوجات تساعد الإنسان فى كثير من المجالات .

وقد كانت الصناعة فى البداية وحتى مرحلة ما قبل الثورة الصناعية تعتمد على تحقيق الاكتفاء الذاتى للمجتمع فى مجال السلع والأدوات . ولكن فى المجتمع الحضرى الحديث تطورت الصناعة بدرجة كبيرة / ويرجع ذلك إلى كثير من الاكتشافات الإنسانية الرائدة ومن أهمها اكتشاف الطاقة المحركة ، والبخار ، وآلات الاحتراق الداخلى . واستخدمت الطاقة الجديدة فى عدد من مجالات البناء ، والتعمير ، والإنتاج ، والنقل وحتى الهدم والتدمير . وقد أدى التطور الصناعى السريع إلى تدفق رؤوس الأموال الضخمة التى تراكمت عن النشاط التجارى ، والتى مكنت من مواجهة احتياجات المصانع ، وبالتالى أثرت المصانع على نوع الصناعة ونسيج العلاقات الاجتماعية . فقد تجمع آلاف العمال فى مكان واحد من أجل العمل وبالتالى برزت الحاجة إلى التخصص ، الذى أدى بدوره إلى علاقات اجتماعية جديدة، وأنماط فكرية جديدة فى كل المجالات .

على أن الصناعة ، والإنتاج واسع النطاق قد تطور بشكل كبير بفعل عوامل عدة بحيث أصبحت عملية إقامة مصنع واحد ذى إنتاج كبير فى قرية معينة كفيلة بتحويل هذه القرية إلى حضر صناعى حديث . ومن بين هذه العوامل استخدام واستحداث مصادر جديدة

للطاقة لم تكن معروفة من قبل ، فالبترول والكهرباء والطاقة النووية قد ساعدت على ارتياد آفاق جديدة لم تكن معروفة من قبل . ثم إن ما حدث من تطور فى مجال صناعة الحديد والصلب، ووسائل المواصلات، والنقل، والطرق كانت هى الآخرى عوامل على درجة كبيرة من الأهمية. كل هذا إلى جانب التطورات العلمية ، والفنية والتنظيمية ، والأيديولوجية المتلاحقة التى جعلت التغير فى العقليات ، والمفاهيم مسألة ضرورية ومستمرة ، سواء كان ذلك على مستوى الفرد ، أو الجماعة ، أو الدولة أو حتى على المستوى العالمى .

وقد مرت الصناعة الحديثة بعدة مراحل ، وقامت بتذليل عدة صعوبات حتى بلغت ما بلغته من تقدم وتطور فى العصر الراهن . وبهذا خلقت تراكمات مادية ، وثقافية تبدأ منها المجتمعات النامية ، وتبنى عليها، ولاتحتاج للمرور بالمراحل التى مرت بها المجتمعات الصناعية. وهنا تلعب عملية نقل التكنولوجيا دوراً بارزاً فى اختصار الزمن فى تحقيق إنماء قاعدة صناعية واقتصادية . ومن الناحية البشرية أصبح وجود الأيدى العاملة الماهرة أساساً ضرورياً تحتاج إليه المجتمعات الحضرية الحديثة . وبناء على ذلك فإن هناك عدة خصائص يتميز بها المجتمع الحضرى والصناعى منها :-

١- سمة الإنتاج فى المجتمع الحضرى الصناعى ، هى الإنتاج الآلى

الكبير الذى يساعد على تحقيق الوفرة الإنتاجية ، ليس فقط لسد متطلبات الاستهلاك ولكن أيضاً من أجل التصدير للأسواق الخارجية سواء داخل الدولة أو خارجها . ولعل التصدير قد أصبح هدفاً أساسياً لقطاع الصناعة فى المجتمعات المتقدمة ، والآخذة فى النمو .

٢- فى المجتمعات الحضرية الحديثة يبرز دور العامل الرابع من عوامل الإنتاج وهو التنظيم ، حيث يلعب التنظيم دوراً رائداً على كل مستويات النظام الاقتصادى الحضرى فهو يتبدى فى الادارات المتخصصة داخل الشركة أو المصنع ، كما يتبدى فى القطاعات والشركات المساهمة ، وإدارة القطاع العام على مستوى المجتمع . وهذا التنظيم يعمل بشكل دقيق من أجل تحقيق متطلبات الإنتاج ، والوفاء بأهداف الاستهلاك ، والتصدير ودعم اقتصاديات المدينة من ناحية ، واقتصاديات الدولة من ناحية أخرى .

٣- هناك سمة التركز فى الإنتاج الصناعى الحضرى . فنجد إحدى المدن تغلب عليها صناعات معينة ، بينما مدن أخرى تغلب عليها صناعات أخرى ، وتصبح لهذه الصناعات آثارها فى الحياة الاجتماعية فى المدينة . فنجد نسبة كبيرة من السكان تعمل فى هذاالنشاط ، ويصبح نمط حياتها متكافئاً بكشل أو آخر مع نمط

الإنتاج الصناعى .

٤- ويترتب على ما سبق ، وجود علاقة وثيقة بين الإنتاج الصناعى . والنظام السياسى ، حيث يكون هناك دور أساسى للحكومة فى توجيه الإنتاج ودعمه بما يحقق الأهداف الاقتصادية العليا للمجتمع. وهناك تضع الدولة برامج معينة لتدريب القوى العاملة فى الصناعة ، وتأهيلها لما طرأ على المجتمع من أساليب عمل وتنظيمات جديدة .

٥- تتوقف رفاهية وازدهار المجتمع الحضرى على كفاءة تسويق المنتجات والقضاء على الراكد من هذا الانتاج . إذ لا يكفى الارتقاء بمستوى الإنتاج الصناعى ، ولكن من الضرورى أن يتم تسويقه ليكتمل الهدف الأساسى من الصناعة ، وهو تحقيق العائد الذى يسهم فى تنمية المجتمع المحلى الحضرى من ناحية ، ويسهم فى دعم الاقتصاد القومى من ناحية أخرى .

ولكن التساؤل الذى سيظهر أمامنا الآن هو مامدى تأثير النظام الاقتصادى الحضرى الذى يعتمد على الصناعة على طبيعة الحياة . والعلاقات الاجتماعية فى المجتمع الحضرى ؟

وللاجابة على ذلك يتعين علينا استعراض هذه الآثار على النحو التالى :

أولاً : هناك ظواهر اجتماعية تحتاج إلى مزيد من العناية من جانب الدولة بشئون المجتمع الحضرى . فمن الملاحظ أن ضعف العلاقات الأولية ، وسيادة العلاقات السطحية والعابرة يغلب على سلوك الأفراد . هذا عن أن التخصص الدقيق والمتناهى قد يؤثر على قيمة العمل التكاملى ، وأيضاً فإن اعتماد الإنسان على الآلة إلى الحد الذى بلغه فى العصر الحديث قد يحول الإنسان من مسيطر على الآلة إلى تابع لها .

ثانياً : أدت التطورات الاقتصادية الصناعية فى المجتمع الحضرى إلى زيادة انعزال العامل عن المجتمع الحضرى الكبير ، على عكس العامل اليدوى الذى كان يشارك ويهتم بشئون مجتمعه .

ثالثاً : أصبح من الضرورى أن يقوم نسق من الاتصال داخل المجتمع الحضرى يربط بين سكانه ، وهيئاته ، وتنظيماته المتنوعة ، وبدون الاهتمام بهذا النسق الاتصالى والإعلامى ، فإن مخاطر عزلة الإنسان الحضرى لابد أن تتكرس .

رابعاً : أصبح على العامل فى المجتمع الحضرى أن يلتزم بمجموعة من الضوابط والقيود التى تفرضها طبيعة العمل والحياة فى هذا المجتمع ، فهناك مسألة الثواب والعقاب ، والأجر والمميزات العادية، والانضباط فى مواعيد العمل ، ونظم الأقدمية والترقى،

وأسلوب قضاء وقت الفراغ والراحة ، والخدمات الصحية والاجتماعية والتدريب والإعداد الذى يكفل التوافق مع القواعد المقررة فى الهيئة أو المجتمع الكبير .

خامساً : أدى التوسع فى الإنتاج الصناعى الحضرى إلى تزايد معدلات الحراك الجغرافى أو الفيزيقى من حى لآخر ، ومن مجتمع حضرى لمجتمع حضرى آخر . وهذا يتطلب اهتمام الدولة بمواجهة متطلبات هذا الحراك سواء من الناحية الفيزيقية أو الاجتماعية .

سادساً : تتغير محكات الوضع الطبقى فى المجتمع الحضرى الصناعى عنها فى المجتمع الريفى ، فقد أصبح المسكن ، والثروة النقدية بأشكالها المتنوعة معياراً هاماً للحكم على الوضع الطبقى فى المجتمع الحضرى ، بعد أن كانت ملكية الأرض فى المجتمع الريفى من أهم هذه المحكات والمعايير . هذا وقد أوضحت بعض الدراسات أن التعليم والمهنة ، والدخل تتناسب طردياً مع تعقد المجتمع الحضرى المعقد ، أى أن مستوى التعليم ، والمهنة ، والدخل فى المجتمع الحضرى أكثر ارتفاعاً منها فى المجتمع الريفى . وبناء على ذلك يهتم الحضرى بجوانب الرفاهية الاجتماعية أكثر من الريفى كالهوايات والفنون ، والسياحة ،

والآداب وغير ذلك .

سابعاً : أصبح موضوع وقت الفراغ من الموضوعات الاجتماعية التى تزايدت أهميتها فنجد الحضرى يهتم بتقسيم وقته بين العمل ، واستغلال وقت الفراغ والترويح ، ومن هنا فرض هذا الاهتمام الحاجة إلى بعض الأدوات التكنولوجية ووسائل النقل . ومعنى ذلك أن الحضرى الذى ليست لديه إمكانية مادية لايتمكن من الاستمتاع بوقت فراغه وترويحه على النحو الذى يريده .

ثامناً : إن النشاط النقابى والسياسى ، والاجتماعى الذى ازدهر فى الحضر ، أصبح يفرض على الحضرى التزود بكثير من قواعد الممارسة ، والنقاش والجدل فى هذه المجالات . وأن يتزود بمفهومات خاصة بالديموقراطية ، والجماعية ، وحرية الرأى والتعبير . ويستطيع الحضرى تحقيق الفهم السريع لهذه المفهومات والقيم من خلال متابعته لوسائل الاتصال والإعلام المتاحة فى المجتمع الحضرى أكثر من غيره .

تاسعاً : طالما أصبحت القاعدة الأساسية فى المجتمع الحضرى هى الصناعة فإنه يترتب على ذلك أيضاً ظهور نظم مساعدة فى المدينة ، منها نظام التدريب والتأهيل المهنى ، والكفاية الإنتاجية ، والأمن الصناعى ، والرعاية الاجتماعية والصحية ،

وهذه النظم لابد أن يتولاها متخصصون مدركون لأبعادها وأهدافها ، ويعلمون على تحقيق الغاية المتوخاة منها .

عاشراً : من الضرورى أن يترتب على ما سبق تغييرات أساسية فى أسلوب الحضرى فى التنشئة الاجتماعية . فبعد أن خرجت المرأة لميدان العمل أصبحت دور الحضانة والمدرسة شريكاً أساسياً فى عملية التنشئة . ولابد لكى تحقق التنشئة أهدافها من استيعاب الدور الاجتماعى الحديث للمدرسة ، والتعليم بصفة عامة والقيام بدور مساعد لها عن طريق دعم القيم التى تحاول المدرسه إرساءها من خلال المناهج والمقررات .

وهكذا يتضح لنا أن قاعده النظام الاقتصادى فى الحضر تختلف عنها فى الريف ويترتب على هذا الاختلاف اختلافات أخرى فى جوانب الحياة الاجتماعية ،والنظم ،والتنظيمات الحضرية . ذلك أن جميع النظم فى المجتمع تترابط وتتساند فيما بينها لتحقق أهدافا متكاملة فى الحياة الاجتماعية .

ثالثاً : النظام السياسى فى الحضر :

النظام الاجتماعى كما سبقت الإشارة يتصف بالعمومية ، والقدم. وكل نظام من النظم الاجتماعية يشتمل على وظيفة أو أكثر من

الوظائف الهامة المحاطة بمعايير سلوكية وقيمية مرتبطة بوظائف هذا النظام . ويحقق الالتزام بهذه القواعد والمعايير والقيم المرتبطة بظاهرة السلطة أو القوة فى المجتمع . وما تؤديه هذه الظاهرة من أدوار ووظائف هامة فى المجتمع. والنظم السياسية تختلف من مجتمع لآخر. فقد تكون جماعية أو شمولية ، وقد تكون فردية ، وقد تكون ديموقراطية .

وجدير بالذكر أن مهمة النظام السياسى ووظائفه غالباً ما توكل للدولة ، وبالتالى يتأثر بالقرارات والقوانين التى تصدر عن هذه السلطة. ففى مصر مثلاً حينما أدركت الدولة الحاجة إلى إدخال اللامركزية على النظام السياسى ، أصدرت قانون الإدارة المحلية الأول عام ١٩٦٠ . والذى نص على أن يستقل الحضر والريف بإدارة مرافقه ، وخدماته ضمن الإطار العام للخطة القومية للدولة، فأنشئت مجالس المحافظات، ومجالس المدن ، ومجالس القرى . وأعطى القانون صلاحيات كافية لهذه المجالس ورؤسائها تكفل تغيير هيكل النظام السياسى المحلى . وقد كان هذا القانون أول خطوة فى سبيل تحقيق التكامل بين الأجهزة والتنظيمات ذات الطابع السياسى ، والاجتماعى ، والاقتصادى ، والإدارى من ناحية ، وكان يمثل التفافاً من وراء النظام البيروقراطي الموروث من عهد التبعية البريطانية من ناحية أخرى .

إن نظرة سريعة توضح لنا أن الحضر كان فيما مضى يحكم على أساس نظام المركزية الحزبية ، وكانت مجالس المدن لايتم تمويلها من الميزانية العامة للدولة إلا فى حدود ضيقة واستثنائية . وكان التمويل إذا تم يأخذ شكل القروض التى يتعين سدادها . ولعل فلسفة نظام الإدارة المحلية قد قامت أساساً للنهوض بالمدن ، وتوفير الاعتمادات الكافية لها من أجل تحقيق هذه النهضة . فقد نص هذا القانون على أن ٧٥٪ من إيرادات الضرائب على الأطيان والموارد الأخرى فى المحافظة تنفق داخل المحافظة ، ويوجه ٢٥٪ للإنفاق على المستوى المركزى ، ومنذ هذا الوقت خاصة فى المراحل الأولى تمت خطوات رائدة فى تعمير وتحسين المدن ، فضلاً عن اعتماد النظام السياسى فى المدينة على آراء أعضاء مجلس المدينة المنتخبين والمعينين . ومعنى ذلك أن دراستنا للنظام السياسى للمدينة فى مصر توضح أن قانون الحكم المحلى كان من أهم الخطوات التى تم اتخاذها من أجل تطوير المدينة بعد فترة من التأخر والجمود .

وقد شهد النظام السياسى الحضرى فى مصر بعض المراحل اعتباراً من عام ١٨٥٠حيث صدر الأمر العالى بتشكيل بلديات بعض المدن ، وقد تعرقل نشاط هذه البلديات لوجود الامتيازات الأجنبية . وبعد الغاء هذه الامتيازات عام ١٩٣٧ بدأت تنشط من جديد .

واستمرت سلسلة التطورات حتى صدور قانون الحكم المحلى . ومن المعروف أن النظام السياسى فى الحضر غالباً ما يعكس صورة النظام السياسى العام ، ويتأثر به ، ولهذا نجد أنه منذ تشكيل المجالس البلدية ، والسياسية الحزبية القديمة استقر الأمر فى مرحلة التطبيق الاشتراكى على نظام الإدارة المحلية والاهتمام بالإسكان الشعبى والاقتصادى . وإنشاء النوادى والساحات الشعبية . وشق وتخطيط الطرق والشوارع وغير ذلك من التيسيرات الحضرية التى تهم جميع المواطنين على حد سواء . ولقد كان النظام السياسى فى المدينة فى هذه الفترة يعكس سياسة الدولة فى كافة المجالات ومحاولة تطبيقها بوجهة نظر شاملة وموحدة ، تركز على إنعاش العمل السياسى والتنفيذى على المستوى المحلى .

ونظراً لكبر حجم بعض المدن المصرية فقد حرص قانون الإدارة المحلية على تقسيم هذه المدن إلى عدة أحياء لكل منها مجلس حى يتم تشكيله على غرار مجلس المدينة . وذلك من أجل تمكين هذه الأحياء من تنفيذ السياسة القومية فى مجال اختصاصه .

والواضح أن النظام السياسى الحضرى يختلف باختلاف ايديولوجية الدولة وطبيعة نظامها السياسى . فنجد الولايات المتحدة الأمريكية تأخذ بأسلوب الحزبين ، حيث يتولى أحدهما السلطة لدى

فوزه فى الانتخابات . وتستند هذه الفلسفة على أسس خاصة بطريقة الحكم ، ومدة البقاء فى السلطة ، والتقسيم الإدارى للبلاد إلى خمسين ولاية . الأمر الذى يتلاءم معه وجود حزبين كبيرين على كل المستويات وفى كل ولايات المدن ، أحدهما يحكم لفترة والآخر معارض إلى حين إجراء الانتخابات من جديد . بينما تأخذ فرنسا مثلاً بتعدد الأحزاب ، ومصر كانت تأخذ بها قبل الثورة ، وعادت إليها الآن بشكل آخر .

ومن جملة ما سبق يمكن أن نركز على أن النظام السياسى الحضرى فى مصر منذ الثورة وحتى الآن يهتم بمبدأ أساسى وهو محاولة إشراك أهل المدينة فى شئون مدينتهم ، وتخطيط مرافقها ، ورسم مستقبلها سواء كان ذلك من خلال الاتحاد القومى ، أو الاتحاد الاشتراكى ، أو الأحزاب السياسية . فنجد الآن المجلس المحلى الشعبى للقرية ، ويقابلة المجلس التنفيذى ، ونجد المجلس الشعبى للمدينة ويقابله المجلس التنفيذى ، وعلى مستوى المحافظة هناك المجلس المحلى الشعبى للمحافظة ، ويقابله المجلس المحلى التنفيذى للمحافظة أيضاً . ويتولى المجلس التنفيذى ممارسة العمل فى تنفيذ الخطط والسياسات المحددة للوزارات وفروعها فى المحافظات . بينما يتولى المجلس المحلى الشعبى مهمة المتابعة ، والمراقبة والتعرف على رأى جماهير المواطنين فى المدينة فى مواجهة المشكلات التى يتعرضون

لها ومن الجوانب التى ينبغى مراعاتها فى النظام السياسى للمدينة فى تلك البلدان التى يتم فيها تشكيل النظام السياسى بالانتخاب المباشر ، مثل انتخاب عمدة المدينة ، أو رئيس المجلس المحلى أو غير ذلك من المسميات ، إن رأى الناخبين فى هذه الحالات هو الذى يحدد نمط الاختيار وفقاً لبرنامج المرشح الخاص بتنمية المدينة أو النهوض بها . فقد تعانى المدينة من مشكلات فى الإمداد بالمياة والكهرباء . وبالتالى إذا تضمن برنامج المرشح خطة معينة لمواجهة هذه المشكلات فإنه يحظى بتأييد من جانب سكان المدينة .

ومن ناحية أخرى قد يتم اختيار رئيس المدينة بأسلوب التعيين، ولكن يتم وضع ضوابط معينة تحقق المشاركة الشعبية سواء من خلال المتابعة أو اتخاذ القرارات أو المشاركة فى وضع السياسة الحضرية . ولما كانت معدلات التعليم والوعى الاجتماعى فى الحضر تتفوق على نظيراتها فى القرية فإن من المتوقع أن نجد النظام السياسى فى الحضر أكثر كفاءة ، وتقبلاً للمشاركة والمتابعة الشعبية .

ولعل دراسة أسلوب اتخاذ القرار ، وطبيعة بناء القوة السائد فى المدينة وكذلك جماعات الضغط المتنوعة ، توضح لنا طبيعة النظام السياسى فى الحضر ومدى تعبيره عن الحاجات الحقيقية لسكانه .

هذه هى بعض ملامح النظام السياسى فى الحضر ، والتى

تعكس بجلاء تأثر هذا النظام بطبيعة الأيديولوجيا ، ونظام الحكم السائد ، وقدرته على التعبير عن حاجات المواطنين فى الحضر ، وإشباعها ، وبالتالى فإن هذا النظام لابد أن يتنوع من مدينة لأخرى ، ومن مجتمع لآخر وفقاً لتنوع النظام السياسى العام ، والاختيارات الأيديولوجية الخاصة به .

الفصل السادس

البيئة والتحضر فى مجتمعات الشرق الأوسط

تمهيد :

تتضمن المناطق التى جمعها ف.ف. كوستيللو تحت عنوان الشرق الأوسط ، ليبيا ومصر وبلدان شبة الجزيرة العربية ، واسرائيل ، ولبنان ، والعراق ، وتركيا ، وايران .

وقد أطلقت هذه التسمية على تلك البلدان منذ الحرب العالمية الثانية فقط حيث امتدت منطقة عسكرية من ايران شرقاً إلى طرابلس غرباً .

كما يأخذ كوستيللو بالتعريف الأمريكى للمنطقة الحضرية Urban Area وهو تلك المنطقة التى تشتمل على أكثر من خمسة آلاف نسمة .

أولاً : عناصر الوحدة والتنوع : (*)

فى منطقة كبيرة – كمنطقة الشرق الأوسط – من الطبيعى أن تجد تنوعاً كبيراً فى طرق الحياة والتنظيم الاجتماعى ، ورغم هذا التنوع نجد عناصر دينية وثقافية ، واقتصادية تعمل على وحدة هذه

(*) اعتمد هذا الفصل على كتاب : كوستيللو : التحضر فى الشرق الأوسط ، ترجمة غريب سيد أحمد ، عبد الهادى محمد والى ، دار المعرفه الجامعية ، بالاسكندرية ، ١٩٨١.

المنطقة . وأحد العناصر العامة لهذه الوحدة هـو "الإسـلام" ذلـك الديـن الذى يسود كل المنطقة فيما عدا إسرائيل ولبنان . والعنصر الثانى المؤثر فى وحدة المنطقة هـو "اللغـة العربيـة" ، و"القوميـة العربيـة" باسـتثناء تركيا ، وايران واسرائيل أيضاً . وقد جلبت صناعة البترول ثروة هائلـة لبعض بلدان المنطقة ، بينما بقـى البعـض الآخـر فـى عـداد أفقـر دول العالم. ففى مستهل السبعينات تراوح نصيب الفرد فى هذه البلدان مـن الدخل القومى GNP [١] .ما بين (٧٠) دولاراً، (٣٥٠٠) كذلك تـتـرواح مسـاحه بلـدان الشـرق الاوسـط مـابين ثلاثـين كيلـوا مـتراً مربعـاً ، و (١,٧٦٠,٠٠٠) مليون وسبعمائه وستين ألف كيلو متر مربع . أما حجـم السكان فى بلدانه فقـد تـتراوح مـابين(٨٠,٠٠٠) ثمـانين ألـف نسـمة و (٣٤,٠٠٠,٠٠٠) أربعة وثلاثين مليـون نسمة [٢] . وهنـاك عنصـر آخـر للتنوع يتمثل فى مدى التأثير ، والتدخل الغربى فـى بلـدان المنطقـة ، فقد تراوح هذا ما بين التدخل واسع النطـاق مثـل الدائم أو الاسـتيطان كما حدث فى فلسطين وليبيا ، وبين بقاء هذا التأثير فى جدوده الدنيـا كما حدث فى السعودية حتى العصر الحديث .

(١) GNP مختصر لمصطلح gross National product وهو المنتج القومى الخام.

(2) Clarke and Fisher K (eds,) Populations of the middle East and North Africa, London, 1972 ;P. 18.

ولنبدأ الأن بدراسه الاختلافات فى الجغرافيا الفيزيقية ، والاجتماعية لهذه المنطقة فالسمة الأساسية للجغرافيا الفيزيقية فى الشرق الاوسط ، تتمثل فى أن المنطقة عبارة عن سهل Plain منخفض متموج Low- lyin Undulating يتجه نحو الشرق قادماً من شمال افريقيا عبر الجنوب الغربى ، والخليج الفارسى Persaion gulf من الشرق ، والبحر الأحمر من الجنوب . وقد أدى اقتراب هذه البحور من بعضها إلى جانب الاستواء النسبى لهذا السهل إلى سهولة تبادل الاتصالات بين بلدان المنطقة . ومع ذلك فإننا نجد فى الشمال سلسلة - من الجبال تمتد من الشرق إلى الغرب ، وتمر من شبه جزيرة البلطيق Baltic Peninsula عبر تركيا ، حيث تطوق سهل الأناضول Anatolian Planteau وعلى الشرق من إيران . حيث تتشعب لتطوق السهل الإيرانى . وهناك سلاسل من الجبال صغيرة ، ولكن ذات أهمية كبيرة احداها تمر من الشمال إلى الجنوب عبر سوريا ولبنان وإسرائيل ، والأخرى فى الركن الجنوبى الغربى ، والركن الشرقى للسهل الغربى Arabian Peninsula . وبشكل عام فإن مناخ الشرق الأوسط يمكن تقسيمه إلى رطب شمالاً ، وجاف جنوباً مع اختلافات محلية ترجع لدرجة الارتفاع عن سطح البحر ، كما ترجع للموقع . ودرجات الحرارة صيفاً تكون ما بين (٣٠ - ٣٥) درجة مئوية فى الجنوب ،

وترتفع أحياناً إلى أكثر من (٥٠) درجة مئوية ، ولكن فى أقصى الشمال ، وفى المرتفعات تتناقص إلى معدل يقل عن (٢٧) درجة مئوية. والشتاء فى معظم مناطق الشرق الاوسط لطيف أومعتدل ، ودافىء ، فيما عدا المرتفعات التركية ، والمناطق المرتفعة فى إيران ، حيث تكون البرودة شديدة ، والجفاف Aridity ، كما هو معروف يعتبر من أكبر عناصر الوحدة فى الجغرافيا الفيزيقية للمنطقة ، وبخاصة ما يصحبه من تناقص فى معدلات الكثافة السكانية . ومع ذلك فإن هناك تنوعا يحدث نظرا لوجود مناطق ضيقة يتوفر فيها الماء بدرجه عالية وبالتالى تتضمن امكانيات أكبر للزراعة المركزه ، والكثافه السكانيه الأعلى ، مثلما يوجد على ضفاف وادى النيل ، وعلى سواحل البحر الأسود ، وبحر قزوين ، والبحر الأبيض المتوسط ، ويعتبر ذوبان الجليد Snowmelt على جبال إلشمال مصدراً هاماً من مصادر المياه فى الأرض الواطئة فى تركيا ، وايران ، والهلال الخصيب Fertile Crdscent . بينما نجد أن شلالات موجوده خارج مناطق الشرق الاوسط فى جبال الحبشة Ethiopia تعتبر من أكبر مصادر المياه لسكان مصر المستقرين على امتداد نهر النيل .

ثانياً : الاستجابة لعناصر الوحدة والتنوع :-

وتتمثل الاستجابة الإنسانية لهذه البيئة المتنوعة فى ثلاث طرق للحياة تبدو متناقضة وهى: حياة الترحال Nomadism، وحياة الزراعة المستقرة settled agriculture ، وحياة المدن Life of towns .

وحياة الترحال باعتبارها طريقة فى الحياة - تعنى تنقل الناس والحيوانات ، فى المناطق التى تلعب الزراعة فيها دوراً ضئيلاً ، هذه الحياة ذات أهمية خاصة فى الشرق الأوسط - ولاترجع هذه الأهمية لعدد السكان الذين تشملهم هذه الفئة - حيث لايتجاوز هذا العدد واحد بالمائة من جملة السكان - بقدر ما ترجع إلى سمات الرحل ، والرحل العرب خاصة ، إلى البناءات الاجتماعية الخاصة بهم ، وأثرها على السكان المستقرين Sedentary او غير الرحل . فهناك نوعان من الاستجابة من جانب الرحل لنظام الطقس فى الشرق الأوسط بشتائه المطر ، وصيفه الجاف ، فالرحل الحقيقيون فى كل من سوريا ، والعراق ، ومصر وليبيا ، والبدو فى شبه الجزيرة العربية ، ينتقلون للسهول فى الشتاء ، ويعودون فى الصيف . بينما فى منطقة الجبال الشمالية تنتقل قبائل الرحل مثل قبائل الكاشكيا Qushqai فى إيران إلى المراعى فى أعلى الجبال صيفاً ، وتعود للمناطق المنخفضة شتاء فى

نظام رتيب يطلق عليه الحياة المتنقلة Transhumance .

إن الظروف البيئية متنوعة جـداً ، ولكـن بشـكل عـام نجـد أن الدواب محدودة جداً وفى نفس الوقت نجـد أن المسـافات التـى يتعـين عليها أن تقطعها شاسعة جداً ومجتمعات الرحل ليست مستقلة بشـكل كامل فى حياتهـا الاقتصاديـة ، فالإنتـاج الحيوانـى هـو مصـدر الـثروة الأساسى ، ولكن القمح هو الغذاء الدائـم فـى هـذه المجتمعـات ، ويتـم الحصول عليه من خلال التبادل مع المجتمعات الزراعية ، وقـد يمثـل الرعى لدى بعض الرحل استجابة دينامية متخصصة للظروف البيئية ، أكثر مما يمثل مستوى أدنى من الحياة الثابتة المتقدمة ، أو بمعنى آخر تمثل مرحلة وسطاً بين مرحلـة الصيـد وجميـع الثمـار ، وبـين مرحلـة الزراعة .

والوحدة الأساسية فـى هـذه المجتمعـات هـى الأسـرة ، حيـث تتمتـع باسـتقلال واكتفـاء ذاتـى نسـبى . ويتحـدد حجـــم التجمعـات الإنسانية إلى حد كبير فى ضوء المصـادر الطبيعيـة فـى منطقـة معينـة . والوحدة التالية بعد الأسرة هى القبيلة . وكلما كانت المصـادر الطبيعيـة محدودة ، كان حجم الوحدة القبلية Tribal صغيراً والعلاقات الأسرية عبر القبيلة قويـة ، كمـا يـؤدى الـزواج الداخلـى إلى دعمهـا ، ويعتمـد الضبط فى حياة القبيلة على رجل واحد ، وهو الشـيخ The Shaikh



الذى يمثل مركز التضامن فى القبيلة ، والنظام القبلى ، وهما أمران ضروريان لبقائها فى بيئة قاسية Harsh ، وتنقل الرحل عادة ما تحكمه إجراءات متبادلة ومتفق عليها بين القبائل ، ولكن هناك احتمالاً دائماً للنزاع حول حقوق الرعى ، والإقامة ، وكنتيجة لذلك فإن الاتحادات السياسية الأكبر من القبيلة تميل - مع بعض الاستثناءات الواضحة - إلى التفكك ، ويكون عمرها قصير . وفى هذه النقطة نجد أن هناك جوانب أخرى مجتمعة فى القبيلة جديرة بالملاحظة : أولها كرم الضيافة Hospitality الذى يتضح بجلاء ، - كما أن الاتصالات أو العلاقات الاجتماعية العادية تتضح أيضاً فى مجموعة من الطرق وأنماط السلوك الرسمية . وثانيهما أن المرأة فى هذا المجتمع الأبوى Patriarchal ذات مكانة أدنى وينظر إليها فى المجتمع البدوى العربى على أنها دون الرجل فى كل الأمور . وأخيراً: فإن الكثير من طرق حياة الرحل وسماتهم قد انتقلت إلى حياة المجتمعات المستقرة ، وتم الأخذ بها ، وذلك نتيجة الغزوات . والفتوحات الدائمة من جانب الرحل على المجتمعات المستقرة عبر التاريخ .

إن أحد السماء التى أطلقها العرب الرحل على سكان المجتمعات الزراعية المستقرة . هى تلك الكلمة التى تعنى ببساطة

(الرعاع Cattle) ، وفى الحقيقة فإن حياة القرويين التى ارتبطت بالأرض لفترات طويلة ، تتعارض إلى حد كبير مع حياة الحرية التى يعيشها الرحل . ومن ناحية أخرى فإن حياة الترحال مثلها مثل الحياة الزراعية التى تتحكم فيها الظروف المتغيرة للطقس والمناخ . فالزراعة تتنوع ما بين زراعة موسمية فى معظم المناطق الجافة ، حيث يتم الرى عن طريق الفيضانات المحلية ، والأمطار وهذا هو نظام الرى المؤقت، والزراعة التى تعتمد على الرى الدائم والمكثف فى وادى النيل، أو فى المناطق الساحلية الرطبة على شواطىء بحر قزوين ، ويفعل الطقس الصارم فى معظم أجزاء المنطقة فإن إدارة الأرض ومصادر المياة يجب أن تكون منظمة تنظيماً دقيقاً ومركزياً . وبالتالى فإن التحكم أو تنظيم استخدام المياه – تلك السلعة النادرة فى المنطقة – يعتبر أمراً حيوياً بالنسبة للزراعة ، سواء تمت هذه العملية عن طريق المجتمع المحلى فى القرية أو عن طريق ملاك الأرض Landlords وغالباً ما تثور نزاعات Disputes بين بلدان المنطقة ، أو على المستوى الفردى ولايتخذ توزيع الأرض ، وحقوق المياه نمطاً واحداً ، ولكن فى كل منطقة من مناطق الشرق الأوسط تتركز الزراعة فى القرية ، حيث تؤدى القرية وظيفتها كمركز للعمل فى الأرض ، وعادة ما تكون القطع المعدة للزراعة مبعثرة فى كميات صغيرة وعلى مسافات مختلفة من القرية .

كما أن مسألة التمسك بالأرض (امتلاكاً أو استئجاراً) . والتمسك بحقوق المياة أو الرى تعتبر موضوعاً لاتفاقات تعد بدقة ، وقد يستغرق الانتقال من قطعة أرض صغيرة لأخرى ، ومن القرية وإليها ، وقتاً طويلاً . وكجزء من المصادفات الطبيعية المصاحبة للقحط ، والمرض ، فإن الزراعة التقليدية لاتزال تعانى فى كثير من المناطق من القهر المتضمن فى نظم تمليك أو حيازة الأرض أو استغلالها ومن بين أوجه هذا القهر أو الظلم ، ذلك النظام الذى يتقاسم بموجبه مالك الأرض والمستأجر المحصول بنسب تتحدد على أساس ما يقدمة ، كل منهما ، فبينما يقدم المالك الأرض والماء ، والبذور ، والقروض ، والحيوانات ، ويقدم المستأجر عمله . نجد أن المالك يحصل على خمسة أجزاء من المحصول مقابل جزء واحد للمستأجر . وإذا رغب الفلاح المستأجر فى بيع محصوله أو جزء منه للسوق فإنه غالباً ما يواجه ببعد السوق ورداءة المواصلات ، وتكلفة النقل ، وفضلاً عن احتمال تحايل المدن عليه ، وهكذا تكون النتيجة الواضحة ، أن الفلاح لايتبقى لديه شىء يذكر . وحتى ظهور برامج الإصلاح الزراعى كان الجزء الأكبر من الفلاحين يعيشون على هامش الحياة بل لايزال كثير منهم على هذه الحالة حتى الآن .

والمركب الثالث فى مجتمع الشرق الأوسط هو الحياة فى المدن .

فقد نتج عن التنوع الكبير فى البيئة الجغرافية ، حيث السهول الساحلية ، والجبال ، والصحارى والواحات والسهب Steppes [1] . نتج عن ذلك تنوع فى الإنتاج الاقتصادى ، كذلك وفر الفرص للتبادل والحاجة للأسواق . إن توزع السكان فى الشرق الأوسط يرتبط إلى حد كبير بالمصادر الطبيعية ، كالماء ، والأرض الصالحة للاستغلال . وفي الماضى كان سكان الحضر يعيشون فى المناطق التى تتم فيها زراعة كثيفة ، وهذه المناطق كانت متباعدة ويعيش فى المناطق التى تفصلها سكان متناثرون أو قد لاتكون مأهولة بالمرة . ويبدو أن المدن فى هذه المنطقة – حتى منذ العصور المبكرة – قد قامت بعدة وظائف ، فضلاً عن كونها مركزاً للأسواق ، فقد كانت مركزاً للممارسات الدينية والإدارية ، كما يبدو أن هذه المدن كانت مؤثرة – نسبياً – على نحو أكبر من نظيرتها فى مناطق أخرى . ولعل فاعليتها كانت ترجع إلى دورها الدفاعى هذا الدور الذى ساهم فى المحافظة على مدن مثل حلب، وأنقرة ، وتبريز . كل هذا بالاضافة إلى أن بعض الجماعات الصغيرة قد استولت على السلطة ، وحكمت من خلال قاعدة حضرية An Urban base والمماليك ، والعثمانيون يعتبرون أمثلة على ذلك.

وأبعد من ذلك فإن الأديان السائدة فى الشرق الأوسط ، وهى

---

(١) عبارة عن سهول واسعة خالية من الأشجار .

اليهودية Jadaism والمسيحية Christianty والإسلام Islam كانت لها تجمعات حضرية وكان الدور الأساسى لهذه التجمعات دينياً ، كما هو الحال بالنسبة للقدس ومكة ، وقم ، وكربلاء . وقد حققت المدن فى هذه المنطقة ثروة من عائدات ظهيرها الزراعى ، وذلك من خلال ملاك الأرض غير المقيمين فى المناطق الزراعية ، ومن وقت لآخر ساعد موقع المنطقة عند ملتقى الطرق بين ثلاث قارات على تنمية علاقات تجارية تقوم على أساس حضرى كامل. وقد امتدت هذه العلاقات إلى الغرب من المغرب براً وبحراً والى أقصى الشرق حتى الصين ، وعبر الصحراء أو جنوبى الشاطىء الشرقى لأفريقيا حتى ما بعد الصحراء الأفريقية ، وعن طريق البحر البيض المتوسط أو عبر البلقان إلى أوربا .

ومن الناحية التاريخية ، فإن مدناً مثل القاهرة ، واسطنبول وبغداد كانت لها علاقات واسعة النطاق مع غيرها ، فضلاً عن أنه فى بعض الأوقات بلغ عدد سكانها مئات الآلاف . ولكن أقدار هذه المدن وثرواتها قد تقلبت بفعل تغيرات سياسية ، وتجارية ، ورغم أنها تشكل مجموعة المدن التى تتمتع بشهرة واسعة خارج المنطقة . ولم تكن هذه المدن تتمتع - بالطبع - فى أى وقت مضى بوسائل الحياة الضرورية المعروفة حالياً ، فى مجالات الطعام ، والشراب أو قوافل التجارة الداخلية والخارجية ، لكنها اعتمدت فى الحصول على هذه

المتطلبات على منطقتها أو مناطقها المحلية . إن العلاقات الاجتماعية، والاقتصادية بين المدينة وما يحيط بها تؤثر إلى حد كبير فى البناء الاجتماعى الداخلى للمدينة ، وتصلح العلاقات القائمة بين مدينة مثل (كرمان) والمنطقة المحيطة بها كمثال يفسر هذه القضية .

إن مدينة (كرمان) كانت عاصمة إدارية ، واجتماعية ، واقتصادية فى الجنوب الشرقى لإيران ، وذلك فى أوائل الستينات ، وتقع فى حوض صحراوى جاف تبلغ مساحته (٩٠٠) تسعمائه كيلو متر مربع ، وكانت هذه المساحة مأهولة بالسكان باستمرار . ونظراً لضآلة سقوط الأمطار فان المدينة قد اعتمدت على شبكة واسعة لما يعرف بالكانات (وهى قنوات للرى تحت الأرض) ويحتاج بناء هذه القنوات وصيانتها إلى رأسمال ضخم . كما كانت هناك قواعد معقدة تنظم حقوق الملكية والانتفاع ، وفيما مضى كان أثرياء المدينة هم الذين يدفعون الأموال اللازمة لهذه العملية ، وفي نفس الوقت فقد كانوا يتحكمون فى حقوق الحصول على الحياة ، ويتلقون عائداً من هذه العملية ، وقد كانت المدينة عبارة عن نقطة محورية لنمط منظم من الاستيطان الإقليمى. وكانت (كرمان) أكبر واقدم موقع للإقامة فى هذا الإقليم ، كما تقع عند سفوح التلال ، وتمثل أكبر منطقة لتخزين مياه الأمطار نظراً لوجود نظام الكانات . أما القرى الموجودة فى حوض (كرمان) فقد

كانت أهميتها أو مكانتها تتحدد وفقاً للعمر ، والحجم ، والتلال ، وحقوق استخدام المياه ، ومن ناحية أخرى فإن القرى الجديدة كانت أصغر حجماً . وأكثر بعداً عن مدينة كرمان . وهذا النمط المتدرج للاستيطان كان منظماً بدرجة عالية ، كما تتم المحافظة عليه من خلال الاتصالات المستمرة بين أجزائه . وفى حوض كرمان ليس هناك وجود للقرى المنعزلة ، والمكتفية ذاتياً . وحتى وقت قريب كانت هناك مناطق على حدود السهل الإيرانى الجاف تتمتع بخصائص مماثلة لتلك التى يتمتع بها حوض كرمان [1] ، لكنه لايترتب على ذلك القول بأن كل القرى فى الشرق الأوسط لها علاقات بالمراكز الحضرية شبيهة بتلك القائمة فى حوض كرمان . ففى كرمان طبقة عليا قائمة على أساس حضرى ، وتتكون من الموظفين ، وملاك الأرض ، والتجار ، ومن يقدمون القروض، وهؤلاء يحتفظون بالسيطرة الاقتصادية والاجتماعية على منطقة كرمان بأسرها ، وذلك من خلال التحكم فى الأرض والمياه والقروض ، ومن خلال ممارسة القوة السياسية .

إن الوظيفة السأاسية لمدينة كرمان ، والمدن المشابهة لها كانت تتمثل فى أنها باعتبارها أماكن مركزية ، يغلب عليها جمع وتصنيع

---

(1) Costello, V.F, Kashan, A city and Region of Iran, London, 1976.

المواد الخام التى تأتيها من ظهيرها الزراعى ، ومن ذلك فإن دراسة المدن من المنظور الوظيفى وحدة ، تغطى جزءاً بسيطاً فقط من الحديث عن أسباب وجودها . فكما أوضحنا دور العلاقات البيئية المحلية يجب أن نشير إلى أن الحياة فى المدينة تتأثر بطبيعة الأنساق الكبرى السائدة فيها .

وفى الشرق الأوسط نجد أن أكثر هذه الأنساق أهمية هو (الإسلام) ، فهو الدين السائد فى غالبية أجزاء المنطقة ، ولقد أثيرت مسألة تفضيل الإسلام للمجتمعات الحضرية على الريفية . وهذا التفضيل يرجع لظروف مذهبية وتاريخية [1] .

لقد ولد الإسلام فى القرن السابع الميلادى فى البيئة الحضرية والتجارية وهى الحجاز فى منتصف المنطقة الغربية للمملكة السعودية كذلك أثير أن أهدافه الدينية وشعائره يسهل أداؤها فى مجال حضرى، فعلى سبيل المثال من الصعب أداء الفريضة الأساسية فيه وهى صلاة الجمعة ، خارج نطاق المجتمعات الكبيرة المستقرة ، كما أنه ليس من السهل المحافظة على عادة حجاب النساء فى المجتمعات الريفية ، والبدوية ، كذلك فإنه قد أثير أن المسلمين الأول قد نظروا للرحل ،

---

(1) De Planhol, X. Regional Diversifications and social change in the Middle East. (ed.) R. Antoun & I. Harik, London, 1968.

والقرويين على أنه مجرد دعم للإسلام من الطبقة الثانية ، وقد ساد هذا الاتجاه منذ ذلك الوقت (*) .

(*) ليس صحيحاً ، لأن الإسلام قد أقر مبدأ المساواة المطلوبة بين الناس بصرف النظر عن أصلهم أو لونهم ، أو مقر سكناهم ، وقد طبق هذا المبدأ عملياً فى عدد لايحصى من المواقف ، والمناسبات . وحتى مؤلفنا يعود ليقرر هذه الحقيقة فى بداية الفصل الثانى ، حيث يقول أنه فى ظل القانون الإسلامى ليس هناك فرق بين ساكن المدينة وساكن القرية ، ولايترتب على هذه السكنى أية حقوق تفضيلية بين البشر . ولكن ربما يثير البعض مسألة تفضيل الإسلام لسكان الحضر على سكان البدو استناداً إلى فهم خاطىء لبعض الآيات القرآنية مثل قوله تعالى (الأعراب أشد كفراً ونفاقاً وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله) (التوبة٩٧) أو قوله تعالى (تلك القرى نقص عليك من أنبائها ، ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل ، كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين) (الأعراف ١٠) . ولكن الآية الأولى تدل على غلظة الأعراب . وأن الإيمان لايتسرب إلى قلوبهم بسهولة ، وهؤلاء الأعراب غير العرب فالعرب جيل من الناس ، والنسبة إليهم عربى ، وليس أعرابى، وهم أهل الأمصار . والأعراب منهم سكان البادية خاصة ، والنسبة إليهم أعرابى ، والأعراب اسم حبش وليس جمعاً لعرب ، وهناك العرب العاربة (الخلص) ، والعرب المستعربة الذين ليسوا بخلص (مختار الصحاح ص ٤٢١) . والعرب العاربة أو الأصلاء هم سكان الجزيرة العربية ، وحضرموت ، واليمن ، والمستعربة هم الوافون على الجزيرة العربية من أجناس مجاورة سواء من الفرس أو الروم ، وهؤلاء اختلطوا بالقبائل المتاجرة حباً فى التجارة وممارسة الحياة الجديدة . مع ذلك فهؤلاء ، وأولئك يستوى أمرهم بعد دخولهم فى الإسلام ودليل ذلك قوله تعالى "ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ، ويتخذ ما ينفق قربات عند الله، وصلوات الرسول،إلا أنها قربة لهم سيدخلهم الله فى رحمته إن الله غفور رحيم" =

وعلى أساس من النشاط التجارى ، والضبط الإدارى ، والروابط الدينية ، فإن مدن الشرق الأوسط قد استطاعت بشكل مطرد أن تحافظ على تراثها عبر آلاف السنين ، منذ قيام أقدم المناطق الحضرية ، وحتى يومنا هذا . وحينما بدأ النمو الحضرى الحديث بسرعة فى هذه المنطقة منذ قرن ونصف مضى ، كان ذلك معتمداً على قاعدة ثقافية خاصة بهذه المنطقة .

= (التوبة٩٩) . هذا فضلاً عن أن الآيات الأولى كان المقصود بها (بنو أسد وغطفان) الذين كانوا بعيدين عن سماع القرآن ومجال الذكر ، واشتهروا بالغلظة والجفاء ، أما الآية الأخيرة فكان المقصود بها (جهينة ومزينة) الذين كانوا ينفقون فى سبيل الله تقرباً منه وطلباً لدعوات الرسول ، وهؤلاء بشرهم الله بأن نفقتهم هذه سوف يكون مردها لهم . انظر تفسير الإمامين الجلالين ، سورتى التوبة ، والأعراف .

الفصل السابع

المناطق الحضرية المتخلفة

تمهيد :

من الصعب علـى أى كـاتب فـى الاجتمـاع الحضـرى أن يغفـل الحديث عن المناطق الحضرية المتخلفـة . تلـك المنـاطق التـى أصبحـت تشـكل ظـاهرة فـى المنـاطق الحضريـة فـى العـالم ، سـواء المتقـدم ، أو المتخلف . وترجع أهمية دراسـة هـذه المنـاطق إلى أنهـا تشـكل تحديـا للمدينة والحياة الحضرية . أبعد من ذلك فإن هناك مـن يذهـب إلى أن المدينة هى نتاج الحضـارة الإنسـانية عـبر مسـيرتها الطويلـة ، وإن أى ظاهرة تهددها إنما هذه الحضارة ، وما توصل إليه الإنسان مـن عنـاصر للخلق والتجديد والابتكار .

ومن ناحية أخرى فإن السياسيات الحديثة التى تهدف لتشكيل نمط جيد من الحياة ، يجد فيه الانسان راحته ، وترويحـه ، وحمايـة نفسه وأجياله التالية من كل الشرور والآثام ، ومن كل ما يهدد حياتـه السوية ، هذه السياسات اتجهت فى العصور الحديثة إلى الحديث عـن معايير ومحكات لما يجب أن تنطوى عليه الحياة فـى الحضـر . ولعـل تعقد وتضخم المدينة الحديثة ، وسرعة ايقاع الحياة فيها ، جعلت هذه السياسات تحتل مكانة بارزة فى خطط التنمية الحضرية .

ومعنى ذلك أن دراسة المناطق المتخلفة تشكل الآن مجالا هامـا

من مجالات الدراسة فى علم الاجتماع الحضرى ، بهدف تتبع نشـأتها وتطورهـا ، وتفـاقم آثارهـا وسمـات سـاكنيها ومسـاكنها ، ومـا تمثلـه بالنسبة للحضارة الحضرية . كل هذا فضلا عن وضع التصورات الكفيلة بمواجهتها ، والحد من آثارها .

وفى ضوء ذلك كله فقد افردنا هذا الفصل للحديث تفصيـلا عـن المناطق الحضرية المتخلفة التى يطلق عليها Slums أو slum areas ، من حيث مفهومها ونشأتها وطبيعتها وأنماطها فى منـاطق مختلفـة مـن العالم .

المناطق الحضرية المتخلفة :

يطلق بعض الدارسين على هذه المناطق اسم المناطق غير المخططة Unplanned areas ، بينما يطلق عليها آخرون اسم المنـاطق الخربـة أو التى تتسم بوجود المبانى المتهالكة ، فـى الوقـت الـذى يذهـب فيـه البعض إلى أن الحديث عن هذه المناطق ، يجب ألا يغفل الحديث عـن سكانها، ونمط حياتهم وسماتهم الاقتصادية ، والاجتماعية ، والثقافية.

ومع ذلك فان هناك من يرى أن هذه المناطق هـى تلـك التـى تم بناؤها قبل عام (١٩٠٠)، حيث لم تكن نظم البناء والتخطيط المعمارى، والتسهيلات الحضرية قد ظهرت . كذلك يمكن القول إن الفقـر وتدنـى

مستويات المعيشة يعتبر عاملاً رئيسياً فى تخلف هذه المناطق . فالفقراء قد لايجدون مكانا ملائما لمستويات دخولهم إلا فى تلك المناطق ، كذلك المهاجرون الذين يفدون إلى المدينة أول مرة ولم يستقروا فى أعمال منتظمة ، ولم يحققوا دخولا كافية يجدون أنفسهم مرغمين على الإقامة فى هذه المناطق ، ونتيجة لتراكم إهمال هذه المناطق وعدم صيانتها تأخذ فى التدهور ، والتكدس ، وتصبح مستقرا لجماعات تتسم بالجهل وتدنى المستوى الإقتصادى . وفى بعض المناطق مثل نيويورك تمت إزالة حى متخلف وملىء بالقمامة ، ولكن ما مالبثت أن ظهرت مناطق أخرى متشابهة ، ومن هذا المنطلق يذهب البعض إلى أن ظهور المناطق المتخلفة وتفاقمها ، يمكن النظر اليه على أنه نتيجة تفاعل عوامل اقتصادية ، واجتماعية ، وثقافية ، وتكنولوجية ، والى جانب انعدام الوعى لدى الجماعات المقيمة فى هذه المناطق ، وكذلك وعى الجماعات ذات المكانة العليا بأهمية دورها فى المشاركة فى إزالة هذه الظواهر والقضاء عليها [1] .

وهناك عدة أسماء تطلق على المناطق الحضرية المتخلفة وهذه الأسماء رغم اختلافها ، إلا أنها تشير إلى ظاهرة واحدة ، هى ظاهرة التخلف والتدهور فى بعض المناطق الحضرية . وقد لايعنينا كثيرا ترديد

---

(١) السيد عبد العاطى السيد ، علم الاجتماع الحضرى ، الجزء الثانى ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٧٨ ، ص ٢٧٢ وما بعدها .

هذه الأسماء قدر ما يعنينا جوهر الظواهر التى تشير إليها . ولعل ذلك يرد عند حديثنا عن نماذج من هذه المناطق فى بلدان متفرقة من العالم.

وفى ضوء ما سبق فان هناك عددا من السمات التى يمكن الاشارة إليها والتى تتسم بها هذه المناطق ومن أهمها :

١- التكدس الزائد Over - Crowding ، سواء على مستوى المنطقة ذاتها فى المبانى ، والشوارع ، أو على مستوى المسكن الذى قد يضم أكثر من أسرة واحدة تشترك فى الإقامة معا .

٢- قدم المبانى وتهالكها من ناحية ، وسوء التهوية والإضاءة والمرافق .

٣- تتكون من شوارع وحارات متعرجة وضيقة ، وغالباً ما تخلو من المساحات الفضاء أو المناطق الخضراء .

٤- سكانها يتسمون بالفقر الشديد ، وإنخفاض مستوى المعيشة ، وعدم توفر الإمكانات التى تغطى مطالبهم الضرورية .

٥- انخفاض معدلات الحالة الصحية .

٦- انخفاض معدلات الحالة التعليمية .

٧- فى كثير من البلاد تكون المناطق المتخلفة مأوى لمرتكبى الجريمة والرذائل وجناح الأحداث .

٨- تكثر فيها معدلات الطلاق ، والبغاء وغير ذلك من السمات الانحرافية وفى مصر فى الفترة الأخيرة أضيفت تسمية جديدة

لهذه المنـــاطق ، حيـث أطلـق عليهـا "المنـاطق العشـوائية" أو "العشوائيات" ، وأصبح مصطلحا عاما ومستخدما ، وظهرت بعض الدراسات فى علم الاجتماع تحت هذا المسمى ، حينما لفتت الأنظار ظاهرة إختفاء العناصر المتطرفة بهذه المناطق . كذلك رصدت الدولة مبالغ ضخمة لاصلاح أوضاع هذه المناطق وإعادة تخطيطها ، واستكمال مرافقها .

والواقع أن دراسة هذه الظاهرة يمكن أن تتم فى ضوء الثورة الديموجرافية التى شهدتها مدن العالم عامة ، والعالم الثالث بشكل خاص مع نهايات القرن الحالى ، وما صاحبها من ثورة تكنولوجية أثرت على أوضاع السكان وأحوالهم الإقتصادية .

ونجد أن هذه التغيرات التى حدثت فى المجتمع لها تنطوى على سلبيات كثيرة فمشكلات المجتمع الحضرى قد نشأت وتفاقمت ، وأوجدت مشكلات جديدة فنجد مثلا مشكلات الاسكان والمرافق والخدمات ، وعدم الاستقرار الاجتماعى ، والحراك الطبقى ، وتحطم الفواصل التى كانت تفصل طبقة عن أخرى ، وخروج المرأة للعمل ، كل هذا له آثاره السلبية على المجتمع ، كما نشأت ظواهر اجتماعية واقتصادية وسياسية أثرت على المجتمع بشكل أو آخر . .

هذا ويمكن اعتبار هذه الظاهرة إحدى سمات التخلف ، ولها آثارها السيئة على المجتمع الحضرى . وخاصة بعدما أحدثته التغيرات الديموجرافية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، فى المجتمع ، ودخول بعض الصناعات ونشأة مجتمعات جديدة ومناطق صناعية لجذب السكان والعمالة ، وهجرة الريفيين إلى هذه المناطق الصناعية الجديدة ، والمناطق الحضرية القديمة . خاصة وأن المناطق الريفية تفتقر إلى التيسيرات الحضرية والمميزات التى تتمتع بها المدن دون الريف فلا يجد الوافد من الريف سكنا سوى المناطق المتخلفة فى المدينة ، وقد يرجع ذلك لعدة أسباب اقتصادية واجتماعية ، وعلى اختلاف هذه الأسباب الا أنها تؤدى إلى نفس النتيجة ألا وهى إستقرار الريفى فى المناطق المتخلفة .

والمناطق الحضرية المتخلفة ليس قاصرة على مجتمع دون آخر ، ولكنها ظاهرة عالمية . وإن اختلفت نسبيا من مجتمع لآخر ، ولكنها تتفاقم فى مجتمعات العالم الثالث ، نتيجةلتعرضه للعديد من التغيرات سالفة الذكر ، وعدم وجود الإمكانات المتاحة لمواجهة هذه الظاهرة ، أو القضاء عليها ، واختلاف الظروف الاقتصادية من مجتمع لآخر ، ولقد أدى ظهور النفط فى بعض المجتمعات إلى اختلاف المقاييس ، وتحول المجتمعات من الفقر إلى الغنى ، وإمكانية مواجهة هذه الظاهرة فى

إطار النهوض بالمجتمع .

ومن هنا ، فسوف نستعرض هذه الظـاهرة ، كمحاولـة للإسـهام فى التعرف عليها من الناحية السوسـيولوجية ، والتعـرف علـى بعـض الأمراض الاجتماعية والآثار الجانبية لها ، وأثر النمو الحضرى عليها، وما تفرزه هذه المناطق من أخطار اجتماعية ، تقع على كاهل المجتمـع الحضرى ، وكذلـك مـدى ظهـور التمـايزات الإيكولوجيـة فـى مجتمـع المدينة ، وهذه التمايزات تختلف من حيث طبيعـة السـكان ، ونوعيـة الخدمات والمرافـق الموجـودة التـى تميز منطقـة عـن أخـرى ، ونوعيـة السكان ، والمهـن التـى يمتهنهـا السكان والأسـلوب المعيشـى ، وأثـر التقارب الفيزيقى للسكان على حياتهم ، ومدى تقبلهم لما هـو جديـد ، وتكيفهم معه ، أو رفضهم له ، ومدى تكيف الريفى الوافد إلى المدينة .

وبالإضافة إلى ذلك ، تجد أن تضخم المدينة ونموها الحضـرى ، قد يؤدى إلى انضمام بعض القرى المجاورة لها ، كنتيجة طبيعية لهـذا النمو ، وتبدأ ظاهرة تريف المدينة ، ومن خلالها تخلق أشكالا حضريـة للمناطق المتخلفة ، وكذلك حركة الهجرة من الريف إلى المدن ، نتيجـة تدنى الأحوال المعيشـية بـالريف وهـروب العمالـة إلى المدينـة ، حيـث فـرص العمـل متوفـرة ، وحتـى إن لم تتوفـر ، فـإن المنـاخ الاقتصـادى الاجتماعى للمدينة ، يسمح بالإنخراط فى المهن الطفيلية التى لا تحتاج

إلى أدنى قدر من المهارة [1] ، ومن هنا فإن المناطق المتخلفة التى تقع فى قلب المدينة ، أو على أطرافها ، تظل دائماً معزولة عن أى نشاط اجتماعى يحدث بها ، ورغم ذلك فإن سكانها دائمو التردد على المدينة ، لقضاء أعمالهم ومصالحهم ، ويحاولون صياغة معظم الملامح الحضرية المحددة لأوجه الحياة بمجتمعهم قد شارك ساكنو المناطق المتخلفة فى تدعيمها ومساندتها ، حتى يمكن تحقيق أهدافها ، وهنا يمكن الإشارة إلى محورين أساسيين هما :

الأول : يتمثل فى الظروف القاسية بخاصة الاقتصادية – التى يحياها هؤلاء السكان ، وتؤدى إلى عديد من أشكال الإحباط ، التى تستند إلى وجود فجوة هائلة بين مستوى مرتفع من الطموح ، وتوارث شخصية محدودة ، وإمكانيات مجتمعية ، قاصرة عن تحقيق معظم هذه الطموحات مما يؤدى إلى استقطاب أفراد هذه الجماعات ، للإنضمام إلى الحركات الاجتماعية ، التى تضع برامجها على أساس ضرورة تحسين أوضاع سكان المناطق المتخلفة .

الثانى : تبدأ من التفاوتات الطبقية بين سكان هذه المناطق وسكان بقية أجزاء المدينة الأمر الذى يدفع سكان المناطق الفقيرة

---

(١) محمود الكردى – المدينة المصرية – مرجع سابق ، ص ص ٤ – ٤٥ .

والمتخلفة دفعا إلى تنظيم حركتهم ، حتى دون ظهور تأثير رجعى عليها [1] .

يعلق مصطفى الخشاب على ظاهرة تريف المدينة فى المناطق الحضرية المتخلفة ، فيرى أن المدن التى تغلب عليها الصناعات البدائية والحرفية ، تعتبر متخلفة حضارياً وهى أقرب فى أنساقها وأنماطها الحضرية إلى الطابع الريفى ، فلا تزال أحياؤها خليطا من تجمعات سكانية متداعية وغير مخططة ، يتركز فيها أصحاب الحرف والطوائف المهنية ، التى لاتزال تمثل مراحل التطور الصناعى الأولى ، مثل بعض الدول الافريقية ، والوطن العربى ، التى لاتزال معظم أحياؤها متخلفة وفقيرة ومزدحمة بالسكان ، وحيث تنمو المدينة اجتماعيا ، وتتجه الفئات الصاعدة من التجار والمثقفين وأصحاب الأعمال إلى الإقامة فى الضواحى Urban suburbs السكنية المتميزة بطابعها عن الأحياء الموجودة فى قلب المدينة ، وسرعان ما تنشأ على تخوم هذه الأحياء السكنية بعض المحلات الريفية الخالصة التى تخدم المجتمعات السكنية وتسد حاجتها . وعن هذا الطريق تنتقل اليها كثير من مظاهر التريف ، التى عاشت فى غمارها قبل أن تفر من قلب المدينة ، ومن ضغط روابطها الطائفية والحرفية [2] .

---

(١) محمود الكردى – التحضر – الكتاب الثانى – مرجع سابق ، ص ٢٦٥ .
(٢) مصطفى الخشاب – مرجع سابق – ص ٢٤٣ .

وفى المناطق الحضرية المتخلفة ، نجد أن أكثر من مائتى مليـون شخص يتكدسون فى النطاقات الفقيرة بالمدن الكبرى فى العالم الثالث، ويعانون من ظروف معيشـية قاسية ، وظـروف بيئيـة سـيئة ، وأكـواخ هزيلة تسمى بمـدن الصفيـح ، وطمـوح لايتجـاوز الحصـول علـى الحـد الأدنى من الغذاء للأطفال ، الذين يعانون مـن الجـوع ، والاحتمـاء مـن مطاردات رجال الأمن المتوقعة فى كل حين ، وكسب العيش ، وإنتشار سوء التغذية ، والجريمة ، وعدم الإنتماء الحضارى ، ونقص الخدمـات والمرافق الأساسية ولقد عبر ماكنمار Robert Mac. Namara عن ذلك بأن الفقر حالة يستحيل عندها الإستجابة للحاجات الأساسـية اللازمـة للفرد ، لكى يبقى على قيد الحياة . إن الفقر المطلق يـأخذ فـى الوسـط الحضرى مظهرا ماديا ومعنويا ، ويضاف اليـه عـدم الإنتمـاء الثقـافى . بالنسبة للمهاجرين الريفيين ، الذيـن يتخلـون عـن المبـادىء والسـلوك والقيم الريفية ، دون أن ينجحوا فى ممارسة نمـط الحيـاة الحضريـة ، ولقد قرر الخبراء ، أنه فى بداية الثمانينات ، كان هناك (٨٠٠) مليون شخص يعانون من الفقر أى حوالى (٤٠٪) من سكان الدول النامية غـير الصين ، وحوالى (٦٠٠) مليون ريفـى يعـانون منهـم (٤٥٠) مليـون مـن سوء التغذية الشديد ، و (٢٠٠) مليون حضرى يعيشون فـى الأكـواخ ، ومدن الصفيح [1] Shanty Towns .

---

(١) برنارد جرانوتييه – السكن الحضرى فى العـالم الثـالث ، دراسـات اقليميـة =

وهناك تشابه بين العالم الثالث اليوم وأوربا فى القرن التاسع عشر وذلك من حيث تركز الفقراء والبائسين فى المدن ، وزيادة التفاوت الاجتماعى ، ووجود الظروف المعيشية غير الإنسانية ، التى تؤدى إلى مزيد من المعاناة من الناحيتين المادية والمعنوية ، لدى جزء كبير من السكان ، فالعمل الاضطرارى للأطفال فى الأحياء المتخلفة ، فى مدن العالم الثالث ما هو إلا صدى للأمراض التى إرتبطت بتكدس الأطفال فى المناجم والمصانع ، وهم يعتبرون الطفيليون الحضريون فى العالم الثالث . كما تجد معدلات النمو الديموجرافى فى الدول النامية يتراوح ما بين (٢,٥٪) ، (٣٪) سنويا ، رغم الظروف المعيشية السيئة فى المدن . وفىالأحياء المتخلفة ، فإن التقدم الطبى والعلاجى ، أدى إلى انخفاض معدلات الوفيات ، وان سكان مدن العالم الثالث ، لايتوافر لهم المسكن الملائم، مما يؤدى إلى تفاقم الظاهرة، والخوف من عواقبها، فلابد أن يحدث تحول جوهرى ، ووضع حلول واستراتيجيات لمواجهة هذه المشكلات، وقهر تحديات الفقر بكل ملامحها وأبعادها[1]

= تعريب محمد بهجت الفاضلى ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ١٩٨٧ ، ص ص ١٩ - ٢٣ .

(١) المرجع السابق ، ص ص ٤١ - ٤٥ .

طبيعة المناطق الحضرية المتخلفة :

قد يأخذ الخط السكنى فى المناطق الحضرية المتخلفة أشكالاً مختلفة من العشش والأكواخ ، لكن من أهمها [1] :

أ- المعسكر المؤقت والانتقالى ، وهو عبارة عن مأوى مؤقت للقادمين الجدد ، والذين يكشفون عن درجات عالية من التنقل والحراك ، كقفزة سريعة نحو التكامل الحضرى .

ب- المستوطن الثابت أو الدائم نسبيا ، لأشكال معينة من العمالة التى ترتبط بالمناطق الحضرية المجاورة ، مثال ذلك جمع وتصنيف وإعادة بيع النفايات والخردة ، وقد يكون قريبا من حى الأعمال المركزى من أجل مزاولة أعمال عارضة فى مجال الخدمات غيرها من العوامل التى تثبت الاقامة فى هذه المناطق .

جـ- وأخر يتمثل فى إقامة بعض المصانع والورش الصغيرة والمحلات التى تعمل وسط ظروف صعبة وفقيرة ، وقد يرتبط بعضها بالأحياء والمناطق التجارية والصناعية .

د- والطابع الأخير يتميز بالقرب من المعسكرات الحربية كالتسول والسرقة وبيع المعدات الحربية والأدوات المسروقة أو المهربة .

وتشكل المناطق المتخلفة بالمدينة موضوعا أساسياً من الموضوعات

---

(١) السيد عبد العاطى – الاجتماع الحضرى – الجزء الثانى ، ص ص ١٧٨-١٧٩.

المرتبطة بالمشكلات الحضرية . كما أنها تكشف عن نوعية الحياة السائدة فى القطاع الحضرى . ولاشك أن ظهور هذه المناطق يرتبط ارتباطاً وثيقاً بظاهرة الفقر ، فتنمو فى ظله ، وتستمد منه تأثيراتها على المجتمع الحضرى بأكملة ، لعل المجتمعات فى العالم الثالث فى أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية هى خير شاهد على هذه الظاهرة . فقد أفرزت الظروف المكونة لهذه المجتمعات ظواهر عديدة ، تتعلق بالبناء الديموجرافى ، والهيكل الاقتصادى ، والبناء الاجتماعى فمعظمها يتميز بارتفاع فى معدلات النمو السكانى إعتمادا على الزيادة الطبيعية للسكان . ومن الطبيعى أن تفرز مثل هذه الأوضاع ظواهر شديدة التعقيد، وتدهور الأوضاع بالمدن مرتبط بتدهور أوضاع الريف . حيث تمثل الهجرة آخر الظواهر المرتبطة بالمناطق المتخلفة ، حيث يهاجر الريفيون للبحث عن فرص عمل أفضل [1] .

وهناك أسماء عديدة تطلق على المناطق الحضرية المتخلفة وتختلف من مجتمع لآخر ، فمثلا فى الهند تسمى الباسطا bustees أو جاجى Jhuggies أو آهاتا Ahata ، وفى تونس Gourbis ، أو Bidonville . وفى بغداد Seritas وفى البرازيل Favelas ، وفى بيرو Borrladas ، وفى السويد Ranchos وفى بنيرنس إيرس

(١) محمود الكردى – التحضر – الكتاب الأول، مرجع سابق، ص ص١٥٥–١٥٧.

Villes Miserias وفى ساوبالو Barrios ، وفى بورتو أليجر Vilas Malacas ، وفى سانتياجو Problaclones Callampas ، وفى كولومبيا وكراكاسى Quibrad أو cerros وفى مكسيكو سيتى Colonias Proletarias . وفى ليبيا وطرابلس Barrakas ، والولايات المتحدة Shanty Towns [1] وفى مصر تسمى بالمناطق المتخلفة والشعبية أو العشوائية أو مدن الصفيح .

وقد تتكون الأحياء المتخلفة المؤقتة على حدود المدينة ، أو فى الأماكن الفضاء غير المشغولة ، وأينما وجدت هذه المساكن فهى تفتقر إلى الخدمات وتتسم بدرجات عالية من القذارة والتخلف وسكانها لابديل لهم عن السكن فيها إذا أنهم على استعداد للحياة فيها تحت أسوأ الظروف ، على أمل أن تثبت أقدامهم فى المدينة للحصول على مسكن أفضل . ونجد فى بعض البلاد مثل مكسيكو سيتى ، يشير كل منها على التوالى إلى الشقق ذات الحجرة الواحدة ، التى تفتح على فناء أو ممرات ، ثم الأكواخ المصنوعة من المعادن والخردة وأخيرا على المواقع التى انتزعتها بعض الجماعات الضاغطة من الحكومة ، وعليها مبان أفضل تشييدا ، ولكنها تعانى من نقص الخدمات [2] . وفى الهند

---

(١) جيرالد بريز – مرجع سابق ، ص ص ١٩٠ – ١٩٢ .

(٢) نفس المرجع السابق ، ص ١٩٣ .

تبنى هذه المناطق من المخلفات القديمة فى المناطق المهجورة ، أو المناطق المجاورة للمشروعات والمصانع ، أو على سفوح الجبال والتلال القريبة من المدينة ، وتبنى الأكواخ عليها وقد تتعرض مثل هذه المناطق إلى حملات للقضاء على هذه الظاهرة ، فتارة يؤدى سير الأحداث إلى إخلاء سكانها ، وتارة تكتظ بمن فيها وما يصاحب ذلك من صراع يمزق بناءها ونسيجها الاجتماعى ، فلا سبيل لاستئصالها بسبب مشكلة نقص المساكن التى تعوق كل الجهود المبذولة من أجل التنمية [١] .

وفى لندن نجد أن المناطق الصناعية تؤخذ كأساس للبرامج الحضرية ، ولتحسين البيئة المتخلفة الفقيرة ، وذلك باعادة تجهيز وتخطيط هذه المناطق ، عن طريق جذب سكانها إلى المناطق الصناعية ، وإمدادها بالتحسينات . والإمكانيات اللازمة ، وإتاحة فرص للعمل للشباب ، مع توفير الخدمات والمرافق والمؤسسات اللازمة ، لهؤلاء لبناء مجتمع حضرى جديد . وذلك لإستيعاب أعداد كبيرة من المهرة وأنصاف المهرة والعاطلين ، وتوفير المسكن الملائم لهم ، وتكثيف الجهود المبذولة فى المناطق الصناعية ، وتكوين إمتدادات تلقائية وطبيعية للمدينة [٢] وهذه محاولة لطرد المتطفلين والعاطلين من المناطق

---

(١) جبر الدبريز – المرجع السابق ، ص ١٣٨ – ١٣٩ .

Law less , Op. Cit., pp. 230-231 .

المتخلفة ، وجذبهم إلى المناطق العمرانية الجديدة ، وبذلك يمكن إعادة بنائها وتجديدها ، والبعد عن التمركز السكانى بالمدن ، وامتصاص الأيدى العاملة بها ، وتجديد المناطق الحضرية المتخلفة .

المناطق المتخلفة فى العالم المتقدم :

إن ظاهرة نشوء الأحياء العشوائية المتخلفة ، أصبحت ظاهرة عالمية تعانى منها كل المجتمعات ، وفى دول العالم الغربى والعالم الثالث ، ويمكن القول بأن هناك اختلافات نسبية ، إلا أن هذه المناطق لها طابع مميز وخاص بها عن المناطق الحضرية الأخرى وكذلك العلاقات الاجتماعية السائدة فيها ، وعلاقات الجوار المتشابهة ، وآثارها السلبية على المجتمع ويمكن القول بأن خصائص هذه المناطق وسماتها تعتبر واحدة ومتقاربة لتشابه الظروف والأوضاع فيها ، وتجدها مميزة فى كل دول العالم تقريبا . ومن هنا فسوف نتعرض لبعض من هذه الظواهر المتشابكة التى كونتها المناطق المتخلفة وخصائصها وسماتها ، وبعض محاولات علماء الاجتماع الحضرى لدراساتها فى بعض مدن العالم لإستجلاء آثارها على المجتمع ككل .

لقد ظهر التمايز الإيكولوجى لأجزاء المدينة ، مرتبطا بهذه الظاهرة ، وظهرت فوارق ، وتمايزات طبقية فى ساكنى قلب المدينة

تبنى هذه المناطق من المخلفات القديمة فى المناطق المهجورة ، أو المناطق المجاورة للمشروعات والمصانع ، أو على سفوح الجبال والتلال القريبة من المدينة ، وتبنى الأكواخ عليها وقد تتعرض مثل هذه المناطق إلى حملات للقضاء على هذه الظاهرة ، فتارة يؤدى سير الأحداث إلى إخلاء سكانها ، وتارة تكتظ بمن فيها وما يصاحب ذلك من صراع يمزق بناءها ونسيجها الاجتماعى ، فلا سبيل لاستئصالها بسبب مشكلة نقص المساكن التى تعوق كل الجهود المبذولة من أجل التنمية [1] .

وفى لندن نجد أن المناطق الصناعية تؤخذ كأساس للبرامج الحضرية ، ولتحسين البيئة المتخلفة الفقيرة ، وذلك باعادة تجهيز وتخطيط هذه المناطق ، عن طريق جذب سكانها إلى المناطق الصناعية ، وإمدادها بالتحسينات . والإمكانيات اللازمة ، وإتاحة فرص للعمل للشباب ، مع توفير الخدمات والمرافق والمؤسسات اللازمة ، لهؤلاء لبناء مجتمع حضرى جديد . وذلك لإستيعاب أعداد كبيرة من المهرة وأنصاف المهرة والعاطلين ، وتوفير المسكن الملائم لهم ، وتكثيف الجهود المبذولة فى المناطق الصناعية ، وتكوين إمتدادات تلقائية وطبيعية للمدينة [2] وهذه محاولة لطرد المتطفلين والعاطلين من المناطق

---

(١) جبر الدبريز – المرجع السابق ، ص ١٣٨ – ١٣٩ .

(2) Law less , Op. Cit., pp. 230-231 .

المتخلفة ، وجذبهم إلى المناطق العمرانية الجديدة ، وبذلك يمكن إعـادة بنائها وتجديدها ، والبعد عـن التمركـز السـكانى بـالمدن ، وامتصـاص الأيدى العاملة بها ، وتجديد المناطق الحضرية المتخلفة .

المناطق المتخلفة فى العالم المتقدم :

إن ظاهرة نشوء الأحياء العشـوائية المتخلفـة ، أصبحـت ظـاهرة عالمية تعانى منها كل المجتمعـات ، وفـى دول العـالم الغربـى والعـالم الثالث ، ويمكن القول بأن هناك اختلافات نسبية ، إلا أن هذه المناطق لها طـابع مميـز وخـاص بهـا عـن المنـاطق الحضريـة الأخـرى وكذلـك العلاقـات الاجتماعيـة السـائدة فيهـا ، وعلاقـات الجـوار المتشـابهة ، وآثارها السلبية على المجتمع ويمكن القول بأن خصـائص هـذه المنـاطق وسماتهـا تعتـبر واحـدة ومتقاربـة لتشـابه الظـروف والأوضـاع فيهـا وتجدها مميزة فى كل دول العـالم تقريبـا . ومـن هنـا فسـوف نتعـرض لبعـض مـن هـذه الظواهـر المتشـابكة التـى كونتهـا المنـاطق المتخلفـة وخصائصهـا وسماتهـا ، وبعـض محـاولات علمـاء الاجتمـاع الحضـرى لدراساتها فى بعض مدن العالم لإستجلاء آثارها على المجتمع ككل .

لقد ظهـر التمـايز الإيكولوجـى لأجـزاء المدينـة ، مرتبطـا بهـذه الظاهرة ، وظهرت فوارق ، وتمايزات طبقية فـى سـاكنى قلـب المدينـة

ويوجد به المحلات التجارية وبائعى التجزئة والمنازل الخاصة بالسكان وهو أحسن حالا من القسم الأول . أما القسم الثالث وهو يمتد إلى الحد الإدارى للمدينة ، وهو مقسم إلى ثمانية مناطق رئيسية ذات مستوى خدمات مرتفع ويعيش فيه الأغنياء وذوى المستويات الاجتماعية المرتفعة الذين يملكن سيارة خاصة للإنتقال إلى قلب المدينة لقضاء حاجاتهم ويتميزون تبعا لإختلاف أوضاعهم وظروفهم الإقتصادية والاجتماعية [١] .

ومن هنا فقد حدد ممفورد Mumford سمه الاحتقان الحضرى فى المدينة فيرى أن هناك عدة عوامل ساعدت على وجود هذه السمة ، ومن بين هذه العوامل تركز الخدمات المختلفة ، وبخاصة مظاهر النشاط الصناعى ، وما يتصل به من خدمات عمرانية مختلفة ، مما يجعل المدينة قطبا جاذبا ومؤثرا فى العناصر البشرية ، التى تفد اليها من المناطق الريفية القريبة والبعيدة ، وكذلك يساعد نظام المواصلات وتيسيرات المرور والاهتمام بالطرق إلى تضخم المدينة ، واحتقان الطرق والمرور ، التى أصبحت على درجة من الكثافة لايمكن تجاهلها ، وكذلك ازدحام المساكن والكثافة السكانية العالية . وكنتيجة لذلك ،

---

(1) Abrahamson , Mark, Urban Sociology, Second Edition, U.S.A. 1980, PP. 180. 182 .

أثرت هجرت الأفراد من الطبقات المتوسطة والفقيرة ، والباحثين على فرص العمل من أجل تحسين أوضاعهم ، والاتجاه إلى المراكز التجارية والصناعية التى تزخر بها المدينة ورغم تيار الهجرة الشديد إلى المدينة ، فقد شهدت تيارا عكسيا إلى خارجها ، وتمثل فى هجرة سكانها الأصليين إلى الضواحى والمناطق الجديدة ، وكنتيجة لتلك التيارات الوافدة إلى المدينة ، بدأت تظهر بداخلها مناطق تعد بؤرا لتفشى صور عديدة من المرض والإنحراف الاجتماعى [1] .

ولقد أجرى أحد الباحثين دراسة فى غرب لندن فى باثينال جرين Bethnal Green عن طبيعة الحياة الاجتماعية للطبقة العمالية فى جرين لايت Green leight ومدى تأثرها بتزايد النمو السكانى المتزايد والسريع . مما قد يضطرد البعض إلى السكن فى مجتمع الجيتو الحضرى أو فى المجتمعات المتخلفة حيث يستحيل إقامتهم فى قلب ومركز المدينة لتكدسها وازدحامه بالسكان ، وقد أصبحت مناطق طاردة للسكان هذا إلى جانب انخفاض السكان فى مناطق الضواحى ، وهذه المناطق الجديدة التى يفدون اليها من المدينة تكون بيئتها الفيزيقية متقاربة ومتشابهة مع البيئة القادمين منها ، وقد كسبوا مسكنا مستقلاً

---

(١) أحمد النكلاوى ، القاهرة ، دراسة فى علم الاجتماع الجضرى ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٧٢ ، ص ص ٣١ - ٣٥ .

للأسرة بعيدا عن السكن فى الحجرات المشتركة فى الحياة السابقة ، ولكنهم يأملون فى تحسين سبل المواصلات والطرق والمرور فى هذه المناطق حتى يمكنهم الاتصال بالمناطق الحضرية الأخرى بالمدينة [1] .

المناطق المتخلفة في دول العالم الثالث :

تناقش جانيت أبو الغد فى كتابها التحضر فى العالم الثالث هذه الظاهرة وكيفية نشؤها ، وترى أن السبب الرئيسى لوجودها هو الزيادة الطبيعية للسكان هذا إلى جانب الزيادة غير الطبيعية التى تؤثر على النمو الحضرى للمجتمعات وهذا الاتجاه ذو أهمية جادة للسياسة الحكومية ، وترى أن الكثافة الحضرية خاصة فى فئة الشباب تزداد فى المجتمعات الأقل تحضرا ، وتؤثر تأثيراً بالغاً على معدلات الهجرة وتحدث تحولا ونموا فى المراكز الحضرية . وقد بلغت معدلات الزيادة فى المناطق الريفية (١٤) فى الألف ١٩٦٠ نتيجة للهجرة الريفية الحضرية للسكان . ونجد فى الفترة ما بين سنة ١٩٧٠ ، ١٩٧٥ أن الزيادة الطبيعية فى الريف قد وصلت إلى (٨) فى الألف ، وفى الآونة الأخيرة وصلت إلى (١٧,٧) فى الألف وتجد هذه الزيادة فى جنوب

(1) Michelson William, "Man and his Urban Environment: a sociological approach = Addison - Welsley Publishing Company Readong Mass Achusettes", London - 1970, PP. 13 - 74 .

آسيا وأمريكا اللاتينية وأفريقيا وبمقارنة هذه المعدلات بمعدلات الزيـادة الطبيعية لسكان الحضر ، نجدها مـن ١٩٧٥ إلى ٢٠٠٠ تصل إلى أكثر من الثلث للسكان الأصليين فى أوروبا ، والنصف فى أمريكـا الشمالية والإتحاد السوفيتى ، والثلثين فى أوشانيا Oceania إحـدى الولايـات الأمريكية والى الضعف فى شرق آسيا ، وأمريكـا اللاتينيـة ، ويتذبـذب هذا المعدل فى أفريقيا ، وجنوب آسيا [١] . ومـن المؤكـد تـأثر درجـات التحضر فيها وتاثيرها على المـدن والمراكـز الحضريـة ، ونشـوء الأحيـاء المتخلفة فيها بما تحمل من آثار على المجتمع ككل .

وتنشـأ مـدن الأكـواخ أو الأحيـاء المتخلفـة فـى الأرجنتـين علـى أطراف المدن وتسمى بمدن البؤساء ، وتظهـر علـى شـكل نطاقـات مـن التجمعات حول المدن ، وتتضح فى كراكـاس عاصمـة فـنزويلا ، وهـى مدينة مليونية وبقـدر أن ربـع سـكانها يعيشـون فـى الأحيـاء والأكـواخ المتخلفـة ، وهـى تتكـون مـن ألـواح الزنـك وبراميـل الصـاج وأخشـاب النخيل ، والقش والبوص [٢] أما عن الخدمات فهـى معدومـة تقريبـا ، والطـرق غـير ممهـدة ، وتكـثر بهـا الضوضـاء حيـث يكـثر بهـا الباعـة

---

(1) Abu-Lughod. J., Hay Richard . JR. Third World Urbanization , New York, 1977, PP. 76-77 .

(٢) السيد حنفى عوض – مرجع سابق ، ص ٨٣ .

المتجولون ، وتتدنى بها خدمات الأمن وحيث حاولت الحكومة إزالة الآلاف من تلك الأكواخ . لتقام بدلا منها عمارات سكنية ما بين عامى ١٩٥٤ ، ١٩٥٨ ، فإن ذلك لم يمنع من ظهور عدد أكبر من الأكواخ فى نفس الفترة ، نتيجة لتوافد الريفيين معدومى الخبرة التى تؤهلهم للحياة فى المدينة [1] .

أما فى السودان فقد ظهر فى الثمانيات من هذا القرن ما يعرف بمدن الكرتون التى يسكنها المهاجرون إلى المدن ، ويشيدونها على أطراف المدن مثل الخرطوم وبورسودان ولقد أصبحت هذه الظاهرة تمثل مشكلة حقيقية خاصة فى بورسودان ، فلقد وصل عدد الأحياء المتخلفة بها إلى نصف مساكن المدينة وأصبح سكانها يعيشون فى ازدحام شديد، وغاية فى السوء . حيث النقص الشديد فى الخدمات الأساسية والمرافق العامة [2] . هذا إلى جانب النمو السكانى المتضاعف الذى يهدد المجتمع السودانى بالمجاعة ، والأزمة الاقتصادية التى يمر بها فى الفترة الأخيرة ، ومعاناة المجتمع من الجوع والفقر والجهل والمرض ،

---

(١) أحمد على اسماعيل ، درسات جغرافية المدن ، مكتبة سعيد رأفت ، القاهرة، ١٩٨٢ ، ص ١٠٨ .

(٢) عبد الله حامد العيادى ، التحضر فى السودان ، مجلة التحضر فى الوطن العربى ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، بيروت، ١٩٨٠ ، ص ٢٣٣.

وقد أدى زيادة السيول بها إلى استفحال الأمراض المتوطنة ، مما يهدد الصحة العامة لسكان المدن ، وظهور السلوك الاجرامى وتفشيه فى باقى المدن ، وظهور الأحياء السرطانية . ومن المؤكد أن يكون عاملا فعالا ومؤثرا على البيئة الاجتماعية والفيزيقية فى المجتمع ككل .

وفى تونس نجد أن عدد سكان الأكواخ تبعا للاحصاءات فى ١٩٤٦ كان يشكل نحو (٥٠) ألف نسمة وارتفع إلى (١٠٥) ألف نسمة عام ١٩٥٦ ، أى ما يقرب من (٢٠٪) من سكان المدينة ، وقد اعتبر تعداد ١٩٦٦ أكثر من (٢٥٪) من سكان تونس يعيشون فى الأكواخ ويطلقون عليها اسم (براكات) . ولقد حاولت الدولة مواجهة هذه المشكلة بطرد المهاجرين الذى يعملون بغير إذن عمل ، وقد هدمت أكواخهم ، إلا أن النتيجة جاءت بعكس الهدف . فظهرت الأحياء الجديدة لساكنى الأكواخ فى ضواحى المدينة . وبالرغم من محاولات الدولة فى بناء المساكن الشعبية وإنشاء المصانع ، فقد ظلت المشكلة قائمة خاصة بعد أن أصبحت جزءا من المدينة بعد توسعها وامتدادها[1] .

ويعتقد هانتون Hanton أن كل محاولة لتصفية الأحياء المتخلفة أو مستوطنات الأكواخ بمساكن حديثة ، أو نقلها ، إنما تشكل

---

(١) حافظ ستهم ، نفس المرجع السابق ، ص ٥٤ .

عملية إقتصادية باهظة التكاليف ، وهـى عمليـة لاتعـدو أن تكـون مـن المسكنات ، وبالتالى فان القضية الأساسية هـى كيفيـة معالجـة حـالات الفقر بين السكان ، وعلى النقيض من ذلك التحليل نجد أن أحد علماء السياسة ينظر إلى الأحياء المتخلفة على أنها نتاج كـل المقيمـين فيهـا ، وهو يعتقد أن أسلوب حياتهم يجب أن يتغير أولا قبـل أى تفكـير فـى مساعدتهم ، لأن أى مساعدة أو معونة ستكون أحـد عوامـل تشجيعهم علـى التخلـف ، ولذلـك فلابـد مـن حثهـم علـى المشـاركة وتحمـل المسئولية[1] .

بالإضافة إلى ذلك ، تمثل مدن الصفيح عملا من جانب السـكان الذين لا يعتمدون فى بناء مسكنهم على المعونـات الفنيـة والماليـة التى تقدمها الحكومة ، بل إن (٥٠٪) من المساكن فى العالم الثـالث ، بنـى بالجهود الذاتية . وبذلك يمكن القول بأن إزالة مدن الصفيح يعـد عمـلاً ناقصا ، وإذا لم تكن هناك خطـة شـاملة لأن إزالـة هـذه الأحيـاء فـى المدينة ، يعنى ظهور مناطق أخرى فى أحياء أخـرى تعـانى مـن نفس الظـاهرة . بـل إن الأسـباب الإقتصاديـة تدعـو إلى الـتراخى فـى إصدار القـرارات الخاصـة بهـدم المسـاكن المؤقتـة ، ففـى البـلاد ذات الموارد النادرة، يصبح من الصعب إلغاء جزء هام من الإستثمار والعمالة،

---

(١) المرجع السابق ، ص ٤٥٥ .

ويتراكم رأس المال الثابت سنة بعد أخرى فى شكل أكواخ تكبر وتزيد تدريجيا، وتتحسن لتصبح بيوتاً من الأحجار ثم تصبح مساكن دائمه [1]، وسوف نتعرض لبعض النماذج على اختلاف أشكالها وأنواعها والمجتمعات الموجودة فيها والآثار المجتمعة الناتجة عن هذه الظاهرة فى المجتمع المتقدم والنامى كل على حده .

نماذج للمناطق المتخلفة على مستوى العالم المتقدم :

توجد نماذج عديدة للمناطق المتخلفة على مستوى العالم المتقدم، مع اختلاف نسبى تبعا للظروف الاقتصادية ، والاجتماعية ، والسياسية والبيئية واختلاف الوعى الاجتماعى فى هذه المجتمعات . لذا يمكن حصر بعض النماذج ، وأثرها على مجتمع المدينة وكيفية مواجهة الدول لهذه المناطق ، وخاصة أن بعض الدول تضع السياسات الموجهة الفعالة لها ، وتضع لها بعض الحلول المناسبة .

وحيث تزداد ظاهرة المناطق المتخلفة مع النمو السكانى المتضاعف ، والإحتياجات الاجتماعية لساكنى هذه المناطق . ومن المحتمل أن تستطيع الحكومات إستيعاب هؤلاء السكان وسد احتياجاتهم ، وخاصة ذوى الدخول المنخفضة فى الدول المتقدمة .

---

(١) برنارد جرانوتيه ، ص ص ٩٤ – ٩٥ .

مكررة من اصل المصدر + صفحة ساقطة

الجانبية للنمو الحضرى [1] . كما تمتص هذه الأحياء أوالضواحى الجديده الكثير من الجهود المادية والأقتصادية والفنية والأيدى العاملة العاطلة ، هذا إلى جانب الخدمات والمرافق والمؤسسات الأجتماعية ، والمشروعات التى تقيمها الدول لتلاقى السلبيات التى قد تفرزها هذه المناطق .

ولقد حاولت الولايات المتحدة الامريكية من خلال برامج القضاء على الفقر أن تواجه فى الوقت نفسه مشكلة المناطق المتخلفة ، سواء عن طريق تحسين ظروف العمل ، أو منح المساعدات أو الدعم اللازم لتطوير المدن ، والقضاء على ظاهرة المناطق المتخلفة فيها ، أو ظاهرة سكنى الحجرة الواحدة ، والتكدس السكانى ، والتدهور البيئى والسكنى ، وقد امتد هذا المشروع إلى كثير من المناطق الحضرية فى الولايات المتحدة ، مثال ذلك مدينه كاليفورنيا [2] .

وقد قاومت الحكومة الأمريكية تفشى ظاهرة الأمية والبطالة وتدهور الصحة العامة لسكان المناطق الفقيرة المتخلفة ، بكل ما تملك

---

(1) Sivaramakishnan K.C and green Leslie . Iimproving shelter Delivery System : Housing an Urban Priorty . Systems . Housing finance . An Urban Priorty" . the Urban Edge issues & innovatiuons . Vol. 10. No. 8 October , 1986. P. 1.

(2) Kahn, Alfred J., "Studies in Social Policy and Planning. The Anti-Poverty was as a Social Strategy : Problem focused planning on a National Level" New York. 1969. P. 10.

من جهود مادية وتكنولوجية واجتماعية ، وخاصه للهنود العاملين بالمزارع ، وكذلك اهتمت بالأطفال الذين يعملون في سن صغيرة وشجعتهم على التعليم ، كما اهتمت بتطوير الخدمات وخلق فرص عمل للشباب ، وتشجيع الصناعات اليدوية المنزلية كمشورع قومى لمقاومة انحراف الشباب ، وأسست نظاما خاصا بالتأمينات الاجتماعية لهم ، وتقديم العون المالى ، والخبرة الفنية للقضاء على الفقر والبطالة ، كما قامت بتسويق منتجاتهم وتشجيعهم على العمل ، ووضعت قوانين للمساعدات الاجتماعية للفقراء وكبار السن والعاجزين صحيا عن العمل، محاولة منها للإرتقاء بالمستوى الاجتماعى ، والاقتصادى لسكان الأحياء المتخلفة [1] .

وهناك نموذج آخر للأحياء المتخلفة فى جنوب برونكس South Bsronx ، وفى مدينه نيويورك ، حيث توجد فيها المساكن القديمه المهجورة من قبل السكان الأصليين . ويأوى فيها الفقراء ويكثر بها المجرمون والخارجون على القانون والمدمنون وغير ذلك من الأوبئة الاجتماعية مثل الجهل والفقر والمرض [2] .

ونموذج آخر للمساكن العشوائية فى بنانا كيلى Banana kelly

---

(1) Ibid , PP . 160- 161

(2) Ibid , P . 45.

الجانبيـة للنمـو الحضـرى [1] . كمـا تمتـص هـذه الأحيـاء أوالضواحـى الجديده الكثير من الجهود المادية والأقتصادية والفنية والأيدى العاملـة العاطلة ، هذا إلى جانب الخدمات والمرافـق والمؤسسـات الأجتماعيـة ، والمشروعات التى تقيمها الدول لتلاقى السلبيات التـى قـد تفرزهـا هـذه المناطق .

ولقد حاولت الولايات المتحدة الامريكية من خلال برامج القضـاء على الفقر أن تواجه فى الوقت نفسه مشـكلة المنـاطق المتخلفـة ، سـواء عن طريق تحسين ظروف العمل ، أو منـح المسـاعدات أو الدعـم الـلازم لتطوير المدن ، والقضاء على ظاهرة المنـاطق المتخلفـة فيهـا ، أو ظـاهرة سـكنى الحجـرة الواحـدة ، والتكـدس السـكانى ، والتدهـور البيئـى والسكنى ، وقد امتد هذا المشـروع إلى كثـير مـن المنـاطق الحضريـة فـى الولايات المتحدة ، مثال ذلك مدينه كاليفورنيا [2] .

وقد قاومت الحكومـة الأمريكيـة تفشـى ظـاهرة الأميـة والبطالـة وتدهور الصحة العامة لسكان المناطق الفقيرة المتخلفة ، بكـل مـا تملـك

---

(1) Sivaramakishnan K.C and green Leslie . Iimproving shelter Delivery System : Housing an Urban Priorty . Systems . Housing finance . An Urban Priorty" . the Urban Edge issues & innovatiuons . Vol. 10. No. 8 October , 1986. P. 1.

(2) Kahn, Alfred J., "Studies in Social Policy and Planning. The Anti-Poverty was as a Social Strategy : Problem focused planning on a National Level" New York. 1969. P. 10.

من جهود مادية وتكنولوجية واجتماعية ، وخاصه للهنود العاملين بالمزارع ، وكذلك اهتمت بالأطفال الذين يعملون فى سن صغيرة وشجعتهم على التعليم ، كما اهتمت بتطوير الخدمات وخلق فرص عمل للشباب ، وتشجيع الصناعات اليدوية المنزلية كمشروع قومى لمقاومة انحراف الشباب ، وأسست نظاما خاصا بالتأمينات الاجتماعية لهم ، وتقديم العون المالى ، والخبرة الفنية للقضاء على الفقر والبطالة ، كما قامت بتسويق منتجاتهم وتشجيعهم على العمل ، ووضعت قوانين للمساعدات الاجتماعية للفقراء وكبار السن والعاجزين صحيا عن العمل، محاولة منها للإرتقاء بالمستوى الاجتماعى ، والاقتصادى لسكان الأحياء المتخلفة [1] .

وهناك نموذج آخر للأحياء المتخلفة فى جنوب برونكس South Bsronx ، وفى مدينه نيويورك ، حيث توجد فيها المساكن القديمه المهجورة من قبل السكان الأصليين . ويأوى فيها الفقراء ويكثر بها المجرمون والخارجون على القانون والمدمنون وغير ذلك من الأوبئة الاجتماعية مثل الجهل والفقر والمرض [2] .

ونموذج آخر للمساكن العشوائية فى بنانا كيلى Banana kelly

---

(1) Ibid , PP . 160- 161

(2) Ibid , P . 45.

وهى توجد على شكل قوس فى مدينه برونكس ، وتسمى (كيلى ستريت) ، وهى عبارة عن وحدات متجاورة من المساكن العشوائية ، وعددها (٦٥٠) ، وقد بنيت ١٩٧٨ ، ويقيم فيها أكثر من (٣٠عائلة ممتدة) وعددهم (٣ مليون نسمة) ، وتتشكل هذه المساكن كنواه لها عدة أذرع فى كل الجهات ، وتتفشى فيها الأمية والفقر والبطالة ، ويواجهون كل تجديد ، أو تحسين من قبل الحكومة بالمقاومة . وقد حاولت الدولة وضع برامج ومشروعات لتزويدهم بالمساكن اللائقة مزودة بالخدمات الحضرية اللازمة ، لكن هذه المحاولات ووجهت بالفشل ، حيث نجد الترابط شديدا بينهم ، ويسود النظام والقيادات غير الرسمية كما نجد ترابطا بين أصحاب المهنة الواحدة مع بعضهم ، على الرغم أنهم من ذوى الدخول المنخفضه والفقراء [1] .

وفى الوقت الحاضر ، تبذل الحكومة أقصى الجهود للقضاء على هذه الظاهره السيئة وحماية العائلات التى تعيش بدون مأوى ، ولكنها تواجه دائما بالتصدى لهذه الجهود ، حيث التماسك والترابط الشديد بين هولاء الذين يعيشون فى الدرك الأسفل من حياة المدن ،

---

(1) Upchurch E.James "Cooperative Housing foundation" , U.S., U.K., Seif - Help key in Housing poor , south Bronx Rehabition "The Urban Edge, issuesf innovations. Vol. 13, No. 10, December. Papers published the world bank. washington. U.S.A. 1989 . PP. 4-5 .

وذلك لتقارب المهن والمستوى التعليمى بينهم . وينتشر بينهـم العـاطلون والمدمنون ومروجو المخدرات، ومساكنه عباره عن ألـواح مـن الصفيـح أو الخشب أو بقايـا المخلفـات الحضرية وهـى منـاطق مهجـورة مـن قبـل أصحابها ، وبمقارنة ذلك بمدينة نيويورك نجد فارقا كبيراً ومتباينا بين المجتمعين ، ويرى مستر أوبتوفيلد Mr.Obatfeld أنه لـو قـام تعـاون بين هولاء وبين الأجهزه الحكومية ، لاستطاعوا أن يحولوا هذه المساكن المؤقتة إلى مساكن جيدة ودائمة وصحية . وقـد شـكلت الحكومـة نظامـا تأمينيا صالحا لحمايه هؤلاء من التشرد والاجرام وهو يوجههم الوجهـة السليمه لاستغلال قدراتهم ، وقد حققـت الكثـير مـن النجـاح فـى هـذا المجال [1] ، وقد تحسنت أحوال وظروف الكثـير منهـم ممـن يريـدون تغيـير حيـاتهم ، وزودتهـم بـالعديد مـن المسـاكن المخدومـة وتحسـنت بيئتهم الفيزيقية .

---

(1) Ibid. P. 5.

أنظر فى ذلك :

Mayo Stephen , Malpezzi Stephen , and Gross David . "solving or Compounding Housing problems?" . The Urban Edge issues & innovations . Papers published by the World. Bank washington . Vol. 11. No. 9 . 1987 P. 3 .

بالإضافة إلى ذلك يضيف ابرامس Abrams ، أن هناك اتجاهات معاكسة لذلك في بعض الدول الأخرى . حيث تتجاهل عمليات التنمية والتحديث المناطق المتخلفة من الناحية الإسكانية والخدمية ، مما يطبعها بالطابع المتخلف وإهمال الضواحي المجاورة للمدن والمحيطة بها ، وقد يسكنها ذوى الدخول المنخفضة ، وتكون مساكنهم رديئة ومتخلفة . ففى الغالب نجد المدينة تنقسم إلى ثلاثة أقسام قسم لذوى الدخول المرتفعة ، وقسم لمحدودى الدخل ، والثالث يسمى بحى الأعمال المركزى الذى توجد به المراكز التجارية والأعمال ، والوظائف والمكاتب الإدارية ، ويعيش فيه السكان الأصليون للمدينة . مثال لذلك مكسيكو سيتى ودلهى وكلكتا وسنغافورة Micio City, Delhi. Calcuttas, Singapora وهناك مناطق تندر فيها الخدمات مثل المياة النقية والصرف الصحى . مثال لذلك فى هونج كونج واليابان[1] .

وفى اليابان ، ترتفع الكثافة السكانية فى المناطق الحضرية ، وقد يفترش الناس الأرصفة للنوم فى الأماكن العامة ، وبعض الأسر

---

(1) Emes Edwin . and Goode Granich. "Urban poverty in a Gross - Cultural Context" . Printed in the united states of America 1973 . p. 170 .

تعيش ، وتطهو طعامها ويأكلوه أفرادها ويقضون حياتهم على الأرصفة أو يستأجرون مداخل العمارات السكنية للسكن فيها ، مما يؤدى إلى انتشار الأمراض المتوطنة ، وتفشى الجرائم والإنحراف [1] . على الرغم من التقدم العلمى والتكنولوجى الذى وصلت اليه اليابان ، والرفاهية التى تعيشها ، إلا أنه توجد بها أحياء متخلفة ، يسكنها ذوى الدخول المنخفضة . وتوجد هذه المناطق على التحديد فى مدينة طوكيو Tokyo .

وتجدها ما يشبه ذلك فى بوتسوانا Botswana وضواحى المدن الفرنسية ، فقد حاولت حكومة بوتسوانا بذل الجهود للقضاء على ظاهرة المناطق المتخلفة فى المراكز الحضرية ، وتشجيع ساكنيها على تطوير الصناعات اليدوية ، وتحسين أوضاعهم الاجتماعية ، والاقتصادية والسكنية منذ عام ١٩٨٥. أما فى ضواحى المدن الفرنسية، وبالتحديد فى Selebi-Phkwe ، وهى مناطق مخدومة ولكن مع بداية النمو الحضرى السريع الذى تعرضت له مؤخرا ، أدى إلى قصور فى المدارس ، وعدم تمهيد الطرق ، وعدم تنقية المياة ، وقصور فى الإمداد بالكهرباء ، ومراكز الصحة العامة ، والمراكز الاجتماعية وعدم إمكان تطويرها ، واستيعابها

(1) Ibid, P. 170 .

لهذا النمو [1] .

وفى انجلترا نجد نموذجـا آخـر فـى بوتـن Button ففـى عـام ١٩٧٨ وجد أن العمال غير المهرة ونصف المهرة يتركون المدينة القديمة، هربا منها إلى مناطق هامشـية علـى أطـراف المدينـة وهـى الضواحـى ، يتجمعون فيها على شكل جماعات وعائلات تبعا لمهنهم ، أو قرابتهـم وهى مناطق عشوائية متخلفة ، حيث رخص أثمـان المسـاكن ، وبعيـدا عن التمركز السكانى والإكتظـاظ فـى قلـب المدينـة ، وهربـا مـن بعـض التيارات السياسية والاقتصادية الموجـودة هنـاك ، ممـا أدى إلى ازديـاد معدلات البطالة والنمو السـكانى السـريع وقلـة الخدمـات الحضريـة ، وتراكم المشكلات الحضريـة ، وصعوبـة إيجـاد حلـول سـريعة للإرتقـاء بهذه المناطق فـى المـدن ومثـال لهـذه النمـاذج فـى المـدن مرسـى سـايد ومانشســتر وبرمنجـام وجلاســجو Merseysid, Manchester, Bumingham, Glasgow وهذا مـا أوصحـه هـارفى وهـال Harvy, Hall فى منتصف عام ١٩٦٠ [2] .

---

(1) Barret Richared, "Traing is a must in Growing Cities Human Resources = Avita Urban Investment" . The Urban Edge. issues & innovations, Papers published by The World Bank Washington, Vol. 12. Bo.2. Narch . 1988. p. 2.

(2) Bruce Walker, "Problems of Urban Structure changes, walfare Ecnomics and Urban problems, The Bilt Enveironment . Illustation" . Hutchinson & Co. Ltd, London, 1981, P. 260-262 .

وقد امتدت هذه الظاهرة وتشعبت فى مدينة لندن ، وقد جذبت إنتباه الكثير من اللجان الاستشارية ، الخاصة بالمدن الجديدة ، وذلك منذ عام ١٩٧٤. اتجهت إلى الاهتمام بالمناطق غير المخططة، وتشجيع ساكنيها على هجرتها إلى المناطق المخططة ، حيث التسهيلات الحضرية المتوفرة . وقد وضعت بعض الترتيبات الإدارية كهدف لتحقيق أكبر قدر من الخدمات والمرافق ، واقناع وجذب السكان وخاصة ساكنى الأحياء المتخلفة للإنتقال إلى المناطق الجديدة ، حيث وسائل الإتصال الحضرية ووسائل الترفيه ، ومحاولة القضاء على مركزية المدن حيث الوظائف والأعمال الإدارية الأساسية ، ونقلها إلى الأماكن والمناطق الجديدة المخططة [1] .

هذه النماذج فى دول العالم المتقدم ، ونجد ظاهرة الأحياء المتخلفة منها ذات سمات واضحة ، ونتعرض لبعض دول العالم الثالث لمعرفة مدى استفحال هذه الظاهرة فيها وآثارها المتعددة .

نماذج للمناطق المتخلفة فى دول العالم الثالث :

من المؤكد أن كثيرا من دول العالم الثالث ، توجد بها المناطق المتخلفة، وقد يرجع ذلك للظروف الاقتصادية والاجتماعية لهذه

(1) Lawless Paul. "The Decentralizers and / their Demise" Ibid. OP. Cit. PP. 223-225 .

الدول، إلى جانب النمو السكانى المضطرد ، دون ضوابط تحكم هذا النمو أو حتى تخطط وتضع البرامج ، والسياسات لضبط عملية التحضر الزائد . ومن الآثار الاجتماعية لهذا النمو وجود الأحياء العشوائية الطفيلية ، نتيجة عدم استيعاب هذه الدول لسرعة النمو وعدم قدرتها على تفاديه ، أو إيجاد الحلول الحاسمة له ، وسوف نتعرض لبعض النماذج فى دول العالم الثالث ، وما بذلته الحكومات من أجل القضاء على هذه الظاهرة فى ضوء إمكاناتها وظروفها الإقتصادية المتاحة .

ومن هذه النماذج بورتوريكو Puerto Rico فى أمريكا اللاتينية حيث نجد أنه فى المناطق المتخلفة يعيش سكانها على شكل جماعات يهربون من مجتمعهم الأصلى نتيجة للتكدس السكانى ، وقلة المتوفر من العمل ، ويتأثرون بظروفهم الاقتصادية والاجتماعية والأسرية ، فينتقلون على شكل عائلات وجماعات ويكونون لأنفسهم عرفا وقيما ، وثقافة خاصة بهم ، ويتميزون بسلوك خاص بهم [1] . وهم يعيشون فى ضواحى المدن ، بعيدا عن التمركز الحضرى فى قلب المدينة . وتعتبر أمريكا اللاتينية من كثير دول العالم الثالث تحضرا ، حيث نجد أنه فى عام ١٩٧٠ ما يقرب من (٣٨٪) من سكانها من جنوب ريوجراند

(1) Eanise, Edwin, "Coping Respones, Urban Poverty" ..Op., Cit., PP. 201 - 206 .

Rio Grand يعيشـون فـى المنـاطق المتخلفـة [١] . وترتفـع بهـا نسـب التحضر والنمو السكانى السريع ، هذا إلى جانب انخفاض دخل الفـرد القوى ، مما أدى الى تخلفها ، وانتشار المناطق المتخلفة بها .

أمـا فـــى المكسيـــك Mexico فـــى مدينـة بيــرتـوريكـــان PuertoRican فنجد سكان المنـاطق المتخلفـة فيهـا يعـانون مـن الفقـر وليس لديهم أى أمل فى تحسين أوضاعهم ، بـل لديهـم يـأس من الحكومة تحاول أن تهتم بتحسين النواحـى الاجتماعيـة والفيزيقيـة والاقتصادية لهم [٢] . وهذا ما يؤكده هايلان لويس Hylan Lewis فى مدينة مكسيكوسيتى حيث توجد الأحياء المتخلفة التى تفتقر إلى الميـاة النقية والكهرباء والصـرف الصحـى وغـيره مـن الخدمـات الضروريـة ، وسكان هذه الأحياء فقراء جدا ويعانون الكثـير مـن الأمـراض ويعيشـون على بقايا ومخلفات أبناء الطبقات العالية من مأكل وملبـس وغـيره مـن ضروريات الحياة ، ويقومون على خدمتهم [٣] .

ويناقش كونسولا سانشز Consuela Sonchez عمق العلاقـات والترابط الاجتماعى داخل المنـاطق المتخلفـة فـى كـل مـن بـاتش وليمـا

(1) Janet Abu Lughod, Ibid. Op., Cit., P. 81 .

(2) Kahn . J. Alfred . "Culture of poverty", Op. Cit, P. 17 .

(3) Edwin Ibid, Op. Cit. P. 194 .

وتسمى بالكانتا The quinta وهى عبارة عن تجمعات Patch Lima سكنية فى حارات ضيقة وتوجد أرصفة أمام المساكن بغرض الجلوس عليها ، ومساكنهم مبنية من الطوب الأحمر والأسمنت وأسقف صلبة ، نتيجة لتعاونهم بالجهود الذاتية فى بنائها ، وهى تعتبر فاخرة بالنسبة لهم ، بها تسهيلات وخدمات حضرية بسيطة ، وتصميماتها الداخلية غير منتظمة ، وتأثيثها فقير ، أما عن ملكيتهم للأرض فليس لهم أى حق قانونى ، أى عن طريق وضع اليد ، وهم من سكان الضواحى المحيطة بالمدن ، ويعيش سكانها على المهن الطفيلية والصناعات اليدوية والمنزلية، وكل أفراد الأسرة يعملون لكسب العيش، وتنتشر البطالة والأمية بشكل كبير بينهم ، وقد لاحظ لويس ارتباطهم بحى الأعمال المركزى فى مدينة برايس لابورت Bryce-Laporte كأساس جوهرى فى علاقاتهم ، ويتعاملون مع سكان المنطقة المتخلفة بسان جاسن San Jusn Slums لبناء مساكنهم ، ومن المعروف أن أى دراسة لمجتمع متخلف كما فى مانيلا، تواجه بمقاومة من قبل السكان، حتى إذا حاولت الحكومة القضاء على هذه المناطق ، وبناء مساكن جيدة وصحية لهم ، فإنهم يرفضون السكن بها ويزدادون تمسكا بمناطقهم وأسرهم[1]. على الرغم من الحياة الصعبة التى يعيشها هؤلاء،

(1) Eames . E. Ibid, Op. Cit. PP. 191 - 194 .

إلا أنهم يرفضون الجهود التنموية المبذولة من أجلهم .

وكذلك الحالة لظاهرة المناطق المتخلفة فى البرتغال ، حيث قامت الحكومة بتمويل مشروعات بناء الإسكان الجديد المنخفضة ، وسكان المناطق العشوائية ، وتزويدها بالمرافق والخدمات والأسواق والإمكانات المطلوبة ، وقد قامت الحكومة بتنظيم وإعداد الأدوات والآلات اللازمة لهذا المشروع ، وحتى تستطيع الحصول على أملاكها المرهونة عندهم بوضع اليد وقد اقتنع البنك الدولى بهذا المشروع وقام بتمويله وتدعيمه ، وتمويل الأنشطة الجديدة الخاصة بذوى الدخول المنخفضة لتلافى الأخطار والبطالة لديهم [1] .

ومن الأمثلة فى دول العالم الثالث الهند التى حاولت تزويد المناطق المتخلفة بالخدمات ، لسد إحتياجات قطاعات ضخمة من المناطق الحضرية ، لتحسين أوضاعها حيث يقطن بعضها أكثر من مائة ألف نسمة، وهذه المجهودات التى تبذل فى الهند لها ، تاريخ طويل، حيث تضع الحكومة أولوية للمناطق القديمة الضيقة ، ذات الجيوب المتخلفة منذ عام ١٩٧٩ لتطوير برامج التسهيلات الحضرية ، مستعينة فى ذلك ببرامج التنمية الحضرية التابعة لهيئة الأمم المتحدة United Nation (UNDPO)

(1) Sivara markrishanon K. G . , Ibid . OP . cit . P. 4

Development programme فـى (٢١) ولايـه قسـمها البنـك الدولى لتسـهيل عمليـات الـدارس وتحديـد الاحتياجـات اللازمـه لكـل ولاية [1] .

وفى كوريا نجـد دراسـه للنمـو الحضـرى Korea : A case study of Urban Growth وهى نموذج للدراسه الديناميكيه المعقدة، لتحضـر المنـاطق الحضريـة وتطويرهـا ، حيـث يبنـى البنـك الـدولى مشروعات فى خارج المدن فيها منـذ عـام ١٩٦٠ حيـث تتوفـر الأمـاكن الفضاء . ومـع مـرور الوقـت بـدأت تتطـور الصناعـات نحـو التحديـث ودخول الصناعات الجديدة ، ونمو المدن والمراكز الحضرية ، ممـا أدى إلى ارتفاع نسبة العمالة الانتاجية والتسويقية ، وحاولت الإكتفاء بوجود المدن الثانوية المجاورة لتسويق منتجاتها والعيش بها ، ولكن مع زيادة النمو الحضرى فيها ، إمتدت إلى خارج حدود المدن ، وارتفعت الكثافة السكانية فى المناطق الحضرية وأدى ذلك إلى تكدسـها ، وعجـزت عـن الارتفـاع بالمستوى الانتـاجى ليتـوازن مـع النمـو الحضـرى . وظهـرت البطالة فى مدن العواصم والمدن الصغيرة وهذه الظاهرة كانـت ملازمـة

---

(1) Paul Samuel , "community participation in develpment . India Implements , latrine program on large Scale : Low cost Options for Urban sanitation " . The Urban Edge . issuse & innovations . papers published by The World bank . vol. 11. No . December. Washington, 1987 . P. 1 .

للتقدم الاقتصادى والصناعى لكل من البرازيل وجمهورية كوريا ، مما أدى إلى العودة إلى الصناعات اليدوية خاصة وأن كوريا تتميز بالإنتاج الرفيع للصناعات اليدوية ، والأجور الزهيدة ، وقد أدى إلى ارتفاع نسبة الإنتاج بها ، ومنافسة الأسواق الأخرى وقد حاول البنك الدولى إقامة مشروع لتخطيط المناطق الجديدة الفضاء ، للخروج عن النظام القديم والتخطيط لها ، وقد وضع عدة نقاط أساسية لهذه الخطة يمكن إيجازها فيما يلى [1] :

١- وضع استراتيجية لتخطيط هذه المناطق ، والاعتماد على الإقتصاد الموجه، وتلافى وجود أى عملية ضد التحضر أو تعوق عمليات التنمية، أو تؤدى إلى ظهور الأحياء الحضرية المتخلفة فى المدن .

٢- الاهتمام بالأنشطة الإقتصادية للسكان كأساس هام لبناء المدن ، بعيدا عن التمركز السكانى والمناطق المكدسة .

٣- التوازن الحضرى وذلك وعن طريق مقابلة الكثافة السكانية المرتفعة بالتنمية وهى أحد العوامل الهامة فى وضع السياسات والبرامج لحل المشكلات الأساسية مثل (الاحتقان المرورى – التكدس

---

(1) Castrillo. R. Ocampo Jose. Lapaz, Bolivia. "The Growth Is - of Cities : Terms and Concepts" . The Urban Edge. sues & innovations. Papers Published by The World Bank. Vol. 10. No. 7. Agust / Septmber Washington., U.S.A., 1986. p. 7 .

السكنى – التلوث البيئى) ومحاولة الحد من النمو السكانى السريع، الذى يعوق عمليات التنمية .

أما فى سول وبوشيان Pushean , Soeul فكان الامتداد الحضرى والتكدس السكانى فى المدن أمرا أدى إلى تكوين أقطاب نمو فى المدن الجديدة . ورأت السلطات المحلية والمهتمين بالسياسة الاقتصادية والأعمال التجارية أنه لابد من وضع استيراتيجية للسيطرة على المواقع الصناعية فى المدن الجديدة ، وخاصة بالنسبة لتزايد السكان الحضريين فى المدن ، وارتفاع نسبة البطالة بينهم وتزايد ذوى الدخول المنخفضة والفقراء ، وكان الاهتمام منصبا على تواجد المناطق المتخلفة المكدسة بالسكان والصناعات ، وخططت لتزويدها بالخدمات والمرافق ، والتسهيلات الحضرية ، والطرق والمدارس والمساكن[1] .... إلى غير ذلك .

وهناك نموذج آخر فى تايلاند Thailand أشار اليه مستر لى Mr. Lee فيقول أن قلب المدينة أصبح شيئا سيئا للغاية حيث التلوث الهوائى الناتج عن الصناعات والإحتقان المرورى ، والتكدس السكانى ، وتمركز المكاتب والوظائف الإدارية ، وقد حاولت المجالس المحلية

---

(1) Andrew Hamer, "New Fouce For Sptail Planning, The Challenge of Urban Grwoth" , Ibid., Op. Cit., P. 7.

تبنى هذه القضية وجـذب السكان خـارج المدينـة والى المـدن الصناعيـة الجديدة ، ونقل المكاتب الإدارية والوظائف الإدارية إلى خارج المدينة ، واتباع سياسة التهريب والترهيب لجذب هؤلاء السـكان ، فـى محاولـة لامتصـاص معـدلات التمركـز السـكانى بهـا ، وتلافـى السـلبيات والمشكلات الناتجة عن النمو الحضرى الحادث للمدن ، وخلق وظـائف جديدة فى المدن ، لتخفيف حدة الضغط على المدينـة القديمـة ، ونقـل الأسواق إلى الضواحى الجديدة وتقديـم المرافـق والخدمـات والتيسـيرات والاحتياجـات اللازمـة لذلـك ، وتطـور العمليـات الصناعيـة فيهـا . وتتضمن هذه المحاولـة مقاومـة المنـاطق المتخلفـة الموجـودة فـى المدينـة القديمة ، والتخلـص منهـا بجـذب السكان إلى الضواحـى كمـا تسـعى لتلافى عمليات الفقر والبطالة والأمراض الاجتماعية الأخرى [1] .

وفى كينيا وبالتحديد فى العاصمة نـيروبى Nairobi تم تزويـد فقراء الحضر Urban Poor بالمياة النقية للشرب ، والصرف الصحـى، وميـاة الـرى لتحسـين الأوضـاع السـكانية والاجتماعيـة ، خاصـة بعـد التلوث البيئى للأنهار ، وأدت هـذه إلى الـبرامج زيـادة ديونهـا للبنـك

---

(1) Siklee Kyu, "Decentralization on Trends of Employment Location and Spatial Policies in L.D.C . cities ' . urban stuudies , paper by The World Bank . Ibid . P.4

الدولى بمقدار (٦٤,٨) مليون دوﻻر ، وتم الحفاظ على المياه والصرف الصحى بواسطة لجنة مختصة كما إهتمت بمنطقه ثيكاريفر Thika river ، وتنقية مياهها وتمهيد الطرق ، وتحسين المواصلات ، وتطهير القنوات، وتوفير الاحتياجات الضرورية ، بلاضافه إلى الامتداد والنمو الحضرى ، وتوزيع السكان واحلال المساكن الجديده بدلا من القديمه المتهالكة ، وتقديم العون والتسهيلات الحضرية لذوى الدخول المنخفضة ، واللازمة لسكان المناطق المتخلفة [1]

وفى روندا Rwanda قامت الحكومة بمحاولة لتحسين المدن المركزيه والفرعية فى العاصمه كيجالى Kigal ، وسبعه مدن أخرى ، وقد وفر البنك الدولى قروضا تقدر بحوالى (٦٦ مليون) دولار من أجل تحسين الخدمات والتسهيلات الحضرية هناك وخاصة فى المناطق المتخلفة حيث يسكن الحرفيون والمهرة ، وأصحاب الأعمال الصغيرة الأخرى [2] .

وفى الدوريت El-Doret حدث نمو حضرى سريع فى العاصمة المركزية ، وتضاعف السكان فى إثنى عشر عاما من (٤٠ألف) نسمة

---

(1) Upchur ch james .e " Cooperative Housing foundation , ibid . Op . Cit. P . 7

(2) Ibid ,. , P . 7



إلى (١٢٠ألف) نسمة . مما أحدث خللا فى الاوضاع الاسكانية والاقتصادية والاجتماعية ، ونجد ثلث سكان المدينة يعيشون فى مساكن مؤقتة ، وعشش فى المناطق المتخلفة ، وقد حاول البنك الدولى وضع برنامج عام ١٩٨٣ .

وتم تصنيف المناطق المتخلفه إلى ثلاثة أنماط ، وذلك للنهوض بها تدريجيا من حيث البيئة الفيزيقية والخدمات والاسكان . ولكن مع تعقد أوضاع المدينة أصبحت مشكلاتها الاجتماعية والاقتصادية معقدة ، مما أعاق هذه البرامج ، وأدى إلى تزايد المناطق العشوائية المتخلفة بها[1] .

وفى لاجوس يعيش (١٠) الاف نسمة من الفقراء فى المناطق المتخلفة ، ومساكنها قذره ، ومبنية من النفايات . وتعانى من ندرة المياه النقية وإرتفاع ثمنها وتهالك مرافقها وقله مواصلاتها ورداءتها وقد يتبنى البنك الدولى هذا المشروع ووفر قدر الامكان الخدمات اللازمة والوحدات السكنية والمياه النقية ، وإضاءة الشوارع ، وإعادة تنظيم الوحدات السكنية وتأجيرها للفقراء ، وتحسين مساكن المناطق الرئيسية

---

(1) Soliman Ahamed M.: "Kenyan Town TriesThree Methods in drive to Improving Housing ". The Urban Edge . Issues & innovations , papers published by The World Bank Washington , Vol : 1. No . 8 . October 1987 , PP. 4-5

لتصبح مناطق جذب للسكان ، للبعد عن المناطق المتخلفة [١].

وفى دولة أخرى من دول العالم الثالث وهى زمبابوى Zimbabwe أنفقت الحكومة ما يقرب من (٥٨٠) مليون دولار لتحسين المناطق المتخلفة فى (٢١) مدينة بها قطاعات شعبية ، وفقيرة الخدمات والمرافق الإسكانية لخدمة (٥٠٠) ألف نسمة ، أى أكثر من (٥٠٪) من سكانها ، الذين يعيشون تحت مستوى الفقر ، وكذلك الحال فى تونس Tunisia نجد أنها تنفق حوالى (٢٠٠) مليون دولار فى مثل هذه المشروعات ، وقد تم وضع قوانين لتنظيم هذه المشروعات فى كل أنحاء الدولة ووضع سياسات للإسكان والخدمات والمرافق ، والمناطق التى تنتشر بها العشش والأكواخ [٢].

وفى دراسة ميدانية لسكان منطقة الصنادق بالرياض بالمملكة العربية السعودية ، شملت (١٦) حيا تضم (٣٤٩٤) صندقة أو مسكن متخلف ، وقد استخلص الباحثون من هذه الدراسة ما يلى :

١- ان مجتمع الصنادق يكاد يختلف كليا عن مجتمع المملكة فى كثير

---

(1) Ibid., P. 6 .

(2) Payne Geoifrey, "Informal Housing and land Sub-divisions in Third World Cities" A Review of literature, the urban Edge issues & innovations . Papers published by the World Bank. U.S.A. Vol. 13. No. 7 August-September. 1989 . pp.

من خصائصه ، ومن مظاهر ذلك الاختلاط بين الرجال والنساء غير المحارم ، وعدم الاهتمام بالحجاب ، وعدم توفر الحرمة الواجبة للمسكن ، حيث أن الفواصل الخشبية التى تفصل الوحدات السكنية عن بعضها غير مرتفعة مما لايتيح الحفاظ على أسرار الأسر وعلاقاتها .

٢- أن غالبية سكان الصناديق نازحون من مجتمعات متباينة ، لاتجمعهم وحدة العادات والتقاليد ، ولايخضعون للضبط الاجتماعى ، نظرا لعدم إنتمائهم لقبائل معروفة .

٣- هذه الصناديق لاتتوفر بها المرافق الضرورية كالإضاءة الكهربائية ومياه الشرب والمطابخ ، كما أن السكان يقضون حاجاتهم حول الصنادق ، ويلقون بمخلفاتهم فى الطرقات .

٤- يتكون عدد غير قليل من الصنادق من غرفة واحدة تستخدم لاستقبال الزائرين والأكل والنوم لجميع أفراد الأسرة صغاراً وكباراً ، كما تربى فيها الأغنام والماشية .

٥- تتراوح مساحة الصندقة الواحدة بين (٩) أمتار مربعة ، (٣٠) مترا مربعا وتحتفظ كل صندقة خلفها أو أمامها أو بجانبها بحوش أو فناء تتراوح مساحته بين (١٢-٥٠) مترا مربعا ، وفى بعض الحالات يتجمع عدد غير قليل من الصنادق داخل حوش واحد ،

بحيث تقيم فى كل صندقه أسرة مستقلة ، ويشترك الجميع فى نفس الحوش ، وقد تربط المقيمين داخل هذا الحوش رابطة قرابة أو انتماء إلى قرية أو ديره واحدة وفدوا منها .

٦- يقيم معظم السكان فى صنادق يمتلكونها ، وبعضهم يقيمون فى صنادق يستأجرونها ، ومعظمهم يملكونها .

٧- تعتمد جميع الصنادق فى بنائها على الأخشاب وألواح الصاج وبعض المخلفات الأخرى مثل هياكل السيارات القديمة ، ولاتحتوى هذه الصنادق على أثاث يذكر . والقليل منها يحتوى على بعض الأجهزة كمواقد البوتاجاز والتليفزيون .

٨- بعض الصنادق مقسمة من الداخل بفواصل خشبية لاستخدامها فى أكثر من غرض مثل استخدامها كبقالات متواضعة وغير نظيفة [١].

ونتيجة لازدياد العمران وارتفاع أسعار الأراضى ، فقد أخذ أصحاب الأرض فى تقسيم أراضيهم وبيعها أو لبناء المنشآت عليها ، وبالتالى تخلصت التجمعات الكبيرة من الصنادق وتحولت إلى تجمعات صغيرة وسط المبانى الجديدة ، وإزدادت حركة التنقل بين ساكنى هذه الصنادق من مكان لآخر ، وأخذوا يستقرون تباعا فى أراض مملوكة

---

(١) ابراهيم خليفة – علم الاجتماع والمدينة ، المكتب الجامعى الحديث ، الاسكندرية ، ١٩٨٣ ، ص ص ٧٨-٨١.

للدولة ، وتقع غالباً فى أطراف المدينة [1] .

نماذج للمناطق المتخلفة فى مصر :

أجريت دراسات عديدة على المناطق المتخلفة فـى مصـر ، ففـى مدينة القاهرة مثلا كـان الدافـع الأساسـى لبحـث هـذه الظـاهرة ، هـو الوضع المتردى لغالبية أحياء القاهرة الشعبية سواء القديم منها كبولاق، والسيدة زينب والخليفة ، وباب الشعرية ، أو الناشىء حديثا ، والذى واكب التحولات الاقتصادية والسياسية والاجتماعيـة للمجتمـع المصـرى منذ بداية الخمسينات مثل شبرا الخيمة ومسطرد وحلوان ، وغيرها مـن الأحياء والمناطق الهامشية على أطراف العاصمة ، كما كان هـدف هـذه الدراسات هو معرفـة النواحـى الديموجرافيـة والثقافيـة والاقتصاديـة ، وتحليل متغيبات هذه الجوانب فى إطار علمى ، وتحليل قضايا التنمية الحضرية المحلية ، والكشف عن الثغـرات والأخطـاء التـى تؤثـر علـى فاعلية مشروعاتها ودراسة طبيعة المسكن ، ومقتضياتـه والتنـوع المهنـى والحرفى ، والدخل ومصادره واتفاقـه ، ونسـق التعليـم ، ونسـق القيـم السـائدة ، وطبيعـة بنـاء القـوة ، وأشـكال القيـادة وأهـم خصائصهـا ، والجماعات العرقية الموجودة، والتكيف الثقافى ، والمشاركة السياسية،

---

(١) المرجع السابق ، ص ٨٢ .

والجرائم والإنحرافات المنتشرة من حيث طبيعتها ونوعيتها وحجمها[1] .

والمجتمع المصرى ، كغيره من المجتمعات ، متخم بمثل هذه الأنماط بمدنه وقراه على حد سواء ، فمنه ما يمثل ثقافة نوعية تكاد تكون مغلقة على أبنائها ، والبعض الآخر لاينفتح بقدر ما يتقوقع فيزيقيا داخل منطقة ما ، فقد اتجهت أعداد كبيرة من السكان صوب المقابر بمدينة القاهرة ، لتسكنها بشكل دائم ومستقر ، وتتعامل فيزيقيا واقتصاديا واجتماعيا كأى نمط سكنى آخر وهذه الظاهرة لسكنى المقابر، قد انبثقت عن عملية النمو الحضرى المشوه ، الذى تتسم به مدينة القاهرة ، والذى نجم عنه تضخم حضرى ، زادت حدته بتفاقم مشكلة الإسكان ، فضلاً عن التدهور الحاد الذى أصاب مقومات البيئة الحضرية . وفى دراسة لسكان المقابر درست متغيرات مختلفة مثل المسكن والعمل والمهنة ، والدخل والتعليم ونسق القيم ، والاتجاهات ،

---

(١) صلاح بسيونى ، الملامح الاجتماعية والثقافية لسكان المناطق المتخلفة بمدينة القاهرة، دراسة ميدانية مقارنة، الكتاب السنوى لعلم الاجتماع، العدد الثانى، اشراف / محمد الجوهرى - دار المعارف عام ١٩٨١ ، ص ص ٤٨١ - ٤٨٢ .
وانظر كذلك :

Akin Jonn, Redirecting Resources to meet the need of poor finding New ways to finance health care., papers published by The World Bank , U.S.A. Vol. 11, No. 7. 1987. P. 3 .

والثقافة النوعية ، والمشاركة السياسية ، والجريمة والانحراف ، والخدمات والمرافق [1] .

وتعتبر هذه الظاهرة فريدة من نوعها فى العالم ، فى أن يعيش الأحياء والأموات فى مكان واحد ، ومن الدوافع التى أدت إلى هذا النوع من النمط السكنى فى المقابر :

١- الهجرة من الريف إلى المدينة وصعوبة الحصول على مسكن .

٢- الإكتظاظ السكنى بالقاهرة ، ومشكلات الإسكان وتهدم المساكن القديمة .

٣- البطالة مع وجود أنماط معينة للعمل بالمقابر .

٤- ضآلة مستوى الدخل وتدنى مستويات الحياة .

٥- الجريمة وصور الانحراف ، والمقابر كمكان للاختباء [2] .

ولم يؤثر التضخم الحضرى على تناقض بناء المدينة فحسب ، وإنما أثر أيضاً على شكل إمتدادها ، حيث إتسم هذا الامتداد بالعشوائية ، فلم تشهد المدن فى البلاد النامية نمواً تنظيمياً ، ولا

---

(١) محمود الكردى ، سكان المقابر بمدينة القاهرة ، دراسة اجتماعية ميدانية ، الكتاب السنوى لعلم الاجتماع ، العدد ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٤ ، ص ص ١٧ - ٣٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٧ - ٦٢ .

أشكال منتظمة من التخطيط . وترتب على ذلك أن أخذت المدنية تمتد لتكون على أطرافها وقلبها أحياء طفيلية Parasitic ولايعود نموها المتضخم بفائدة ملموسة على الإقتصاد القومى ككل ، ولقد أكدت الدراسات التى أجريت على الهجرة فى مدينة القاهرة هذه النتيجة . فقد ذهب بيترسون Peterson إلى أن المهاجرين القادمين إلى مدينة القاهرة ، يستقرون على الحدود الريفية الحضرية للمدينة ، بدون اختلاط بالأحياء الداخلية المزدحمة يميلون إلى الاستقرار بجوار أقاربهم، لحصولهم على عمل ، أو مهنة ، أو مسكن فى نفس المنطقة، ويتركزون على أطراف المدينة ، فى المناطق ذات الطابع الريفى مثل شبرا ، والشرابية ومصر القديمة ، وبولاق والوايلى ، وباب الشعرية[1].

وأكدت بعض نتائج دراسة ظاهرة التحضر وآثارها الهجرة على مدينة القاهرة فى بنائها الاجتماعى وعلى أماكن الطرد كما يلى :

١- ضغط السكان على الخدمات الضرورية للحياة فى القاهرة .

٢- ظهور المناطق المتخلفة التى تفتقر إلى الخدمات الحضرية

٣- تغاير كثافة الأقسام الإدارية بمدينة القاهرة .

---

(١) أحمد زايد ، ظاهرة سكنى المقابر فى مدينة القاهرة بين نظرية التضخم الحضرى والتحليل التاريخى البنائى ، الكتاب السنوى لعلم الاجتماع ، العدد الثالث ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٢ ، ص ص ١٠٧ - ١١١ .

٤- ظهور الجيوب الريفية بها ، التى قد تحمى المهاجر من الصدمة الحضارية وتقدم له بديلا عن المناطق التى قدم منها حتي يستطيع التكيف معها .

٥- تذهب الدراسة إلى أن الهجرة الريفية الحضرية تبدو إيجابية بالنسبة للريف [1] .

ولقد نمت مدينة القاهرة نموا سكانيا حادا منذ بداية الستينات حتى أصبح تعداداها (٦ مليون نسمة) عام ١٩٧٤ أى بمعدل زيادة (٣٥٠ ألف نسمة) سنويا . فضلا عن الأعداد الضخمة التى تتدفق عليها من المحافظات الأخرى ، واستقرار بعضهم على الحدود الإدارية للمدينة ، وحدوث الامتداد العشوائى وظهور المناطق الطفيلية على أطراف المدينة ، دون تخطيط عمرانى ، وليس ثمة محاولة فعالة للحد من نمو المدينة وإن تم إنشاء بعض المدن التوابع ولكن ليس هناك حلا جذريا لهذه الظاهرة [2] .

---

(١) عزت حجازى ، القاهرة : دارسة فى ظاهرة التحضر ، عبد الباسط عبد المعطى وآخرون السكان والمجتمع ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٨٧ ، ص ص ٣٥٩ - ٣٦١ .

(٢) المجالس القومية المتخصصة ، تقرير المجلس القومى للخدمات والتنمية الاجتماعية ، الكتاب رقم ٢١٤ ، الدورة السابعة سبتمبر ، يونية ، ١٩٨٦- ١٩٨٧ ، ص ٦٤ .
رجعت إلى : ==

وفى دراسة أخرى عن جـامعى القمامـة بالقـاهرة للتعـرف علـى العوامـل التـى تصـاحب تهميـش هـذا المجتمـع المحلـى مـن الوجهـة الأيكولوجية والاقتصادية والاجتماعية وأثر التهميش الحضرى عليها .

وهناك تقارير للأمم المتحدة توضح العلاقة بين الفقـر والهامشيـة الحضرية تؤكد أن ثمة علاقة موجبة بينهما ، وقد أوضحت هولينستنير Höllnsteiner فى مقالها عن الخدمات الأساسية لأطفـال الفقـراء فـى الحضر فى الدول النامية . أن الأطفال فـى الأحيـاء المتخلفـة يواجهـون الحرمان الدائم ، فمـع الفقـر والإكتظـاظ السـكنى ، وإنعـدام الخدمـات الصحية والتعليمية ، وإزدياد معدلات الهجرة وتكون الجيوب الكـبرى من فقراء الحضـر ، ووجـود الفجـوة الهائلـة بـين المخطـط الحضـرى ، وسـكان هـذه الأحيـاء، الأمـر الـذى يسـتلزم اسـتخدام مدخـل متعــدد الأبعاد، يتضمن تقديم خدمات فـى مجـال رعايـة الأمومـة والطفولـة ، وتنظيم الأسرة وتوفير الغذاء ، والتكنولوجيا المناسبة لهـم ، فضـلا عـن تبصير الناس بضرورة المشاركة في تنمية مجتمعهم المحلى [1] .

= Kerr Malcom H. And El Sayed Yassin, Rich and poor States in the Middle East, Egypt and New Arab order edited Cairo Press Ehyly . 1982, PP. 10 - 12 .

(١) ثروت إسحق عبد الملـك ، الهامشـية الحضريـة ، دراسـة عـن أحيـاء جـامعى القمامة بمدينة القاهرة ، الكتـاب السـنوى لعلـم الاجتمـاع ، العـدد السـابع ، إشراف / محمد الجوهرى ، دار المعارف القاهرة، عام ١٩٨٤ ، ص ص ٤٧ .=

بالإضافة إلى ذلك ، فإن مدينة القاهرة تعتبر العاصمة أو المدينة ذات المناطق الإشعاعية ، والتى تسمى الميتروبوليتان Metropolitan وهى مدينة مركزية ، وهناك تبادل فى الوظائف والعلاقات بينها وبين المناطق المجاورة لها . وهى تمارس نوعا من السيطرة السياسية ، والاقتصادية والثقافية والاجتماعية ، وتتفاعل معها عبر شبكة من العلاقات المتبادلة [1] . ومن هنا فتحتاج المناطق الموجودة فى مثل هذه المدن إلى خطط تنموية شاملة وخاصة التى بها مناطق مثل مناطق جامعى القمامة ، أو ساكنى القبور أو غيرها من المناطق المحيطة بها ، ووضع برامج وسياسات خاصة بها ، لتجنب الأمراض الاجتماعية التى قد تنجم عن هذه المناطق المتخلفة فضلا عن وجود مناطق أخرى قديمة كافية للتخلف الحضرى بالمدينة .

وفى دراسة أخرى لمدينة كبيرة كمدينة الاسكندرية ووجود المناطق المتخلفة بها على سبيل المثال مناطق السيالة وبوالينو وأبو

= وانظر كذلك :

Ferrant Davidde, Financing Health Services in Developing Countries : An Agenda for Reform World Bank polic study Disease , Malnutrition inclty slums . Health care and the urban poor , The urban Edge , Papers published by the world bank issues & innovations , Vol. 4, No. 7 Washington 1987 , p. 5.

(١) عبد الهادى والى ، التخطيط الحضرى ، مرجع سابق ، ص ١٥ .

النواتير أشارت الدراسة إلى تزايد المناطق المتخلفة وأخذها إتجاها طردياً مع تزايد ارتفاع المستوى الاجتماعى والاهتمام بطبيعة البناء الاجتماعى والفيزيقى المتخلف ، وإحتمال تزايد معدلات المشاركة من هذا النوع طرديا مع حدوث تحولات فى الواقع الاجتماعى للمناطق المتخلفة واحتمال وجود علاقة بين المتغيرين [١] .

ونجد أن هناك وعيا متزايد بقصور فى الإمداد ببعض التسهيلات الضرورية للحياة الحضرية ، وهناك عدم توازن بين معدلات النمو فى المدينة ، وبين كفاءة الإمداد بالخدمات والتيسيرات الضرورية مما يعوق عملية التنمية الحضرية [٢] .

وفى دراسة لمدينة الاسماعيلية التى يسكنها حوالى (٢٥٠) ألف نسمة ، والتى تم اخلاؤها أثناء الحرب مع اسرائيل هى ومنطقة السويس لمدة سبع سنوات ، وقد تم إعادة بنائها مرة أخرى وقد قررت الحكومة بناءها بعد ذلك متبعة الأسلوب الحضرى الجديد ، وكإحدى مدن العالم الثالث ، إكتظت بالسكان بعد بنائها مباشرة ، وقد احتلت بعض المناطق عن طريق وضع اليد مثل حى السلام وأبو عطوه من جانب الوافدين إلى المدينة . وأصبحت هذه المناطق مأوى للفقراء ، وهى

---

(١) عبد الهادى والى ، التنمية والتخلف ، مرجع سابق ،ص ص ٢ ، ٤ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٣٦٣ .

تفتقر إلى الخدمات والمرافق ، وقد إحتلو المناطق الحكومية ، وأقاموا عليها عششا وأكواخاً ، على الرغم من تواجد مساكن يمكن السكن بها، لكنهم بدءوا خط الفقر وساروا فيه ، ونجد أى خطة تتبناها الحكومة لتحسين هذه المناطق تفرز مناطق أخرى من العشش التى يسكنها فقراء الحضر ، وذوى الدخول المنخفضة ، والطفيليين ، والخارجين على القانون ، وقد أقيمت العديد من المشروعات لتحسين هذه المناطق للنهوض بالمساكن والخدمات والمرافق والتسهيلات الحضرية بها ، لكن دون جدوى [1] .

وهناك العديد من النماذج المدروسة للمناطق المتخلفة فى مصر مثل مدينة المنيا وهناك دراسة أخرى لمدينة الفيوم ، ركزت على دراسة هذه الظاهرة المتفشية الناتجة عن النمو الحضرى غير المتوازن .

---

(1) Koepple barbara . "Annual awards focus on Innovative Housing The Urban Edge. issues & innovations , papers published by The World Bank , Vol. 13. No. 9. November 1989, P. 1 .

أنظر

– أحمد رأفت عبد الجواد ، وآخرون ، مجلة تنمية المجتمع ، مرجع سابق .

– رأفت محمد جلال أحمد ، دراسة عن اتجاهات المواطنين نحو الجهود التنظيمية لتنمية مجتمعات الضواحى ، المؤتمر العلمى الثانى لكلية الخدمة الاجتماعية ، جامعة القاهرة ٤–٥ ابريل ١٩٨٩ .

ويمكن تحديد السمات المميزة للمناطق المتخلفة فى مصر كما يلى :

١- عدم توافر الاسكان الملائم ، وارتفاع التكلفة والقيمة الايجارية بالمقارنة بمتوسط دخل الأسرة .

ومع تعدد أشكال الأحياء المتخلفة وتنوعها ، إلا أنها جميعاً تكتشف كوحدة إيكولوجية متميزه ، عن بعض الخصائص العامة أهمها :

١- تدنى المظهر الفيزيقى الذى تتجسد فيه الفوضى وعدم النظام فى التوزيع المكانى للمنشآت والمبانى والطرقات .

٢- إنخفاض المكانة الاقتصادية للسكان إلى جانب إحتوائها على أعداد كبيرة من العاطلين .

٣- إرتفاع معدلات التزاحم الذى يتسجد ، إما فى إزدحام المكان بالمبانى والمنشآت ، أو ازدحام المبانى بالسكان .

٤- العزلة الاجتماعية والثقافية ، إذ أن سكانها هم دائما من العناصر التى لا تجد ترحيباً أو قبولاً فى المناطق السكنية الأخرى ، لذلك قد تصبح منطقة منبوذه للمرضى ومدمنى المخدرات والكحوليات والمتشردين وغير المتوافقين اجتماعياً ، وفى بعض المناطق المتخلفة درجه عالية من التجانس العرقى ، لتصبح منطقة ثقافية معزولة داخل المدينة ، تأخذ طابع الحى المتخلف نظراً لإنخفاض المكانة

الاجتماعية والاقتصادية لسكانها .

٥- انخفاض المستوى الصحى ، حيث تكون هذه المناطق مهملة فى مجال الخدمات الصحية والمرافق العامة ، وترتفع فيها معدلات الوفيات .

٦- ارتفاع معدلات الانحراف والجريمة والرذيله وسوء التوافق والتفكك الاجتماعى ، ومن ثم فهى موقع للأنماط السلوكيه غير السوية ، التى يتميز بها المجرمون والمارقون والمتسولون والمنبوذون [1] .

الهجرة والمناطق المتخلفة :

يذهب كثير من الدارسين إلى أن الهجرة الريفية الحضرية عامل أساسى فى الاسراع بمعدلات النمو الحضرى ، وبالتالى فقد تكون مسئولة عن نشأة أو تفاقم أوضاع المناطق الحضرية المتخلفة . ومن الملاحظ أن كثيراً من المؤلفات التى تعرضت لمشكلة المناطق المتخلفة لم تغفل الحديث عن هذه العملية ، ودورها فى هذا المجال .

وقد سبق أن تعرضت للحديث عن قضية الهجرة الريفية الحضرية فى بداية هذا المؤلف ، ولكننى أتناولها هنا من منطق علاقتها بالنمو الحضرى من ناحية ، وبنشأة المناطق المتخلفة من ناحية أخرى .

---

(١) السيد عبد العاطى ، الايكولوجيا الاجتماعية ، مرجع سابق ،ص ٤٨٦ .

ومن الجدير بالذكر أن الهجرة غالباً ما تتم من المناطق الريفية نتيجة حرمان سكانها من بعض مميزات الحياة الاجتماعية والاقتصادية ، وتحدوهم الرغبة في تحسين أوضاعهم فيجدون في عملية الهجرة مخرجاً مما يعانون منه . وبطبيعة الحال فان هؤلاء يتجهون فى البداية إلى ذويهم وأقاربهم ، مما يحدث نوعا من التكدس الزائد في مناطق معينة .

وفى مصر نجد أن هذه الظاهرة قد بدأت تتفاقم منذ الخمسينات، حينما شرعت الدولة فى بناء المصانع والمشروعات التنموية ، التى تطلبت أيد عاملة لم تكن تتوفر في المدينه فإنتعشت عملية الهجرة إلى المدينة ، وبدأ العمال والمهاجرون فى استدعاء أسرهم وذوى قرباهم . وعند حد معين تضخمت هذه المناطق ، ولم يواكب كل هذا اهتماماً جاداً بالتخطيط لاستيعاب المهاجرين ، وتوفير الحياة الكريمة لهم .

ومن هنا يمكن القول إن عدم التوزان التخطيطى بين القرية والمدينة ، وفى ظل استمرار تيارات الهجرة الريفية الحضرية ، كان عاملاً فعالاً فى تكريس ظاهرة التخلف الحضرى واتساع حجم واعداد المناطق المتخلفة ، وأصبحنا منذ فترة نسمع عن جيوب حضرية كثيرة تنمو وتتسع ، وعما أشرنا اليه من قبل عن سكنى المقابر والخرائب [1].

(١) عبد الهادى والى ، التخطيط الحضرى ، مرجع سابق ، ص ٦٥ .

وهكذا فان عملية النمو الحضرى بما تتضمن من زيادة طبيعة متمثلة فى الفارق بين معدلات المواليد والوفيات ، وزيادة غير طبيعية تتمثل فى الهجرة الريفية الحضرية ، هذه العملية تشكل الاطار العام لدراسة ظواهر مثل المناطق المتخلفة ، الاستقطاب الحضرى ، والتكدس السكنى والتدهور الفيزيقى [1] .

والاستقطاب يعنى مجموعة من الظواهر التى تنشأ فى منطقة معينة تتمتع بمميزات جغرافية ، واجتماعية ، وإدارية بشكل خاصيتى الجذب والتأثير فى المناطق القابلة لهذا الاستقطاب ، بحيث يجعلها تتجه إليها دائماً . وينجم عن ذلك مشكلات اجتماعية ، واقتصادية ، وجغرافية ، وإدارية فى كل من مركز الاستقطاب وفى المنطقة المستقطبة على حد سواء .

وعندما يتكدس السكان وأوجه النشاط المختلفة فى مكان معين. فان ذلك يتطلب بالضرورة مجموعة من الخدمات الأساسية كالتعليم ، والصحة ، والإسكان ، والنقل والمواصلات والترفيه ، والمياه ، والكهرباء ، والمجارى ، والاسواق ، وغير ذلك من التسهيلات الحضرية وفى غياب خطة واضحة المعالم ، فان مثل هذه الخدمات والتسهيلات تتم بشكل عشوائى يؤدى إلى تفاقم أوضاع المناطق

---

(١) محمود الكردى ، النمو الحضرى ، مرجع سابق ، ص ص٦٤ – ٦٥.

المتخلفة، وربما زيادة تخلفها

والمهاجرون فى الغالب ليسو متجانسين ثقافياً ، أو اقتصادياً ، أو اجتماعياً . ففى القارة الافريقية على سبيل المثال تأثرت الأوضاع بالتراث الاستعمارى ، الذى أثر بدورة فى حجم الهجرة واتجاهاتها وسماتها . ولقد تأثرت هذه القارة بالعوامل الديناميكية وحجم الحركة والتنقل . وقد يرجع ذلك لوجود التجارة ، والوعى ، وحتى الكوارث الطبيعية ، والحروب . لكن العنصر المؤثر عليها هو العنصر الاقتصادى.

ففى نيجريا مثلا تشير الهجرة الريفية الحضرية إلى أنها الأساس للتحضر . وقد وضعت الدولة برامج وسياسات لتقليل معدلات الهجرة إلى المناطق الحضرية على الحدود الفيدرالية ، خاصة من جانب ذوى الدخول المحدودة ، حيث يصعب عليهم الحصول على مسكن ملائم . ومن نماذج البرامج التى أعدت لتقليل معدلات الهجرة ما يلى:

١- وضع نظام مالى لتمويل عمليات الاسكان مثل منح القروض للفقراء .

٢- تجديد مساكن الضواحى المتخلفة والتى يقيم بها فقراء الحضر .

٣- تشجيع ومساعدة السكان للحصول على مسكن ملائم من خلال مشروع الاسكان التعاونى الذى ترعاه الدولة .

٤- دراسة وتحديد احتياجات السكان فى المناطق العشوائية .

وفى بعض المدن قد يكون للهجرة الريفية الحضرية آثاراً إيجابية ، تتمثل فى مساعدتها على توفير الأيدى العاملة المطلوبة لعمليات الإعمار والتنمية . ومن ناحية أخرى فقد تكون لها آثاراً سلبية تتمثل فى زيادة معدلات البطالة والتكدس وزيادة النمو الحضرى غير المخطط وغير المتوازن ، وخاصة فى الوقت الذى لاتقابلها خطط مدروسة لاستيعاب الهجرة والوفاء بمتطلباتها .

ومعنى ذلك كله أن الهجرة الريفية الحضرية لابد أن تدرس فى إطارها العام ، فآثارها تتنوع وفقا لأوضاع كل دولة ، وامكاناتها الاقتصادية ، ومدى الحاجة اليها ، والتخطيط لاستيعابها . ومن هنا يصعب القول إن الهجرة الريفية الحضرية مسئولة كلية عن نشأة المناطق المتخلفة واتساع نطاقها .

لكن يبقى أن المناطق المتخلفة فى كثير من بلدان العالم ومدنه لاتزال مشكلة قائمة تتطلب البحث عن حلول وبدائل ملائمة ، يصنعها المخطط الاجتماعى والاقتصادى ، والمعمارى وغيرهم ، من خلال رؤية متكاملة . وبدون ذلك فسوف تظل تحدث تأثيرات متتالية .

الفصل الثامن

التخطيط الحضرى

تمهيد :-

اهتم كارل مانهايم K. Manheim فى إطار اهتماماته بالدراسات السوسيولوجية بقضية التخطيط عامة . فضلاً عن أنه يرى أن الدراسات السوسيولوجية تسهم فى مسائل مثل التوجيه الذاتى الرشيد ، والوعى الذاتى ، وتوجيه العمليات الاجتماعية التى طرأت على مسرح الحياة الإنسانية الحديثة ومن ثم يؤكد على أن العصر الحالى هو عصر التحول نحو التخطيط ، بعد ظهور عوامل التفكك والتناقض بين خيالات اليمين المتطرف ، واليسار المتطرف ، وظهور العقبات أمام الديموقراطية الرشيدة ، وهو ينادى بوضع استراتيجية للإصلاح ، بل والتخطيط الشامل للمجتمع ، فى ضوء قضايا مثل الواقعية فى التنفيذ ، والمساواة فى الفرص ، والمنافسة المتكافئة [1] .

وفى ظل هذه الاهتمامات يذهب كارل مانهايم إلى أن التخطيط بشكل عام يجب أن يهدف لتحقيق الحرية ، والديموقراطية للجميع . وفى الوقت نفسه يهدف لتحقيق العدالة ، ولو أنه لم يكن يرمى لتحقيق مجتمع بلا طبقات ، أى أنه يهتم بمسألة إزالة الفوارق

---

(1) Mannheim, Karl, Freedom , Power and Democratic planning, Routledage & Kegan Paul, London , 1965, pp. VII-XII .

السحيقة بين الفقر والغنى وحماية القيم الأخلاقية والتراث الثقافى ، وإقامة نوع معين من التوازن بين مركزية السلطة ، وتوزيعها [1] .

كذلك يذهب آرثر Arther Lewis إلى أنه فى ضوء التطورات الحديثة لم يصبح السؤال الملح هو هل نخطط أما لا ...؟ ولكنه أصبح كيف تخطط ؟ أى أن التخطيط أصبح حقيقة واقعة ، وفلسفة أساسية للعصر الحديث [2] .

ويناقش عاطف غيث التخطيط فى ضوء علاقته بالعلوم الاجتماعية ، ويرى أنه رغم ما بين العلوم الاجتماعية والتخطيط من روابط إلا أن أهدافها مختلفة ، فبينما يهدف التخطيط لمواجهة المشكلات العملية للمجتمع ، نرى أن هدف العلوم الاجتماعية هو جمع أكبر قدر ممكن من المعلومات عن المجتمعات الانسانية هذا فضلاً عن أنه يرى أن التخطيط الاجتماعى هو غاية كل تخطيط ، طالماً أن من أبرز غاياته تحقيق المصالح العليا للمجتمع [3] .

وهناك من يرى أننا إذا أردنا توجيه سياسة العلم من أجل

---

(1) Ibid. P. 29 .

(٢) آرثر لويس ، أسس التخطيط الاقتصادى ، ترجمة فريد مصطفى ، اخترنا لك الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ص ١٢٨ - ١٤٠ .

(٣) عاطف غيث ، التغير الاجتماعى والتخطيط ، دار المعارف ، ١٩٦٦ ، ص ص ١٣٦ - ١٣٨ .

التنمية ، فإننا ينبغى أن نؤكد على بعض الوظائف منهـا : التخطيـط – والتنسيق – والتطوير – والتنفيذ . وفى مجال التخطيـط يـرى هـؤلاء أنه ينبغـى تحديـد الأهـداف الاجتماعيـة الأساسـية ، والأولويـة التـى يجب أن تمنح لكل منها . وتعبئة الموارد اللازمـة إحرازهـا . ومـن هنـا يصبح التخطيط استراتيجية للاختيار ، يجـب أن تقـوم علـى معطيـات صحيحة وصادقة، ويدخل فى هذا الإطار من وجهـة نظـر هـؤلاء بلـورة رأى عام بين ذوى الاهتمامـات المتنوعـة ، وبنـاء تنظيـم فعـال لاتخـاذ القرار والتنسيق بين التنظيمات الحكومية ، وشبة الحكومية ، والشعبية . ولما كانت المجتمعات الإنسانية فى تغير مستمر ، فإن مـن الضـرورى توافر المعطيات السليمة ، القائمة على التنبؤ بالمستقبل [1] .

تلك كلها كانت آراء تدور حول أهميـة التخطيـط بشـكل عـام . والدور الذى يمكـن أن يؤديـه فـى الحيـاة الاجتماعيـة ، إذا مـاروعيت مبادؤه الأساسية . ومن هنا لم يصبح الحديث عن تعارض التخطيط مـع الحريـة الإنسـانية أو طغيانـه عليهـا . حديثـاً مجديـاً ، فلقـد فرضتـه التغيرات المتلاحقة ، وجعلت منـه ضـرورة سـواء فـى الشـرق ، أو فـى الغرب ، أو فى العالم الثالث .

---

(1) Spaey , Jaques, Science for devlopment, an essay on the origin and organization of national science policies, Unesco, Paris, 1971, P. 120.

مفهوم التخطيط الحضرى : Urban Planning

تعرضت كتبات كثيرة، ومؤلفات عديدة لتعريف تخطيط المدينة، باعتبارها نموذجاً للمجتمع الحضرى . ومن بين هذه التعريفات أنه "تطبيق رؤية معينة من أجل تحقيق أهداف محددة سلفاً ترتبط بنمو وتنمية المناطق الحضرية" .

The application of certain Forsights to acheive certain preestablished goals(1) in the growth and development of urban regions

كذلك يشار للتخطيط الحضرى على أنه محاولة لبناء إطار اجتماعى متكامل ، وقادر على تلبية رغبات جميع أفراده ، وتيسير فرص الحياة الملائمة لهم (٢) .

ومن ناحية ثالثة يعرف التخطيط الحضرى بأنه "ممارسة إجراءات الضبط فى استخدام الأرض فى المدن وذلك بهدف تحقيق أوضاع ملائمة ومتساوية فى مجالات الإسكان والصحة ، والخدمات العامة والترفيه (٣) .

---

(1) Doig, James, W. & Michael, N. Danielson , Politics and urban development, the case of New York Region, in : intrenational Journal of comparative sociology, Vol. VII. No. I, 1966. p. 93.

(٢) عاطف غيث ، التغير الاجتماعى والتخطيط ، مرجع سابق ، ص ١٧٧ .

(3) Cllinwgorth , J. B. & Sarah, C. orr (ed.). Regional and urban studies, a social science approach, george allen & Unwin London, 1969, P. 2.

غير أن لويس كيبل Lewis Keeble يعرف التخطيط الحضرى على أنه "علم وفن يتجلى فى اسلوب استخدام الأرض، وإقامة المبانى، وشق الطرق وتسيير المواصلات كل ذلك بطريقة تكفل تحقيق الحد الأقصى العملى فى جوانب الاقتصاد والملاءمة والجمال" [١] .

كما يذهب بوسكوف Boskoff إلى أن التخطيط الحضرى عبارة عن عملية التغيير الاجتماعى ، وبالتالى يتضمن استراتيجية لمواجهة المشكلات الاجتماعية بأسلوب مصمم ، ومحكم فى الإقليم الحضرى بأسره . ومن هنا فإن التخطيط الحضرى لابد أن يمنح اهتماماً كافياً للطبيعة العامة للتغيير الاجتماعى والثقافى [٢] .

ويضيف هيلمان A. Hillman إلى ذلك أن المبادىء الأساسية فى نظرية تخطيط المدينة واسعة النطاق ، بحيث تهتم بأمور أبعد من البناء الفيزيقى بل تتجاوزه إلى الاهتمام بالتنمية المتوازنة للمدن ، ورفاهية سكانها ، ذلك أن رفاهية هؤلاء السكان تدعم فعاليتهم ، وتفرض على المخططين ، والمنفذين تصورات من نوع جديد قد تمتد لتشمل المنطقة الميتروبوليتان ، ولكنها مع ذلك تهتم بالجوار كوحدة

(1) Keeble Lewis, Principles and Practices of Town and Country Planning. Estate gazette, 1952. p. 45.

(2) Boskoff Alvin. The sociology of urban regions, Appelton century Crofts, Merdith Corpation , N. York. 1970, p. 319 .

صغرى داخل إطار أوسع [1] .

وإذا انتقلنا إلى جوردون اريكس Gordon Ericksen لوجدناه يشير إلى التخطيط الحضرى على أنه "عملية إطرادية ، ديموقراطية ، كما يرى أنه ليس اكتشافاً جديداً ، بل إنه وجد بصورة أو بأخرى ، فى مصر ، وإيران ، والصين ، واليونان ، وعند الرومان . وقد تمثل فى كونه عباره عن بيان للأهداف الاجتماعية المتوقعة ، وأسلوب تحقيق هذه الأهداف من خلال برامج فعالة وملائمة" [2] .

وأما الجن هنت Elgin Hunt فيذهب إلى أن التخطيط الحضرى يتضمن شقين بالضرورة ، أحدهما علاجى ، والآخر وقائى . وبينما يعمل الأول على إصلاح المناطق الخربة والمتخلفة slum areas يهتم الثانى بالحيلولة دون ظهور مناطق خربة أو متخلفة أخرى ، ومن أجل ذلك يرى فى التخطيط الحضرى إطاراً يسهم فى فهم طبيعة التغير السريع الذى أصبح سمة العصر ، والعمل على مواجهة ما يفرزه هذا التغير من آثار جانبية [3] .

وتوسع روث جلاس Ruth Glass من إطار التخطيط الحضرى،

---

(1) Hillman , Arthur, Community Organization and planning, The Macmillan Company, N. York, 1950, p. 80.

(2) Erichsen, g. op. cit. chap. 18.

(3) Hunt. Elgin, op. cit. pp. 200 - 222 .

فتجعل مهمته هى العمل على حفظ المغزى العام للتجمع الإنسانى ، أو ما يطلق عليه روح المجتمع تلك الروح التى تجزأت بفعل اتساع نطاق المدن وربما غابت تحت وطأة الامتداد الحضرى . وتقول إن المشكلات الفيزيقية قد تكون أخف وطأة من المشكلات الاجتماعية التى ينبغى على التخطيط الحضرى مواجهتها . وربما تثور هنا مسائل مثل الشعور بالانتماء وغيرها من القضايا التى تفرضها طبيعة الحياة الحضرية [1] .

وهكذا يمكن أن نرى أنه قد تعددت الآراء وتنوعت حول تعريف التخطيط الحضرى فالبعض يتصوره على أنه نوع من الهندسة الاجتماعية social engineering يغلب عليه الطابع المثالى الطوباوى، والبعض الآخر يتصورها عملية تساعد على تنظيم الإمكانات، والقضاء على الفقر والتمييز ، أو على تنسيق أداء الهيئات والتنظيمات الحضرية . لكن بعض العلماء والدارسين يفضل استخدام مصطلح تخطيط التحضر urbanization planning ، ويرى هؤلاء أن هذا المفهوم يختلف عن مفهوم تخطيط المدينة ، من حيث أن الأخير يهتم بمشكلات المدينة باعتبارها (المدينة) وحدة مستقلة لها مشكلات فيزيقية واجتماعية خاصة بها . لكن هناك حاجة للنظر للمدينة فى

---

(1) Glass, Ruth and associates, The social backround of paln, Routledge & kegan paul, London, 1948. pp. 12-15 .

إطار الأمة ككل . أى فى إطار علاقتها بالجتمع الأكبر ، ويعنى ذلك من وجهة نظرهم أن تخطيط التحضر يتضمن كل الأشكال والنماذج ، والخطط التى ترتبط بالجزء الحضرى من المجتمع ككل ، وذلك فى إطار الخطط القومية والسياسات الاقليمية ، وربما السياسات الدولية[1].

ويرتبط بما سبق ما ذهب اليه جوردن شيرى Gordon Cherry من أن استخدام مصطلح تخطيط التنمية الاجتماعية social development planning قد يكون أكثر دقة وجدوى ، ذلك أنه يغطى تفسيرات متعددة . ويقول أن مخططى المدينة قد استخدموا هذا المصطلح فى السنوات الأخيرة ، خاصة عند الحديث عن الجوانب الاجتماعية للتخطيط ، وما أثير حوله من جدل خلال السنوات الأولى لظهوره . ويرى أن مصطلح تخطيط التنمية الاجتماعية ينطوى بالضرورة على الأبعاد الفيزيقية ، والاجتماعية والاقتصادية ، ومسائل مثل توزيع الصناعة ، والعمالة ، فضلاً عن المرور ، والنقل والترويح . وينتهى إلى أن التخطيط الاجتماعى للمدينة بهذا المعنى واسع ، أمر جديد فطالما كان هذا التخطيط يتسم بالجزئية ، وعدم التكامل ، لكنه الآن يقود المخطط لارتياد آفاق جديدة من القضايا ، والمشكلات التى لم تكن محل

(1) Peterson. William on the concept of urbanisation planning, in : The population review, the Indian institute of population studies, Vol. 6. No. 2, 1962. pp.

اهتمام من قبل [1] .

وبناء على ما سبق ، لعله اتضح أن التخطيط الحضرى ، وتخطيط المدينة قد تضمن آراء متعددة ووجهات نظر متنوعة يمكن أن نستخلص منها بعض العناصر النظرية على النحو التالى :

أولاً : أن هذه التعريفات قد تنوعت ضيقاً ، واتساعاً ، فبينما اهتم بعضها بقضايا معينة فى الحياة الحضرية ، مثل الإسكان ومناطق الجيرة وغيرها، ركز البعض الآخر على الاهتمام بقضايا التحضر على نطاق واسع يشمل المدينة والمنطقة الميتروبوليتان وربما الإقليم الحضرى ، والدولة ككل .

ثانياً : أن المفهوم فى بدايته قد تضمن أفكاراً تتسم بالتركيز على الجوانب الفيزيقية ، والمادية ، لكنه عبر التاريخ امتد لينطوى على أفكار تتسم بالتركيز على الأبعاد الاجتماعية ، سواء العامة منها ، أو الفردية . ويتضح ذلك من حديث البعض عن الإسكان ، والمرور والترويح وغيرها من ناحية وحديث البعض الآخر عن التخطيط الشامل ، وروح المجتمع عامة من ناحية أخرى .

---

(1) Cherry , gordon, E. Town planning in its social context, Leonard- Hill, London, 1970, pp. 1-3 .

ثالثاً: بتطور الاهتمام بعملية التخطيط الحضرى . تجلت مسالة ارتباطه بالهيئات والتنظيمات الحكومية القادرة على الفعل ، أو الأداء ، ومن ثم أصبحت مسئوليته الأولى تقع على كاهل الدولة خاصة فى مدن العالم الثالث .

رابعاً: ان التخطيط الحضرى عملية قديمة ، وحديثة فى الوقت نفسه. فلا مجال لإنكار أنه قد تمت ممارسات تخطيطية فى مجتمعات مبكرة بصورة أو أخرى . لكنها تطورت حديثاً لتصطبغ بالصبغة الاجتماعية .

خامساً: وردت فى ثنايا هذه التعريفات أفكار محورية مثل الديموقراطية وتكافؤ الفرص ، والمساواة فى الحصول على الخدمات والتيسيرات الحضرية ، وهذه القضايا أصبحت تمثل منطلقات جديدة للتخطيط الملائم .

ولعل هذه العناصر تكفل لنا الانطلاق لتقديم تعريف للتخطيط الحضرى على النحو التالى : "التخطيط الحضرى عملية اجتماعية شاملة تتمثل فى وضع المبادىء والسياسات ، والبرامج التى تحقق الهدف من الحياة فى مجتمع حضرى فهى تتخذ من الجوانب الفيزيقية والثقافية والاقتصادية محاور أساسية ومرتكزات تشكل إطارها العام لكن أهدافه اجتماعية بالدرجة الأولى . فضلاً عن أنها تعتمد على

الحوار الديمقراطى فى تحديد هذه الأهداف ، وتكفل للجميع المعيشة فى المجتمع الحضرى وفق المستويات المرغوبة ،والمتعارف عليها ، وبالإضافة إلى ذلك فالعملية ترتبط أوثق ارتباط بالخطة القومية للدولة ، وتأخذ فى الاعتبار المتغيرات الإقليمية والمحلية .

التخطيط الحضرى من منظور تاريخى :

قد تكون الإسهامات الحديثة التى قدمها آش وورث Ashworth من الأعمال البارزة فى مجال التخطيط الحضرى فقد أصدر كتابا استعرض فيه بالتفصيل المحاولات التخطيطية فى القرن التاسع عشر ، والقرن العشرين حتى عام ١٩٤٧ . وقد تناول فى هذا المؤلف المشكلات التى تجمعت عن النمو السكانى السريع فى المجتمع الصناعى، والحضرى ، تلك المشكلات التى فرضت التخطيط لمواجهتها، والقضاء عليها . فالمدن الصناعية لم تنشأ – كما يشير آش وورث – على أساس كونها صناعية ، لكنها كانت قرى ، وأسواقاً محلية أنشئت فيها المصانع والمشروعات الكبرى . وبالتالى لم تكن بنياتها الأساسية أو تخطيطها ملائماً لمثل هذه التطورات كذلك تشير مؤلفات الاجتماع الحضرى ، والتخطيط إلى علامة بارزة أخرى ، وهى تلك التى ظهرت فى بريطانيا ، وتطورت على يدى هاوارد .E

Haward الذى اهتم بتخطيط المدينة وتوصل من خلال ذلك إلى نظرية مدينة الحدائق Garden city theory ، وما انطوت عليه من أبعاد مالية ، واقتصادية وإدارية ، وصناعية [1] .

إلا أنه ورغم اتفاقنا على أن تلك كانت محاولات رائدة فى مجال تخطيط المدينة ، إلا أن الإنصاف يقتضى أن نشير إلى ان المجتمعات القديمة عرفت فن التخطيط ، وجعلت منه أسلوباً لتنظيم الواقع الفيزيقى بل كثيراً ما وردت – إشارات إلى أن المدينة المخططة هى تلك التى أقيمت أساساً لخدمة هدف معين ومحدد سلفاً . وفقاً لتصورات معينة ، فعلى سبيل المثال كانت مدينة كاهوم kahum من أقدم المدن التى عرفت التخطيط ، قد صممت من أجل غرض معين ، هو إيواء عمال هرم اللاهون Illahun Pyramia فى مصر عام ٣٠٠٠ قبل الميلاد . كذلك بنت مدن رومانية كثيرة لأغراض عسكرية بحتة ، ومن هنا لم تشيع متطلبات الحركة التجارية اللاحقة . ولعل من أبرز الأسماء التى ارتبطت بفن التخطيط فى العصر القديم هو هيبوداموس Hippodmos وهو مهندس معمارى يونانى ، كان أول من أدخل – طبقاً لرواية أرسطو نظام الشواع الواسعة ، المستقيمة . كذلك كان أول

---

(1) Mann, Pater, An approach to urban sociology, Routledge and kegan paul, London, 1970. pp. 132-134 .

من اهتم بمبدأ الحجم المناسب فى عملية البناء . واجتهد فى تحديد الاجراءات الخاصة بتوحيد المناطق المجزأة على هيئة متناسقة ، ومتمركزة حول السوق [١] .

أما المدينة الهندية ، فقد عكست الكثير من الشواهد على النمو الفيزيقى المنظم ، كما كانت هناك شواهد على وجود مناطق ريفية محيطة بها ، الأمر الذى أدى إلى ظهور التصورات الحديثة عن أهمية المناطق الخضراء فى المدينة كل هذا فضلاً عن شواهد أخرى لوجود حوائط ، وأسوار مخططة للحماية من مخاطر الغزو [٢] .

على أن التخطيط الحضرى قد أهمل بعد ذلك فى القرون الوسطى ، اللهم باستثناء الحوائط ، والسوار التى كانت تقام بغرض التحصين fortification وكذلك التى كانت تتخذ شكل حلقة حول المركز clustered around the center ، وفى عصر النهضة كان هناك جهد كبير لإعادة البناء ، والتوسع فى المدن مثلما حدث فى مدينة ريتشليو Richelle فى فرنسا ، وهذه كانت قد أقيمت على أنقاض قرية كان قد ولد بها كاردينال يحمل نفس الاسم . وفى ألمانيا

---

(1) Comey, Arther, C. And wehrly, Max S, Planned Communities, in : Urban planning and land policies, Vol. II. 1939, Washington, pp. 12-13

(2) Ibid, p. 14 .

أنشئت مدن معينة على مقربة من قصور الأمراء مثل برلين Berlin ومانهيم Mannheim وكارلسرو Karlsruhe وهذه المدن لم تظهر فيها ملامح التأثير الكلاسيكى فى نمط الشوارع ، بل ظهرت بها ملامح مبكرة لنظرية مدن الحدائق . أما فى أمريكا فقد اتخذ التخطيط الشكل الشبكى Gridiron فى الشوارع التى تنتظم فى نسق ذى خطوط طولية مستقيمة تتعامد عليها شوارع أفقية وتتقاطع معها . ومدينة واشنطن مثلاً تعتبر نموذجاً لهذا التخطيط . وقد منحها هذا النوع من التخطيط ميزات على كثير من مدن العالم، ذلك أنه يتوافق مع نظام المرور الحديثة المعقد وبشكل عام فلقد كانت هناك أمثلة كثيرة للتخطيط فى القرن الثامن عشر ولكنها كانت تخدم أعراضا محدودة ، ولم تصمم بحيث تواجه الحاجات المستقبلية المتغيرة . أما التطورات اللاحقة فقد أخذت ببعض المبادىء التى ظهرت فى المراحل المبكرة مثل العلاقة بين ارتفاع المسكن ، ومبدأ العلاقة بين حجم السوق وحجم السكان . ومبدأ وجود شوارع تمتد من المركز إلى المحيط الخارجى للمدينة . وأخيراً مبدأ الاهتمام بالتيسيرات الترويحية [1] .

وفى ضوء التأثيرات حدثت تطورات هامة فى مجال التخطيط الحضرى ، انتهت فى الوقت الحديث والمعاصر إلى التركيز على مصالح

---

(1) Ibid , pp. 15-17 .

المجتمع ككل ، وليس على مصالح مجموعة أو أخرى . ولعل من أهم ما تضمنته الإسهامات الحديثة مايلى :

أ- الأخذ بفكرة وجود شارع محيط ، أو دائرى .

ب- نظرية مدينة الحدئق ، وما تضمنته من ضرورة الأماكن الفضاء والخضراء كعنصر جذب اجتماعى .

جـ- الاهتمام بالأبعاد الاقتصادية لحركة البناء فى المدينة .

د - تزايد الاهتمام برفاهية جماهير السكان بالمدينة [1] .

لكن هناك ملاحظة جديرة بالذكر ، ينبغى ألا تغيب عن الذهن، وهى أن التخطيط الحضرى شأنه شأن كثير من الحركات الاجتماعية، انطوى فى كثير من مراحله على تصورات مثالية طوباوية. وفى هذا المجال يسجل هافرفيلد Haverfield فى كتاب له عن تخطيط المدينة القديمة ancient town planning (١٩١٣) أن تخطيط المدينة كان من قبيل النشاط المتقطع intermittent ، فى وقت كانت فيه المدن آخذه فى الاتساع . وظهرت اهتمامات جديدة فى مجال الملكية ، ورغم أن الأمر لم يستمر على هذا النحو إلا أن تلك الملحوظة التى أبداها لاتزال قائمة ، ومهمة ، فى تحديد بعض ملامح

(1) Mumford, Lewis, The story of Utopias : Ideal common wealthes and social myths, as quoted by cherry , op. cit.

التطورات فى مجال التخطيط الحضرى ، فمن الملاحظ أن حركة تخطيط المدينة قد استقرت خلال القرن العشرين على مبدأين أساسيين:

الأول : الاهتمام المتزايد بالشكل الحضرى ، وتوفير المسكن الملائم لأبناء المدينة ككل ، والبحث عن المدينة المثالية الهندسية .

الثانى : البحث عن المجتمع المحلى المثالى . وقد ارتبط هذا المبدأ مع المبدأ السابق ، رغم أنه اختلف عنه فى الأسس الفلسفية ، وطرق التعبير ، ومع ذلك فإن من الممكن التوحيد بينهما واختبار صدقهما . فمن المؤكد أن اهتمامنا بالجانب الاجتماعى فى تخطيط المدينة ، قد قام على أساس حلم المجتمع المتكامل، الذى تسوده مبادىء السعادة والمساواة ، وإذا كان هذا الحلم قد شكل إطاراً عقلياً للمهتمين بشئون المدينة فإن الكثير من الخبرات الاجتماعية خلال القرن الماضى، قد اقتبست من هذا الإطار . وفى الوقت نفسه كانت هذه الخبرات بمثابة الإطار الذى اشتقت منه حركة تخطيط المدينة فى القرن العشرين ، بتصوراتها التى سوف سنوضحها فيما بعد [1] .

---

(1) Cherry, g. op. cit. p. 9 .

وقد تقوم الفكرة المثالية على أسس دينية ، كما كانت عند القديس أوغسطين St. Aygastine أو القديس توما الأكونى St. Thomas Aquines أو على أسس وتطورات سياسية كما كانت عند الاغريق ، أو على تصورات أدبية كما كانت عند السيرتوماس مور Sit Thoman More لكن الأفكار المثالية قد شهدت ميلاداً جديداً فى ضوء ظهور الميكنة ، والتعدين ، وغيرها من عناصر الثورة الصناعية ، كما أشار إلى ذلك لويس ممفورد [1] كذلك ظهرت أفكار ممتازة عن السعادة الاجتماعية ، والمستويات المتوقعة من الحياة فى مجتمع حضرى ، وجلبت هذه الأفكار تجارب وخبرات كثيرة أمام مخططى المدينة ، وقد تجلت هذه الخبرات فى شكل سياسى عند اليونان ، وفى عصر النهضة [2] .

وفى العصور الحديثة ظهر بعض المصلحين الذين تبنوا أفكاراً مثالية ، لكن غلب على جهودهم الطابع الأدبى ، أكثر من الخبرة العلمية . فدأبوا على تقديم النصح لغيرهم لتنفيذ أفكارهم ، فظهر حديث عن المدن المثالية ، ومعه وجدت نماذج متعددة فى كثير من أنحاء العالم ، اعتمدت على جوانب الإصلاح فى مجال الإسكان ،

---

(1) Mumford, op. cit.

(2) Cherry, op. cit. pp. 10-24 .

ومحاولة الوقاية من الشرور ، والأمراض والجرائم والفقر ، والبؤس ، ومشاعر الكراهية والعداء ، وغيرها من جوانب القصور فى المدينة . وإلى جانب ذلك برزت أسماء كثيرة ارتبطت بهذه التصورات الإصلاحية الجديدة . وقد ارتبط بذلك إنشاء العديد من القرى الخيرية ، وجميعات الإسكان الخيرى Philan throplic housing Locations ولعل أهم الملامح التى يمكن استخلاصها من هذا النشاط تتمثل فى تزايد الاهتمام بالإصلاح الاجتماعى ، إلى جانب الإصلاح فى مجال الإسكان ، وتزايد ظهور نظريات عن المجتمعات المثالية [1] .

التطورات الحديثة فى التخطيط الحضرى :

رغم الأبعاد التاريخية لتخطيط المدينة ، إلا أن كثيراً من مؤلفات علم الاجتماع الحضرى تفضل التأريخ لهذه الحركة بنهاية القرن التاسع عشر ، خاصة فى ظل إسهام حركتين أساسيتين :

الأولى : هى حركة مدينة الحدائق التى كان ابنزهاوارد Ebenezerhaward رائدها وتضمنت هذه الحركة نظرية تهدف إلى القضاء على مشكلة المناطق المتخلفة بأسلوب بسيط يقوم على تجزئتها ، وتقسيمها إلى مناطق أصغر ذات

---

(1) Ibid, pp. 25-30 .

فضـــاء وجمـــال وتتخللها الخضرة . وقد كان مركز انطلاقهـا في بريطانيا .

الثانية : عرفت بحركة تجميل المدينة beautification وقد ظهرت في فرنسا وكانت تهتـم ببنـاء المراكـز الحضريـة ذات المظهـر الجيـد والأفنيـة الكبيرة والمؤسســات والمبـانى الضخمـة ، ونشأت فى ظلها جماعـات تهتـم بالخدمـات المدنيـة civic services ، خاصة ما يتصل منهـا بتحسـين المدينـة city improvement ولم تمنـح هـذه الحركـة قـدراً كافيـاً مـن الاهتمام بالمشكلات البيئية ، لكنها كانت تهدف كمـا يقـول روبـرت والكـر Robert Walker إلى إلهـام عقـول النـاس وأفكارهم نحو مبادىء تحسين المدينة وتجميلها [1] .

ولقـد حـاول هـاوارد أن يبلــور الـتراث الســابق فيمـا يتصـل بالخبرات الاجتماعية من ناحيــة ، ومـا ظهـر مـن نظريـات قديمـة ، ومعاصرة من ناحية أخرى . وظهرت أفكاره في هذا المجال فى كتـاب صـدر أول مـرة عـام ١٨٩٨ باسـم "المسـتقبل" مســار ســلمى للإصــلاح الحقيقى Tomorrow, apeacful path to real reform وأعاد نشر

(1) Anderson , Nels , urban community: a world prospective , Routledg & Kegan Paul , London , 1960, P.463.

هذا الكتاب عام ١٩٠٢ باسم (مستقبل مدن الحدائق) garden cities of tomorrow وقد تمثل إسهام هاوارد فى استيعابه لكل النظريات والخبرات السابقة عليه ، وإعادة تفسير كثير من القضايا ، والمنظورات لتتلاءم مع حاجات العصر ، وانطلق بالدرجة الأولى من الاهتمام بالمناطق الحضرية ذات الكثافة السكانية العالية ، والمناطق الريفية . وقد اعتقد فى وجود نوع ثالث من المناطق ، غير الريف والحضر ، ينشأ عن اندماج هذين النوعين. فى ظل الاندماج ينشأ أمل جديد ، وحياة جديدة ، وحضارة جديدة . كذلك اعتقد أن الغايات النهائيه من البناء الحضرى ، والتخطيط الحضرى هى غايات اجتماعية بالدرجه الأولى ، تتمثل فىالارتقاء بمستوى حياه سكان الحضر عامة . على أن المزاوجة بين ميزات الريف ، والحضر تشكل عنده مدخلا أساسيا للتقدم ، ، ففى ظلها تأخذ عوامل السحر والفتنة magnets فى الظهور . ولذلك فان هاوارد يمثل فى مجال التخطيط الحضرى اتجاهاً واقعياً ، أكبر ممن سبقه من المصلحين الاجتماعيين ، الأمر الذى جعل إسهامه يتجلى بوضوح فى النقد الذى وجهه إلى المصلحين الاجتماعيين السابقين عليه ، والذى تمثل من وجهه نظره فى أنهم عجزوا عن فهم الطبيعة الإنسانية فمن وجهة نظر هاوارد لم تكن العلاقة بين التخطيط الحضرى ، والمتغيرات الاجتماعية قاصرة على تحسين المنازل القائمة

أو تعديلات فى البناء الجديد . لكنها تتجاوز ذلك التحسين الشامل للأحوال الاجتماعية فى المناطق الحضرية[1] .

وهكذا يتضح أن حركة تخطيط المدينة ، قد انطلقت من قضايا فكرية ، وخبرات عملية محورها حياة الإنسان فى بيئته الطبيعية ، والاجتماعية وأن الحركة لم تسلم من مؤثرات الفكر الطوباوى ، المثالى فى بعض مراحلها ، لكن تطوراتها الحديثة انطوت على تقدم ملحوظ سواء فى أبعادها الاجتماعية أو اتجاهاتها الواقعية . هذا فضلاً عن أن تطور الحركة قد تضمن أنساقاً تخطيطية جديدة ، وتشريعات جديدة فى أبعادها الاجتماعية أو اتجاهاتها الواقعية . هذا فضلاً عن أن تطور الحركة قد تضمن أنساقاً تخطيطية جديدة ، وتشريعات جديدة فى مجالات التقسيم ونسبة الفضاء المقررة ، والإضاءة والتهوية ، والجوانب الفنية فى عملية البناء والتخطيط والتشريعات الخاصة بضبط استغلال الأرض .

كما يمثل تقرير بارلو Barlow Report عام ١٩١٨ خطوة فى اتجاه المطالبة بدعم التخطيط الحضرى ، ومن أهم ما استحدثه هذا التقرير الجانب الإلزامى mandatory وأكد على التخطيط الحضرى كمدخل لمواجهة المشكلات الاجتماعية ، والقضاء عليها . هذا إلى

---

(1) Cherry, op. cit. pp. 31 - 34 .

جـانب إدراكـه للحاجـات لجهـود الجغرافيـين ، والديموجرافيـين والاقتصـاديين ، والمعمـاريين والاجتمـاعيين ، وعـارض التجزئـه فـى المعرفة ، أو الجهد ودعى إلى دعم المخططين ، ومنحهم سلطات تكفـل تنفيذ خططهم بفاعلية [1] .

وخطوة أخرى تمثل علامة بارزة فى تطور التخطيط الحضـرى ، هى صدور قانون ١٩٤٧ الخاص بتخطيط الريف والحضر فى بريطانيا . حيث أسهم فى توسيع آفـاق التخطيـط ، واسـتغلال الأرض ، وتضمـن سلطات إلزامية فى مجـال التنفيـذ . ورغـم صـدور هـذا القـانون إلا أن للتخطيط الحضرى فى بريطانيا سـلبيات إلى جـانب إيجابياتـه . فمـن بـين الإيجابيـات وجـود مجـالس محليـة حكوميـة لتخطيـط المنـاطق المتخلفـة، والضواحـى ، والولايـات . كذلـك تـأكيده علـى خلـق مـدن جديدة ، والتخطيط لمواجهة هجرة السكان من المدن الصغـرى إلى المـدن الكبرى وغير ذلك . بينما تتمثل سلبياته فى أنه ركز على مسألة توطين الصناعة ، وأنه لم يواجه الامتداد العشـوائى غـير المضبـوط للمسـاكن ، وأنه لم يتضمن جوانب فعلية وجديـة تعتـبر جـزءاً مـن طريقـة الحيـاة الحضرية على المستوى القومى . وأخيراً فإن اهتمامـه الأساسـى تركـز علـى الفرد ، والمشروع الخاص أكثر من اهتمامه بالدولة على المستوى القومى[2] .

---

(1) Mann, Pater, op. cit. pp. 132 - 134 .
(2) Ibid , pp. 140 - 148 .

ومن الملاحظات التى تجدر الإشارة إليها ، أن السمات الحضرية قد اختلفت فى القرن الحالى عما كانت عليه فى القرن الماضى. فعلى سبيل المثال ظهر الميل للانتشار الحضرى ، والاتجاه من قلب المدينة إلى الضواحى والأطراف الأمر الذى أدى إلى ظهور مناطق حضرية ملائمة للحياة الاجتماعية . ولكن ظل هذا النوع يفتقد القدرة على امداد تجمع بشرى ضخم بما يحتاجه فى الجوانب الفيزيقية والاقتصادية ، والاجتماعية ، بشكل يساعد على تنمية الشخصية الانسانية وطاقاتها المتعددة . ومن ناحية أخرى أدى نمو المدينة إلى انكماش الأفكار المثالية ، أو حتى الأفكار المتصلة بوحدة الحياة الاجتماعية فى المدينة ، إلا أن البعد الاجتماعى لتخطيط المدينة ظل يحقق تقدماً ، ولو أنه كان بطيئاً . لكن صاحبته أفكار وخبرات جديدة فى مجال التخطيط [1] .

حتى إذا جاء القرن الحالى حمل معه عنصراً جديداً يتمثل فى المشاركة الفعلية ، والإسهام الجاد لعلماء الاجتماع فى عملية التخطيط الحضرى – فقد التقت الآراء حول النهوض بالمدينة ، وتجديدها وتوجيه امتدادها على أساس التخطيط ، ولم تصبح النظرة قاصرة على المدينة بشكلها المحدود بل امتدت لتشمل الإقليم الحضرى ككل . فقد

(1) Cherry, op. cit. pp. 35-38 .

أدى نمو المدن واتساعها ، وتركز السكان ، وظهور المناطق المتخلفة إلى النظر للتخطيط الحضرى على أنه أكثر من مجرد إجراءات هندسية ، أو إجراءات للتحكم فى نمو واستغلال الأرض فى المناطق الجديدة . وفضلاً عن ذلك أدرك العلماء والمتخصصون قصور الجوانب القانونية فى مواجهة النمو المحلى ، والإقليم ، وانتشار المدن ، وتكدس المرور ، وتركز السكان ، وبعد الحرب العالمية الثانية اتخذت إجراءات هامة فى نطاق واسع ، وأدى تنفيذ قانون الريف والحضر عام ١٩٤٧ فى بريطانيا إلى أن أصبحت قضايا التخطيط إجبارية وملزمة إلى إيجاد سلطات قانونية محلية . فلقد اضافت الحرب الثانية مشكلات أخرى جديدة ، فضلاً عن المشكلات القائمة . وظهرت البطالة والكساد ، وغيرها من الظاوهر الاجتماعية الهامة . ومن هنا فرض التخطيط الحضرى نفسه كحاجة اجتماعية أساسية ، وحتى فى تناوله لمشكلات الصناعة كان البعد الاجتماعى واضحاً . فكانت هناك محاولات لجذب الصناعة إلى مناطق جانبية ملائمة بهدف التقليل من تأثيرها على حياة السكان وفى ظل الحرب كانت قد ظهرت سلطات وهيئات قوية تعمل على تعبئة الطاقات من أجل الجهد الحربى من ناحية ، ومواجهة آثارها من ناحية أخرى . حتى إذا وضعت الحرب أوزارها ظلت هذه الهيئات تتمتع بالسلطات القوية التى اكتسبتها فى ظل الحرب

وتأكدت أهمية التخطيط القومى ونظر إليه على أنه أداة للتحول من الحرب إلى السلام وفى هذه الأثناء ظهرت نظرية كينز keynes والتى دعت إلى تدخل الحكومة لمنع عودة الاقتصاد إلى حالة التدهور التى كان عليها قبل الحرب على أن القيمة الأساسية لنظرية كينز فى مجالنا هذا تتمثل فى أنها مهدت الطريق لإسهام علماء متخصصين فى فروع أخرى من فروع العلم الاجتماعى وعدم الاقتصار على المهندسين[1].

ومعنى ذلك أن التحولات التى حدثت فى مجال التخطيط الحضرى قد نتجت عن عوامل ثلاثة هى :

أولاً : لم تكن هناك قناعة بما حققه التخطيط الحضرى حتى عام ١٩٥٠ وبالتالى كان هناك بحث عن بدائل يمكن أن تعوض ذلك القصور.

ثانياً : التطورات التى حدثت فى مجال التخطيط الاقتصادى ، والتى أبرزت أهمية الجوانب الاجتماعية شيئاً فشيئاً ، على اعتبار أن الاقتصاد أحد فروع العلوم الاجتماعية .

ثالثاً : التطورات التى حدثت فى مجال الدعم السياسى للتخطيط الإقليمى لتمكينة من تحقيق ما يتوخاه من أهداف .

---

(1) Colingworth & Sarah orr. op. cit. pp. 1-8 .

وقد تمثلت التحولات التى نتجت عن هذه العوامل فى بروز العلاقة الوثيقة بين الجوانب الاجتماعية ، والفيزيقية فى مجال التخطيط الحضرى . وليس المقصود بالجوانب الاجتماعية هنا الجوانب الاقتصادية وحدها ، ولكن التخطيط الحضرى أصبح مجالاً أساسياً لاهتمامات علماء الاجتماع . وإذا كان التركيز على المتغيرات الاقتصادية قد جاء نتيجة للدور الكبير الذى لعبه علماء الاقتصاد فى بلورة العلاقة بين التخطيط والسياسات القومية والإقليمية إلا أن لدى عالم الاجتماع ميادين لاتقل عن ذلك أهمية ، مثل الجوار والأسرة الحضرية ، والجماعات الصغيرة ، والجريمة والأحداث ، وغير ذلك من الموضوعات التى تعاظم الاهتمام بها فيما بعد .

وينتقد أحد العلماء تخلف الدور الذى يلعبه عالم الاجتماع ، والسياسى البريطانى عن نظيره فى الولايات المتحدة الأمريكية ، لكن الأمر المؤكد الآن أن الاتجاه للتنسيق والتكامل الفكرى بين فروع العلم الاجتماعى ، قد اصبح جلياً . كذلك فإن نجاح علماء الاجتماع فى تحليل القضايا المرتبطة بأمور مثل النمو السكانى ، ومتطلباته ، سوق العمل ، والأسرة ومستوى المعيشة ، والحاجات الاجتماعية لسكان الحضر ، كل هذه قد لفتت الأنظار لأهمية الأبعاد الاجتماعية فى مجال التخطيط الحضرى [1] .

---

(1) Ibid. pp. 9 - 15

وقد ينكر البعض الدور الذى يمكن أن يقوم به عالم الاجتماع فى مجال التخطيط الحضرى ، لكن النماذج الرائدة التى قدمها بعض هؤلاء العلماء تكفى مبرراً للرد على من ينكر مثل هذا الدور . ولعل من أوضح المحاولات فى هذا المجال ، ما قام به كلارينس بيرى Glarence Peryy من تطوير لأفكاره الخاصة بعلاقات الجوار باعتباره أحد الأشكال الملائمة للحياة الحضرية ، ومن هنا كان تركيزه على المدرسة كأداة هامة فى دعم الجوار حيث توصل بعد ذلك إلى تحديد الحجم الملائم لوحدة الجوار والمسافة بين المسكن والمدرسة . وقد بنى تصوره على أساس أن المدرسة مركز للجوار ، وتنظيم اجتماعى يرتبط به معظم الأسر ، وتسهم فى تحويل الجوار إلى مجتمع حقيقى ، يتفاعل فيه الآباء معاً ، كما يتفاعل الأبناء معاً ، وعلى هذا لعبت المدرسة عنده واحداً من الأدوار المحورية فى التخطيط الحضرى ، وذلك من خلال وحدة الجوار ، ومن ناحية أخرى أدت هذه الأفكار إلى إحياء كثير من الحوار والجدل حول التخطيط . فكانت المشكلة الأساسية هى إمكانية التنبؤ بحجم الجوار ، ودور المدارس العامة والخاصة وبالتالى كانت التقديرات المتضمنة فى هذه التنبؤات مجالاً للتغير المستمر ، وفقاً لحركة السكان . ومعنى ذلك من وجهة نظر بيرى أن المدرسة تمثل المتغير المعتمد ، وحركة السكان هى المتغير المستقل ، ذلك أن هناك

متغيرات أخرى تعتمد على حركة السكان ، مثل مستويات الدخل والاتجاهات العامة ، والتفضيلات الخاصة وهيئات التمويل والهيئات المنظمة للهجرة وغير ذلك [1] .

وعلى الجانب الآخر ، فقد تكون للمدرسة آثار سلبية على الجوار والعلاقات السائدة فيه ، فربما تؤد إلى تدهوره كرد فعل لتنقل الناس بحثاً عن أماكن توجد بها مدارس اكثر ملائمة . ومعنى ذلك أن ملائمة المدرسة واستقرار نظامها يؤديان إلى استقرار الجوار ، والتقليل من تنقل السكان ، فقد تؤدى المدرسة التى تخدم منطقة جغرافية محدودة إلى خلق بناءات سكنية ، واجتماعية متجانس . ومع ذلك يتساءل البعض عما إذا كان من الممكن الاستفادة من العلاقة بين المدارس وتقسيم المناطق الحضرية فى مجال التخطيط ؟ يجيب أحد علماء الاجتماع الحضرى على ذلك بأن من الواجب أولاً أن نحدد بوضوح ماذا نريد فى منطقة حضرية صغيرة ؟ إذ أن هناك مناطق حضرية لايمكن أن نسميها جواراً بمفهوم بيرى ، حيث يشترط وجود علاقات اجتماعية ناتجة عن التقارب الفيزيقى ، كذلك يشترط وجود حدود واضحة ومحددة لمجتمعات الجيرة ، وهذه الأمور تعتمد على

---

(1) glazer, Nathan, the school as an instrument in planning, in Journal of the American insitute of planner , Vol. 25. No,4. 1959. pp 191-193 .

استقرار السكان فى المنطقة وتجانسهم إلا أنه رغم ذلك يذهب البعض إلى أن عنصر التغاير الذى أصبح سمة أساسية للمدن الحديثة يحول دون تحقيق التجانس من ناحية . وأن التجانس فى حالة تحققه يجعل الحياة الحضرية غير ممتعة ، وغير متجددة . ويذهب هؤلاء إلى أن النوع فى المدينة الحديثة ، يضفى على الحياة فيها نوعاً من البهجة والخيوية . ويرون بناء على ذلك أن المدرسة تلعب دوراً اجتماعياً معيناً فى الجوار لكن إذا فهمنا الأبعاد المتغيرة للحياة الحضرية ، إلى جانب الاهتمام بالمناطق السكنية ، فإن المدرسة سوف تلعب دوراً اجتماعياً متزايداً [1] . ومهما كانت قيمة آراء بيرى ، إلا أننا نسوقها هنا كدليل ومؤشر على الاهتمام المتزايد بأمور اجتماعية لم تكن فى أذهان المخططين من قبل .

مقومات التخطيط الاجتماعى الحضرى :

الحياة الحضرية متغيرة بطبيعتها ، لذلك فهى لاتستقر عند حد معين يمكن أن يعين العلماء فى ضوئه مقومات التخطيط الحضرى وأهدافه . ولعل لويس ممفورد كان صادقاً حينما اعتقد فى استحالة تحقيق مدينة مثالية ، فأهداف التخطيط الحضرى كما يقول غير ثابتة

(1) Ibid, pp. 1- 7

بل إنها متغيرة . كذلك فإن ماهو مثالى يخضع بطبيعته للتغير ، وبالتالى إذا اقتربنا مما نتصور أنه مثالى ، فسوف تقفز أهداف جديدة تجعلنا نتيجة صوب وضع مثالى آخر . وهكذا نستمر فى العمل من أجل تحقيق وضع مثالى يتعذر تحقيقه لطبيعته المتغيرة [1] .

وهكذا نجد أن هذه الظاهرة تفرض الكثير من التحديات على المخططين ، والمنفذين على حد سواء ، كما تفرض عليهم التفكير فى مقومات التخطيط التى من أهمها إدراك التغيرات المستمرة فى المستويات المرغوبة للحياة الحضرية . ومن الواجب الإشارة إلى هذه المقومات بشىء من التفصيل :

أولاً : يحتاج التخطيط بصفة عامة ، والتخطيط الحضرى بصفة خاصة إلى إطار واسع من المعرفة Expanding Knowledge . ويدخل فى هذا الإطار جمع المعلومات وتسجيلها ، ونشرها ، وهذه المعلومات تتصل بطبيعة الحياة الحضرية والإمكانات المتاحة ، والنظم الاجتماعية السائدة ، والتحديات التى تواجه المخططين ، ومنطلقات اتخاذ القرار على أن الأمر لايتوقف عند توسيع الإطار المعرفى ، ولكنه

---

(١) لويس ممفورد : المدينة على مصر العصور ، أصلها وتطورها ، ومستقبلها ، ترجمة ابراهيم نصحى ، طبعة وزارة التربية والتعليم ، ١٩٦٤ ، ص ١٠٥١–١٠٧٦.

يتجاوزه إلى عملية تعميق هذه المعرفة على مستوى الدولة ككل وعبر المؤسسات التعليمية والتخطيطية والتنفيذية (١) .

ثانياً : كذلك يحتاج التخطيط عامة ، وتخطيط المدينة بخاصة إلى الفهم الجيد ويرتبط ذلك بالمطلب السابق من حيث أن اتساع المعرفة وعمقها يساعد على التصور الواضح لأمور مثل الأنماط الاستهلاكية ، وتوزيع الدخلو والتراكم الرأسمالى كذلك فإن وضع المعارف السابقة أمام المخططين والسياسيين والمستثمرين قد يؤدى إلى حفز الجهود للمشاركة فى إعداد الخطة وتنفيذها . ويذهب البعض إلى أن أى خطة تخلو من هذين البعدين ، لاتعدو أن تكون نشرة ، غير مدعمة ، وغير متفق عليها (٢) .

ثالثاً : ثم إن من المقومات الأساسية لنجاح التخطيط الحضرى أن ينظر إليه فى إطار الخطة القومية الشاملة ، ومن هنا فإن مثل هذه الخطة لابد أن تكون قائمة على أفق واسع يتضمن توجيه النمو الحضرى ، ومواجهة مشكلاته إلى جانب الأهداف الأخرى التى تهتم بها .

---

(1) Hansen, Keneth, R. The planing process its role in the development revolution in : development digest, Vo. II, Octobr 1963, pp. 1-7.

(2) Ibid, pp. 3-7 .

رابعاً : ومع أهمية التخطيط القومى ، فإن التخطيط الإقليمى هو الآخر لابد أن يؤخذ فى الاعتبار ، ويتكامل مع التخطيط القومى ، فالخطة القومية على سبيل المثال تركز اهتمامها على عملية التحضر ، وأوضاع المناطق الحضرية على المستوى الشامل ، لكن يجب أن يتكامل مع ذلك التركيز على منطقة جغرافية معينة تحتاج جهداً معيناً سواء لدعم تطورها أو للحيلولة دون تخلفها عن غيرها من أجزاء الدولة ، ومناطقها الأخرى .

خامساً : ويذهب علماء آخرون إلى أن تحديد الهدف يأتى فى مقدمة المتطلبات الاجتماعية للتخطيط الحضرى وهنا يشير جاليون Gallion وايزنر Eisner إلى أن محاولة التخطيط دون تحديد واضح لأهدافة ، سوف تصبح عملية عشوائية لايتوقع لها النجاح [1] ، ويرتبط بهذه النقطة ما سبق أن توصلنا إليه من أن الأهداف أو الغايات النهائية لأى عملية تخطيطية سوف تكون فى النهاية أهدافاً اجتماعية ومعنى ذلك أننا حينما نحاول تحديد أهداف التخطيط الحضرى ، لابد أن تحتل الأبعاد الاجتماعية مكانها فى مقدمة الأبعاد الأخرى ، وتستحوذ على ما تستحقه من اهتمام .

---

(1) gallion , Arther, b. & Eisner, Simon, the urban pattern : sit, planning and design, Affiliated east - West press, PVT. L. T. D. New Delhi , 1969, p. 158 .

سادساً : ويرتبط بالمطلب السابق ما ذهب إليه شيرى Cherry من أن هناك حاجة لتحديد المفهومات عند الاتجاه للتخطيط الحضرى، ومن أول المفهومات التى توجهنا هنا ، مفهوم البيئة ذاته فالفهم الاجتماعى للتخطيط الحضرى ينبغى أن يوجهنا إلى أن البيئة هى الأفراد ، والنظم ، والأسر المنظمة للعلاقات والاتصالات ، والتفاعلات الاجتماعية وسوف يؤدى هذا الفهم إلى إدراك المضمون الكلى الشامل للمدينة ، والحياة الحضرية .

سابعاً : لعل هناك أيضاً الحاجة للوقوف على جوانب وأبعاد التراث الحضرى والريفى معاً ، وهذا يجعلنا نتصور بشكل دائم أن التخطيط الحضرى يحتاج لأهداف ثابتة وميكانيزم مرن ، وإدراك هذه الثنائية فى التخطيط الحضرى ، يتم فى إطار فهم الأبعاد الفيزيقية ، والاجتماعية للبيئة ، فالمرونة تهتم بالأبعاد أو الطبيعة الدينامية للحياة الحضرية ، بينما الجوانب الثابتة تهتم بالأهداف التى استقرت ولم تعد موضوع خلاف [1] .

وهناك نماذج تخطيطية فى المجتمع الحضرى أخذت فى الاعتبار هذه المتطلبات ، ومن هذه النماذج فى بلدان العالم الثالث تلك الخطة التى نفذت فى منطقة جوايان Guayana بفنزويلا . ولعل

---

(1) Cherry, g. op. cit. p. 40 .

أهمية هذه الخطة ترجع أنها أول خطة حضرية تنفذ فى العالم الثالث، وأنها ساعدت على استخلاص خبرات هامة فى مجال التخطيط الحضرى ، فضلاً عن أن هذه الخبرات قابلة للتطبيق فى بلدان العالم الثالث ونشير من بين الدروس المستفادة من تطبيق هذه الخطة إلى ما يلى :

١- التكامل بين الخطة الإقليمية والخطة القومية ، فقد صممت الخطة فى ضوء الحاجة لمواجهة وتغطية المتطلبات المتزايدة للمساهمة فى دعم الاقتصاد القومى ومواجهة متطلبات النمو السكانى ، ومتطلبات النمو الصناعى المتزايد .

٢- غطت هذه الخطة قطاعات واسعة ، ومترابطة مثل الزراعة والصناعة والتنمية الحضرية ، والحاجات الاجتماعية والتعليمية والثقافية للسكان .

٣- صممت برامج القطاعات ، والاستثمارات الخاصة ، بالتنسيق مع أهداف الخطة القومية الشاملة ، وعلى أساس وعى كامل بالأهداف المتوخاة ، ودراسة مفصلة للإمكانات المتاحة من السوق المحلية ، والقوى العاملة ، وغير ذلك مما يتصل بعملية الإنتاج .

٤- أعدت المشروعات داخل الخطة بعناية فائقة فى جوانبها الهندسية والاقتصادية ، وتمت الاستعانة بكفاءات من الخارج كلما كان ذلك ضرورياً .

٥- فى إطار الخطة شكلت هيئة خاصة لتخطيط المدينة الرئيسية فى هذه المنطقة وهى سان تومى San Tome وأخذ فى الاعتبار كونها منطقة حضرية سريعة النمو ، تحتاج للاهتمام بكل متطلبات الحياة الحضرية ، والامتداد الحضرى والأبعاد المختلفة لهذه المتطلبات ، خاصة الاجتماعى منها .

وهكذا فالتخطيط الحضرى يعتمد بالدرجة الأولى على مجموعة من القضايا والتصورات المتوازنة ، التى تجمع بين التصورات المنفصلة، وتوحد بينها فى سياسة واحدة ثابتة ، تهدف إلى الإمداد بالوسائل التى تترجم الأوضاع الفيزيقية ، إلى خطة اجتماعية واقتصادية عملية .

كذلك تهدف إلى نقل هذه التصورات إلى عالم الواقع ، أى أن للتخطيط الحضرى جانب اجتماعى يتمثل فى تهيئة حياة إنسانية ملائمة ، تضم فى إطارها تسيسيرات فى مجالات الطرق ، والنقل والاتصال ، والصحة ، والتعليم ، والترويح ، والهدوء ، ومقاومة التلوث ، والتنشئة الاجتماعية والسياسية لسكان المدينة ،فضلاً عن ذلك فإن للتخطيط الحضرى جانب اقتصادى يتمثل فى الآثار المباشرة، وغير المباشرة التى يعكسها توفر التيسيرات السابقة على العملية الإنتاجية .

على أنه لاينبغى أن نترك الحديث عن مقومات التخطيط

الحضرى ، دون اشارة إلى دور المشاركة الشعبية فى هذا المجال . فغنى عن البيان أن المشاركة تضفى على التخطيط الحضرى مميزات اقتصادية ، فضلاً عن أنها تعكس وعى الجماهير ، وإحساسها بالانتماء لمجتمعها ، ومن ثم فإنها تدعم هذا الإحساس وتعمقه . كما أن انتشار ظاهرة اللامبالاة Apathy فى المجتمع الحضرى ، جعل الحديث عن المشاركة يحتل جزءاً هاماً من الكتابات ، والدراسات التى تهتم بالمجتمع الحضرى ، ودون التفصيل فى هذه النقطة فإننا نشير إلى أن المشاركة فى التخطيط الحضرى تسمح بتحديد أهداف الخطة على أساس ديمقراطى . كما تخفف من مقاومة التجديدات التى يرغب المخططون إدخالها على الحياة الحضرية [1] .

أنماط التخطيط الحضرى :

لو أننا تناولنا التخطيط بشكل عام على أنه عملية هدفها التغيير الاجتماعى ، فإن لنا فى هذه الحالة أن نتوقع وجود مراحل معينة

---

(١) عالجت هذه القضية فى دراستى لنيل درجة الدكتوراه ، وبالتالى آثرت عدم الإفاضة فيها . انظر : عبد الهادى والى ، التخلف والتنمية ، دراسة اجتماعية فى محافظة الاسكندرية ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ، ١٩٧٧ ، ص ١٦٩- ١٧٦ ، وكذلك الفصل الثامن من الدراسة نفسها .

تبدأ بمرحلة الإحساس بالمشكلة . وعدم الاقتناع بـالوضع الراهـن ، ثـم مرحلة التجديد ، فالتخمين فمرحلة التحول ، وأخيراً مرحلـة التكـامل لكن إذا تناولنا التخطيط الحضرى من حيث أنماطه ، فإنه يبرز أمامنـا نمطان أساسيان : الأول : يتمثل فى التخطيـط الفـيزيقى ، والثـانى : يتمثل فى التخطيط الاجتماعى . على أن كلاً منهما يتداخل مع الآخـر خاصـة علـى المستوى المحلـى . فاسـتخدام الأرض ، وشـكل البنـاء والتخطيط الفيزيقى ، كلهـا تعتمـد علـى قيـم الجماعـات التـى تسـكن الحضر فى مرحلة زمنية معينة .

ورغم ان المخططين يحاولون الاختيار ما بين التركيز على واحـد من هذين النمطين ، ورغم صعوبة مثل هـذا الاختيـار ، أى أن التميـيز بينهما على المستوى التحليلى أمر ضرورى . فالتخطيط الفـيزيقى يهتـم أساسـاً بالتيسـيرات الحضريـة ، والعلاقـات القائمـة بينهمـا ، ونتـائج استخدام هذه التيسيرات ، بينما يهتم التخطيط الاجتماعى بخلق أنماط سلوكية ملائمة ، وخلق قيم جديدة ، والمحافظة على القيم المرغوبة فى الحياة الحضريـة ، ووسائـل إشبـاع هــذه الحاجـات ، وأسـلوب تحقيق التكامل الاجتماعى بين سكان المجتمع الحضرى [1] .

ولما كانت المدينة الحديثة تنظيماً اجماعياً معقداً ، وعليهــا أن

(1) Boskoff, op. cit. pp. 335-336.

تشبع حاجات سكانها المادية والروحية من خلال تنظيمات معقدة أيضاً، ولما كانت أعباء المدينة مرهقة بحيث يمكن القول أن كل منزل جديد يعنى عبئاً جديداً فى المرور ، والتعليم والغذاء ، والكساء ، والترويح ، فإن ذلك كله يفرض خياراً بين أنماط التخطيط [١] .

فعلى سبيل المثال ، فإنه فى ضوء وضعية الحياة الحضرية هل نختار التخطيط الإصلاحى corrective planning أم نختار التخطيط الإبداعى الخلاق creative planning .

وجدير بالذكر أن الاختيار بين أى من النوعين سوف ينعكس على التكنيكات المتبعة فى العملية التخطيطية بأسرها . ولتوضيح ذلك نجد أن التخطيط الإصلاحى يهتم بإصلاح وعلاج المشكلات القائمة فى المجتمع الحضرى فى مجالات مثل الطرق ، والمرور ، وإعادة تنمية قلب المدينة ، أو جزء آخر منها . كما يهتم بحالات معينة بهدف الإصلاح ، أو العلاج أو التعديل هذا بينما يعتمد التوجيه الإبداعى بالمستوى العام ، والشامل . كأن يهتم بخلق مناطق حضرية جديدة متكاملة ومخططة ، بشكل جيد ، يأخذ فى الاعتبار بالاتجاهات الحديثة فى التخطيط الحضرى ، كالمناطق الخضراء ، وبرامج الصحة العامة ، والترويح العام وغير ذلك [٢] .

---

(1) gallion & Eisner, op. cit. p. 186 .

(2) Boskoff, op. cit, 336 - 337 .

هذا ويذهب البعــض إلى أن التخطيـط الإصلاحـى يعتـبر مقدمـة ضرورية للتخطيط الإبداعى ، ويسوق هؤلاء النموذج الأمريكـى فـى هـذا المضمار ، فقد أقام المخططـون هنـاك رابطـة بـين هذيـن النمطـين إطـار الخطة السيادية أو العامة Master plan . ومع ذلك فإن هناك تساؤلاً سيظل معلقاً ، وهو إلى أى مدى تسـطيع الإجـراءات الإصلاحيـة ، أن تعد الإقليم الحضرى بشكل واقعى لعمليـة أكـثر صعوبـة ، وهـى تنفيـذ خطة ابداعية تتسم بالشمول والعمومية ؟ وربما يطرح هذا التساؤل نفسه فى ضوء ما يوجد للتخطيط الإصلاحى من انتقادات ، لعل من أهمها ، أنه يفتقر للتكامل ، ويغيب عنه مفهـوم الإقليـم الحضـرى – أى يفتقـر للنظرة الواسعة ، وأنه قد يحدث آثاراً غير مرغوبـة ، وغـير متوقعـة ، وأنه يهتم بأمور عارضة ، ويغفل الجوانب الأساسية [1] .

ومن ناحية أخرى فـإن التخطيـط الإبداعـى هـو الآخـر ، يـزال مسألة خلافية تكنتنفها بعض الصعوبات ، ويعتقد البعض أنه ينطـوى على مسحة مثالية طوباوية ويحتاج لطاقات خارقـة ، ومـع ذلـك فإنـه ينبغى أن نحدد الدرجة التى يمكن عندها القول بأن الأهداف الواقعيـة لهذا التخطيط قد تحققت .

---

(1) Ibid, pp. 356 - 358 .

الفصل التاسع

المجتمع الحضرى فى الشرق الأوسط فى عصر ما قبل الصناعة

تمهيد (*)

تكاد منطقة الشرق الأوسط تكون صاحبة أقدم تاريخ فـى التطـور الحضرى المستمر ، لكن العوامل التاريخية التى لاتزال تؤثر فى الحيـاة الحضرية فى المنطقة لاتمتد لأبعد من فترة ظهور الإسلام ، وما تلاه مـن فتوحات عربية إسلامية فى القرن السابق الميلادى . وفى الوقت الـذى كانت فيه الحضرية فى أوربا تعانى مما سمى بـالعصور المظلمـة Dark ages تلـك التـى تلـت انهيـار الامبراطوريـة الرومانيـة ، كـان العـرب منهمكـون فـى خلـق وبنـاء مـدن جديـدة ، ويجـددون المـدن الرومانيـة القديمة فى مصر والمشرق ، والمدن الساسـانية فـى فـارس . وقـد كـانت الفترة التى تلت ذلك ثقافة حضريـة متطـورة . وعـبر العصـور الوسـطى تشعبت الحياة الحضرية فى الشرق والغرب بشكل كبـير ، وفـى نفـس الوقت شكلت كل هذه الأنماط الحضرية المتنوعة خطـاً تطوريـاً مختلفـاً تماماً [٢] . ولقد كان الديـن الإسـلامى هـو المؤثـر الأساسـى فـى توجيـه

(*) سبق نشر هذا الفصل والفصل قبل السـابق لـه فـى ترجمـة كتـاب كوسـتيللو ، التحضر فى الشرق الأوسط ، ترجمة عبد الهادى والى ، وغريب سيد أحمـد ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٨١ .

(2) Hamdan, I. The Pattern of Medieval Urbanism In the Arab World, georaphy XL VII (1962) 121 - 34 .

التطور فى مدن الشرق الأوسط ، والمدن الفارسية فى العصور الوسطى . ولكن الأمر الذى ثار حوله الجدل هو إلى أى مدى . وبأى طريقة كان هذا التأثير .

المدينة الإسلامية : *The Islamic city*

حينما نتعرض للمدينة الإسلامية ، فإن هناك ضرورة للتمييز بين الوظائف المتعددة التى تقوم بها ، فهناك وظيفتها كسوق ، ووظيفتها كمركز رأسمالى ، ووظيفتها كمركز للحج Pilgrimage ، أو وظيفتها كقاعدة عسكرية . كما أن هناك ضرورة لتوضيح جذور هذه الوظائف ، فعلى سبيل المثال تختلف المدن التى أنشأها العرب الفاتحون ، والحكام المتأخرون ، عن تلك المدن التى كانت قد نشأت بشكل تلقائى ، ونعنى بها المدن التى كانت فى الجزء الغربى من العالم الإسلامى بين البحر المتوسط والصحارى العربية ، والتى اشتملت على تراث عام إغريقى ، رومانى ، بيزنطى ، وهذه ذات خصائص تختلف عن تلك التى توجد فى منطقة الثقافة الفارسية ، بين المحيط الهندى ، والسهول والصحارى التركية [1] . وفضلاً عن هذه المميزات

---

(1) Hourani' A. The Islamic city in the light to recent Resarch in The islamic city ed. A. Hourani & S. stern , London , 1970 , pp. 0-10

والفروق الوظيفية ، فإن هناك - بالطبع - اختلافات وفروقاً في خصائص المدينة الإسلامية ذاتها عبر الزمن .

إن اهتمامنا هنا يتركز في التساؤل عما إذا كانت هناك أية ملامح عامة في مدن الشرق الأوسط الإسلامية ، والتساؤل عما إذا كانت هناك أية ملامح عامة في مدن الشرق الأوسط الإسلامية ، والتساؤل عما إذا كانت هذه الملامح تؤثر في نمط الحياة الحضرية اليوم ، وكيف يتم هذا التأثير ..؟ وفي البداية سوف يكون من الملائم أن نقارن بين المدينة الإسلامية ومدينة العصور الوسطى الأوربية . وقد أشار فيبر معتمداً على أفكاره عن المدينة الغربية - إلى أن أي مدينة يمكن أن نميزها بموقعها ، وتحصيناتها ، وأسواقها ، ووجود محكمة تطبق قانوناً خاصاً ، وعلاقات حضرية متميزة ، واستقلال ذاتي نسبي [1] . وبينما كانت مدينة ما قبل الصناعة Pre Industrial city في العالم الإسلامي ذات سوق ، ومن حولها حائط ، إلا أنها لم تكن تنطوي على مميزات قانونية ، كما لم يكن لها دستور ، ذلك لأن القانون الإسلامي يؤكد على أن معتنقيه سواسية سواء عاشوا في المدينة أو في الريف ، هذا بالإضافة إلى أن المدينة لم تكن تطبق الحكم الذاتي ، كما لم يكن لها وضع مكاني متميز . ولقد ناقش حوراني الدور المتعدد Multifarious

(1) Weber. M. The city , New York , 1958, p. 88 .

للمدينة فى المجتمع الإسلامى ، فأشار إلى أن المدينة والظهير الزراعى الذى تحصل منه على غذائها ، والذى تبيع اليه جزءاً من إنتاجها الصناعى ، يمكن تحليلهما فى ضوء علاقات الاعتماد المتبادلة القائمة بينهما ، وفى ضوء الاعتماد المتبادل بين الحكومة والمجتمع . وقد كان الريف يحتاج إلى حاكم ، وجيش وإدارة من أجل تطبيق القانون ، والنظام . كذلك احتاجت المدينة إلى حاكم ليطبق نوعاً من الضبط على الريف ولكى يدعم القوانين التى تسمح بقيام حياة حضرية معقدة . من ناحية أخرى كانت الحكومة قادرة على دعم نظامها الإدارى وتمويل الجيش من حصيلة الضرائب التى تحصل عليها من المدينة . وقد أخذت هذه العلاقات المتبادلة شكلاً متميزاً فى مرحلة الحكم الإسلامى فى الشرق الأوسط واستند ذلك إلى عاملين الأول: يتمثل فى ظاهرة احتكار السلطة السياسية على مدى قرون طويلة ، بواسطة الجماعات السياسية العسكرية التى كانت من أصل تركى ، وهؤلاء حافظوا على وجود مسافة معينة بينهم وبين الشعوب التى حكموها ممن يتكلمون العربية ، أو الفارسية . والثانى : هو الارتباط الوثيق بين البرجوازية التجارية ، وطبقة العلماء (وهى طبقة مفسرى القرآن الكريم ، والسيرة النبوية ، والقوانين المشتقة من هذين المصدرين [1] .

---

(1) Hourani, A. op. cit. pp. 16-18 .

وقد أمدت عوامـل الـثروة ، والنسـب ، والتقـوى ، والثقافـة ، جمـاعتى الـبرجوازيين والعلمـاء بالهيبـة ، والشـفاعة . وقـد ارتبطـت الجماعتان معاً بالزواج والمصاهرة ، وقد سهل لهم ذلـك الحصـول علـى موقع قيادى حضرى . ولكـن نـادراً مـا أمدهـم بإمكانيـة تحـدى إرادة الحاكم وقوته . ولم يكن العنصر الدينى يتضمن . سلماً طبقياً أو وظيفـة كهنوتيه ، ولم يتمكن هذا العنصر فى حد ذاته من تحقيق تكامل أجزاء المدينة فى إطار سياسى كلى . لكن هذا الأمـر كـان يحـدث عـن طريـق الحاكم الذى ظل على مسافة معينـة مـن بقيـة المجتمـع ، يحكـم مـن خلال جماعة تتضمن عائلته ، أهله ، وموظفيه . وجيشه ، وحاشيته، وهؤلاء جميعاً كانوا علـى ولاء لشـخصه وحـده . ليـس هـذا فحسـب ، ولكن هذه الجماعة الحاكمة قد عاشت فى معسـكر إدارى منفصـل فـى القاهرة ، بينما كان الكثير من أوجه النشاط التجارى مثـلاً علـى مقربـة من الفسطاط فى مصر .

ولقد كانت إدارة المجتمع الحضرى ، أو حكمه ، تتم عن طريق حـاكم ، وإلى جانبـه موظفـين متنوعـين ، بعضهـم مسـئول عـن النظـام العام، والبعض الآخر عن العدالة ، بينما يتولى آخـرون الإشـراف علـى شئون العبـادة . ثـم إن رؤسـاء القـرى ، ورؤسـاء الأحيـاء فـى المـدن ، والحرفيون، ومجتمعات غـير المسـلمين ، كـانوا جميعـاً مسـئولين أمـام

الحكومة عن حفظ النظام ، ودفع الضرائب وقد كان من الممكن أن تصبح العلاقة بين الحكومة والمحكومين وثيقة ، طالما أن الموظفين كانوا يختارون من سكان الحضر ، وطالما أنه لم تكن بين الحاكم ورؤساء المجتمعات المحلية ، مؤسسات رسيمة وسيطة ، ومع ذلك فإنه خلال العصور الوسطى لم يكن فى نظام الحكم الإسلامى مؤسسات مشتركة ، كالاتحادات ، والنقايات . وعلى الرغم من وجود ملامح للحياة الحضرية ، خاصة الجماعات ، والسوق ، والفندق والأسوار، والبوابة، تلك الملامح التى انتقلت من مرحلة ما قبل الإسلام ، إلا أنه لم يبق شيء من ملامح الحياة المحلية الموحدة ، والتى وجدت فى العصور القديمة [1] . ولقد كان تزايد النقابات واتحادات الحرفيين ، ونظم الرهبنه ، ومجالس المدن ، وغير ذلك من المؤسسات الرسمية ، كل هذه كانت سمات خاصة بحضارة العصور الوسطى فى الغرب ، وأن غيبة أى من هذه النظم كان أمراً تشترك فيه الحضارة الإسلامية وحضارات ما قبل الصناعة .

وإذا كان القانون الإسلامى لم يعرف النقابات ، أو الاتحادات، إلا أنه عرف نظام الأسرة كوحدة اجتماعية فى مركز متوسط بين الفرد

(1) Setern, S. M., The canstruction of the Islamic city, in The Islamic city, (ed.) A. Hourani & Stern, Oxford, 1970.

والمجتمع الكلى ، وقد عرف الأسرة باعتبارها حائزة وناقلة للملكية . وكان للأسرة الحق فى المعيشة فى حدود منزلها طالما أنها تحصل على ضروراتها الأساسية – كالماء والعلاج – من قبل المجتمع . لقد طالب الفرد بخصوصيته الكاملة عن المجتمع ، وحقق ذلك من خلال منزل الأسرة ، وبالتالى لم يكن هناك إحساسا بالتوحد مع سكان الحضر ككل كذلك كان إنشاء الحدائق ، والأسواق ، والحرص على مساحات الفضاء داخل المدينة ، كل ذلك نتيجة لاهتمامات وكرم الجماعات الحاكمة ، أو إلى حد ما لجهود القادة المدينيين (1) .

لقد كان الشكل الفيزيقى للمدينة الإسلامية يعكس إلى حد ما بناءها الاجتماعى رغم تنوع الوظائف التى تقوم بها مدن مختلفة ، إلى جانب التنوع أو الاختلاف فى الموقع ، والمناخ ومواد البناء ، والفروق الثقافية ، والاختلافات المرحلية ، كل هذه الأمور جعلت لكل مدينة نمطاً خاصاً وشخصية متميزة . فبعض المدن طور خطة شاملة فرضها حاكم معين ، فى وقت معين ، ولكن رغم ذلك فإن المناطق السكنية كانت عبارة عن خليط عشوائى من الأزقة الملتوية twisting Alleyways وسطها وجدت فناءات مفتوحة ، بطريقة غير مخططة ،

(1) Scalon, G.T. Housing and Sanitation : Some aspects of Midieval Islamic Public Services , in The Islamic city, Ibid .

استخدمت كسوق ، أو مكان للترويج ، أو لبعض الأعمال التنفيذية ، أو الشعائر الخاصة بالجنائز . ومع كل هذا فقد كانت هناك عدة ملامح عامة ومشتركة بين معظم المدن .

وأول هذه الملامح وجود مقر للسلطة العسكرية الحاكمة – وهو عبارة عن القلعة التى كانت فى الغالب تبنى على موقع محصن بطبيعته ويسهل الدفاع عنه . وفى كثير من الحالات – كما فى خوارم أباد فى إيران – لاتزال هذه القلاع سليمة وتؤدى دورها حتى الآن . والسمة الثانية تتمثل فى القصر الملكى الذى يوجد فى المدن الكبرى ، وهو عبارة عن منزل الحاكم ، وحاشيته الكبيرة Enturage ، وهذا القصر بمشتملاته ربما يشكل حيا مستقلاً ومنفصلاً عن غيره ، كما كان الحال فى القاهرة القديمة (الفسطاط) وقد يشكل الحى الملكى مقاطعة بأكملها وسط تجمع حضرى قائم ، مثلما كان قصر (توبكابى Topkapi فى اسطنبول) أما القصور الملكية الصيفية فقد كانت فى بعض الأحيان خارج أسوار المدينة كما هو الحال فى (فان Fin) بالقرب من كاشان بإيران . والسمة العامة الثالثة كانت تتمثل فى وجود مركب من المؤسسات ، والمبانى المرتبطة بالمسجد المركزى ، والسوق المركزية ، حيث كان المسجد المركزى يقوم بوظيفته كمكان للصلاح ، وساحة للعدالة وبؤرة فكرية وتعليمية ، هذا فضلاً عن كونه

مقراً لأوجه نشاط دنيوية Secular كالأكل ، والمشرب والترويح [١].
وقد اشتمل المسجد المركزى على قبة Dome ، ومئذنة Minaret وعادة ما كان أكثر مبانى المدينة ارتفاعاً . وكانت المدارس الدينية ودور العبادة الأخرى مرتبطة بالمسجد ، وعلى مسافة من المسجد ، والقصر الملكى الذى كان مقراً للإدارة ، لم تكن هناك مبان رسمية قريبة من عامة الناس أو يسهل وصولهم إليها . وكانت المحكمة غير متميزة فى نمطها المعمارى أو الهندسى عن منازل الطبقة البرجوازية [٢] . وعلى مقربة من المسجد وجد مستشفى ، حيث كان الطب فرعا هاماً من فروع التعليم ، فضلاً عن الحمامات العامة ، ودورات المياه العامة التى كانت منقولة عن التراث الحضرى الرومانى والبيزنطى . وكان الحمام العام مكاناً للاتصال الاجتماعى غير الرسمى ، حيث كانت تتم فيه إجراءات التطهر ، والرعايا الصحية ، إلى جانب التدليك (المساج) ، وفضلاً عن ذلك فقد كانت الخلوة فى الحمام العام تتيح للنسوة فرصة للتلاقى فى جماعات ليناقشن أمورهن الخاصة .

---

(1) Ismail, A. A. Origin , Ideology and Physical Patterns of Arab Urbanization, Ekistics 195, 1972, pp. 113 -23 .

(2) Graber, O. The illustrated Maqamat of the Thirteenth century : The Bourgeoisie and the Arts , In Islamic city. ed. A. Hourani & s. Stern, London 1970, p. 213 .

ثم كانت هناك أوجه نشاط تجارى بسيطة أو محدودة في كل المدن ، ولكن حجم ومدى السلع والخدمات المقدمة كان يختلف وفقاً لحجم ووظيفة المدينة . ولقد كان السوق (أو البازار Bazaar) مغطى عادة للوقاية من الظروف الطارئة ، وبداخل مبنى السوق وجدت المحال التجارية ، وعدد كبير من الأضرحة Shrines وفى المراكز التجارية الأكبر وجدت فنادق صغيرة أو نزل khans or Caravanserais ، مصممة للتلاءم مع لقاءات التجار ومقابلاتهم ، إلى جانب تخزين البضائع . وقد اشتملت هذه الفنادق على فناء - ذو سقف في بعض الحالات - وحول هذا الفناء وجدت صفوف من المخازن ، والمكاتب ، وكانت محصنة ببوابة قوية . أما محال البيع بالتجزئة فقد كانت شبيهة بما هو موجود الآن ، من حيث الصغر ، والزحام ، وكانت تغطى جدران السوق لأنها كانت لصيقة بها . ويوضح لنا تراث العصور الوسطى شكل المتجر الذى يبيع اللبن والتمر على أنه ببساطة عبارة عن فجوة صغيرة ومفتوحة فى الحائط [1] .

والسمة العامة الأخيرة لمدن الشرق الأوسط هى نمط المنزل ففى بلاد الفرس والعرب كانت الوحدة السكنية الأساسية هى المنزل الذى يتكون من عدة طوابق توجد بشكل دائرى حول فناء مركزى . وغالباً ما كان يوجد حوض للمياة على هيئة بركة فى هذا الفناء . وكانت

(1) Ibid , P. 214

فتحات المنزل توجد إلى الداخل تجنبا للهرج والمرج Hurly - Burly أو ضوضاء الحياة العامة . إن الشكل الذى وجد عليه المنزل فى هذه البلدان كان نتيجة لظروف المناخ ، ومتطلبات الحياة الأسرية ، والأيدلوجيا الإسلامية فكثير من بلدان الشرق الأوسط توجد بها درجات حرارة عالية فى نهار الصيف ، مع درجة رطوبة عالية فى ليلة . أما الرياح الجافة فهى عامة . ومع ذلك فإنه كان يتم مواجهة مشكلات المناخ داخل المنزل التقليدى عن طريق عدد من وسائل التكيف . فأجزاء كثيرة من المنزل كانت تلائم أوقاتاً مختلفة من النار ، وأوقاتاً مختلفة من العام ، حيث كانت كل الحجرات تفتح على الفناء الداخلى ، وكانت النوافذ فى الحوائط الخارجية قليلة وربما غير موجودة ، وكان الموجود منها صغير الحجم ، هذا فضلاً عن أن ارتفاع سور الفناء ، وضيقة كان يجعل العزلة صارمة . وفى ليالى الصيف كان من الممكن أن ينام الشخص فوق سطح المنزل ، وفى نفس الوقت، كان هواء الليل البارد يتجمع فوق السطح يهبط فى فناء المنزل ، بينما يساعد الجزء المغطى من سطح الفناء على تبريد المنزل فى فترة إشعاع الشمس نهاراً [1] . وكان الضوء يصل للمنازل من خلال شبكة مثبتة على النوافذ بحيث لاتجعل الإضاءة كئيبة ، ولا مبهرة [2] .

---

(1) Dunham, D. The Courtyard house, a temperatature regulator, The New Scientist. 1960, 663 - 6 .

(2) Ismail. Op. cit. 115-16 .

ولقد كان التأكيد على خصوصية الأسرة يعنى الفصل بين الـزوار إذا كان ذلك ممكناً ، فقد كان يتم استقبال الزوار ، والأصدقـاء الرجـال فـى الحجـرات العامـة ، بينمـا بقيـة الحجـــرات - أو الحـــرم ضمـــن مقدسات الأسرة . ومن أجـل ذلـك كـان المـنزل يقسـم إلى أدوار عليـا ، وأخرى سفلى . وكـان الأصدقـاء يسـتخدمون الأدوار السـفلى فقـط ، أو على الأقل يكـون هنـاك فنـاء منفصـل لحـرم المـنزل [1] . وكـان النـاس يحافظون على بقاء الفناء محدوداً أو ضيقاً ، لأن الفناء الصغـير تسـهل حمايته من وهج الشـمس . وعلـى هـذا فـإن الأسـرة الحضريـة الكبـيرة

---

(١) فى إطار التساؤل الذى اثاره المؤلف فى بدايـة الفصـل عـن مـدى التأثـير الـذى أحدثته ملامح الحياة الحضرية فى المدينة الإسلامية على نمط الحياة الحضرية اليوم ، يمكن أن نشير هنا إلى أن هناك الكثير من العناصر الخاصة بنمط المنزل لاتزال مؤثرة حتى الآن ، مثـل تفضيـل السـكن فـى (داره) مسـتقلة ، محاطـة بسورة عال ، والتمسك بوجود فناء يعزل هذه (الداره) عـن غيرهـا ، والتمسـك كلما كان ذلك ممكنـاً بـأن يكـون المسـكن مـن دوريـن ، مـع تخصيـص مكـان لاستقبال الرجال وآخر للزائرات وتقديس حرم المـنزل ، وهـذه الأنمـاط لاتـزال سائدة فى مدن بلدان مثل السعودية والكويت ، وليبيا ، والسودان ، وإمـارات الخليج . وهو نمط ذو تأثير على وحدة الجوار فى هذه المجتمعـات مـن حيـث القضاء على عمق العلاقات فيه ، وعدم إمكانية تشكيل رأى عـام مـن خلالـه ، أو تصميم مشورعات عامة تعتمد على وحدة هذا الجـوار . وهـذا مجـال واسـع لأبحاث عن التحضر والجوار فى هذه المجتمعات .

كانت تعيش أو تستخدم عدداً من الفناءات المترابطة أما الأسر الفقيرة فلم تكن تستطيع الحصول على مبان قابلة للتقسيم إلى حجرات عامة وأخرى خاصة ، فضلاً عن أن هذه الأسر لم تكن تستقبل كثيراً من الزوار .

وهنا يتضح لنا أن المدن الإسلامية فى الشرق الأوسط كانت تشترك فى ملامح عامة من حيث الأيديولوجيا ، وبناء المجتمع ، والحكومة ، ومن حيث الشكل الفيزيقى . أما من حيث التفاصيل فقد كانت الحكومة ، وطرائق الحياة تختلف بالطبع وسوف نتناول بالدراسة أمثلة لأشكال مختلفة للمدينة لنوضح ما تنطوى عليه من سمات خاصة ، وفى نفس الوقت نوضح كيف كانت كل منها تتضمن تنوعاً واختلافاً داخل إطار عام واحد . وفى سبيل ذلك سوف نتناول نموذجين من العصور الوسطى ، تلك التى حدث بعدها تدهور داخلى فى المجتمع الإسلامى ، إلى جانب غزو العناصر الأوربية للمنطقة ، الأمر الذى أثار بعض التغيرات فى طرق الحياة فى اتجاه مختلف عن النموذج التقليدى ، وفى نفس الوقت سوف نتناول مثالاً ثالثاً يوضح أنه رغم هذه التغيرات فان الشكل العام للتحضر فى المجتمع الإسلامى قد استمر فى أماكن كثيرة فى القرن الحالى .

إن الكثير من معلوماتنا عن المدن الإسلامية فى عصر ما قبل

الصناعة فى الشرق الوسط قد جاءت من مصادر ترتبط أساساً بالمدن الكبرى ، بينما حصلنا على المعلومات الخاصة بالمدن الأصغر فى الغالب من الأعمال الأثرية Archaelogical التى تحاول جمع الأجزاء المتفرقة معاً لتشكل صورة عن الحياة الحضرية ، والمجتمع الحضرى من دراسة المبانى والحرف وغيرها ، كما هو الحال فى سيراف على الخليج [1] . ولما كان من الصعب التعرف على طبيعة التنظيم الاجتماعى ، من خلال الأوضاع الفيزيقية ، والأشكار المرتبطة بها وحدها ، فإننا بناء على ذلك سوف نحرص فى الأمثلة التى سنتناولها على الحديث عن تلك المدن اعتمدت الدراسات المنشورة عنها على مصادر مكتوبة .

العصور الوسطى :

لقد قدم س.د. جويتن S.D. Goitein صورة شاملة عن المجتمع الحضرى فى الفترة ما بين ٩٦٩ إلى ١٢٥٠ ميلادية ، مستعيناً بالوثائق الموجودة فى دار الجينزا بالقاهرة Giaro Geniza (وهى غرفة تحفظ فيه الأوراق المهملة) وقد كان أبناء الطبقة الوسطى من اليهود يودعون فيها خطاباتهم ، وسجلات المحاكم ، وحسابات

---

(1) Whitehonse, D. Excavations at Siraf, Fifth interim Report, Iran X (1971), pp. 63-87.

أعمالهم ، وتراثهم فى الفترة من القرن العاشر إلى القرن التاسع عشر الميلادى ، معتقدين أن الكتابات والوثائق التى تحمل اسم الله ، يجب أن تدفن شأن الجسد الإنسانى ، ولايجب إعدامها .

وفى الفترة من ٩٧٠ إلى ١١٢٠م بشكل خاص ، وفى ظل الحكم الفاطمى انتعشت مدن شرق البحر المتوسط ، حيث كانت الظروف تسمح بالتجارة الدولية على نطاق واسع . كما كانت تسمح بحرية الاتصال Communication . وقد كان المجتمع الحضرى فى هذه الفترة يتمتع بدرجة عالية من حرية المشروع التجارى ، والتسامح الدينى. وقد كان يحكم القاهرة قائد عسكرى، يساعده مراقب للشرطة، وقاض للمدينة يتمتع بصلاحيات تشريعية وإدارية واسعة . ثم كانت المدينة تنقسم إلى مناطق فرعية لكل منها ناظر أو مراقب ، وكان هناك نفر من العسس أو حرس الليل Nightwatachmen ، وقوات للخيالة النظامية المرتبة ، مهمتها حفظ النظام ، خاصة فى المناسبات التى كانت تندلع فيها الحرب بين الجماعات المتزاحمة فى المعابد اليهودية Synagogues [1] . وقد كانت الشرطة السرية Secret Police أو المخبرين Informants مستقلة عن قاض المدينة ، حيث كانت لهم أهمية خاصة فى مواجهة الجماعات الدينية السياسية ، ذات النشاط التخريبى Subversive .

(1) Goitein, S. D. Ciaro : An Islamic city in the light of the Geniza Documenta, in, Middle eastern cities, ed; I. M. lapidus Berkeley and Los Angeles, 1969. p. 91.

أما الروابط بين القاهرة ومناطق ظهيرها الزراعى فى هذا الوقت، فكانت تعتمد على الاتصالات الشخصية ، فكثيرمن أبناء الطبقة الوسطى ، والأغنياء أيضاً ، كانوا يمتلكون ويديرون بأنفسهم أرضاً زراعية ، وكانوا يزراعون الزيتون ، ويربون الأغنام ، ويتعهدون الكروم وما يرتبط به من صناعات ، لكن الشاق من الأعمال كان يقوم به الفلاحون. وربما كانت هناك كراهية فطرية للحياة فى المناطق الريفية، ويذكر لنا جويتن مثالاً عن امرأة يهودية قالت فيه أنها لن تذهب مع زوجها للإقامة فى منطقة ريفية معينة [1] . وقد دمج ابن خلدون ، وهو من أكبر مؤرخى العصور الوسطى المسلمين ، بين فئتى الفلاحين ، والبدو الرحل ، وأشار إليهم باعتبارهم غرباء ، كما أشار إلى أن الزواج بين رجل حضرى وامرأة ريفية يعتبر أمراً غير ملائم .

(1) Ibid, P. 96 and Goitein, S. D. Mediterranean Society : The Jewish Communtiy of Arab World, Vol. 1. Economic Foundations, Cambridge, Mass., 1967, p. 76.

المثال هنا عن سيدة يهودية ، ولايعنى أنه كانت هناك كراهية فطرية لحياة الريف ، بل قد يكون الرفض راجعاً لإدراكها مدى هيمنة الاتجاهات الدينية على المجتمع الريفى فى مصر ، وأن هذا المجتمع ربما يلفظها إن هى اقامت مع زوجها هناك ، وهناك عشرات من الأمثلة على عدم تقبل بعض المجتمعات الريفية لأناس مختلفين في الديانة ، الأمر الذى أدى بهؤلاء إلى هجرة هذه المجتمعات والإقامة فى المدينة حيث الحياة أكثر علمانية .

ولقد أشارت وثائق الجنيزا إلى طبقتين اجتماعيتين فقط ، الأولى هى الطبقة العليا من رجال الأعمال ، أو أصحاب البنوك ،والثانية هى الطبقة الدنيا ، وتشمل من يعلمون بالأعمال اليدوية ، ولم يشكل عمال الحكومة ، أو ذوى التعليم الدينى طبقة محددة المعالم [1] . وهذا التقسيم الخام إلى طبقة عليا ، وأخرى دنيا يتضمن عدة فئات أو شرائح أخرى . فالطبقة البروجوازية ، متضمنة رجال الأعمال ، والمهنيين انقسمت إلى قسمين أو شريحتين ، كذلك الطبقة الدنيا التى كان يشار إليها على أنها طبقة المعدمين beggars . وتضمنت رؤساء الحرف (المعلمين) ، هذه الطبقة كانت تنقسم إلى الحرفيين Craftsmen ، والعمال . وفى أسفلها كان الفلاحون ومن يعملون فى مهن وضيعة .

وكان موقع الإنسان فى المجتمع يتحدد عن طريق أصله ، حيث كان الابن يعمل عادة فى مهنة الوالد ، ولكن إلى جانب ذلك كان التدين ، والتعلم محكين هامين ، حيث كان الورع الدينى ، ومهمة شرح وتفسير العقيدة Creed – سواء فى الإسلام أو اليهودية – أمراً مشرفاً . وهناك أموراً أخرى كانت تعزز المكانة الاجتماعية للشخص ، وأسرته ومن بينها الكمال والاستقامة ، وسمعة العمل ، وشهرة الكرم فى المناسبات العامة . وكثيراً ما ساعدت الموهبة الطبيعية

---

(1) Ibid, p. 75 .

أو حسن الحظ على تنقل الإنسان لطبقة أعلى ، ولاشك أن العكس كان يحدث أيضاً . وقد كـانت هنـاك مهـن يحتقرهـا الجميـع مثـل أعمـال النظافـة ، والجبايـة ، وتحصيـل الضرائـب ، والعمـل فـى الحمامـات العامة ، وفى بعض الحالات التى كان ينشأ فيهـا صـراع بـين الفئـات المختلفـة مثـل الأوليجاركيـة [١] ، الحاكمـة فـى المجتمـع اليهـودى ، والطبقة العليا ، وجنود الجيش ، كان ينظر لأفراد الجيـش علـى أنهـم ذوى منزلة دنيا لما كانوا يقومون به مـن أعمـال يدويـة وضيعـة ، مثـل جمـع المحـار Oyster والصباغـة . وصناعـة الخـزف والأعمـال التـى لاتتطلب أى نوع من المهارة [٢] . ولما كـان العمـل بـأجر يشبه إلى حـد كبير أعمال الرقيق ، فقد نظر إليه على أنه ينطوى على ضعة وحطة ، ومن هنا كان كل فرد يحرص على الدخول كشريك فى عمله كلمـا كـان ذلك ممكناً .

---

(١) الأوليجاركية : مصطلح يتكـون مـن أصلين إغريقيين Oligos وتعنى قلـة ، Arche وتعنى حكم ، وتعنى الكلمة فى جملتها حكومة القلة ، وبالذات القلة الفاسدة ، أو مجموعة الجشعين . وذلك فى الاستخدام القديم ، أما الاستخدام الحديث للكلمة فيغلب عليه كونها مرادفة للارستقراطية ، لأن الديموقراطيـات الحديثة تستنكر استئثار الأقلية بـالحكم (أنظر معجـم العلـوم الاجتماعيـة ص ٢٣٩) .

(2) Ibid, pp. 91-92 .

ثم إن المرأة كانت تقوم بقدر كبير من العمل . ليس فقط فى مجال العمل المنزلى الروتينى ، بل كانت تعمل فى الحرف أيضاً . وكان ضيق نطاق المشروع الصناعى يسمح بأداء أعمال كثيرة بالمنزل وكانت المهن التى تعمل فيها النساء كثيرة منها إعداد العروسين ليوم الزفاف ، والتمريض ، وحياكة ملابس النساء . ولكن لم يكن هناك سيدة محترمة تعمل فى الخدمات المنزلية مقابل أجر ، حيث كان هذا العمل من أعمال الجوارى ، اللائى كن يمثلن قطاعاً هاماً من القوى العاملة . وفى الواقع نجد أن بعض الباحثين المحدثين يذهب إلى أن وجود الجوارى ضمن حرم المنزل ، قد أسهم إلى حد ما فى تدهور مكانة المرأة ، وحريتها فى المجتمع الحضرى ، وذلك من القرن العاشر إلى القرن التاسع عشر [١] . أما الرقيق الرجال فى القاهرة الفاطمية ، فكان معظمهم ينخرط فى أعمال مالية وتجارية [٢] .

وقد شكل المسيحيون ، واليهود الذين عاشوا فى ظل الإسلام فى هذه الفترة مجتمعات خاصة بهم ، تمركزت حول الكنائس المسيحية ، أو المعابد اليهودية ، وهؤلاء شاركوا المسلمين فى اللغة ،

---

(1) Baer. C. Population and Society in the Arab East, London, 1964, p. 34.

(2) Goitein, op. cit. p. 147.

وفى الحياة الاقتصادية ، ومعظم العادات الاجتماعية . ولكن تركت لهم الحرية فيما يتصل بشئونهم المحلية أو الخاصة ، كما تركت لهم حرية العقيدة ، وتصريف أحوالهم الخاصة ، طالما كانوا ينتظمون فى دفع الضرائب ، أو يلتزمون ببعض الضوابط . وهكذا كانت أعراضهم ، وملكياتهم مصانة ، ومحفوظة ، طالما أظهروا الولاء للرؤساء والقادة ، والمؤسسات المركزية . وقد كان القانون شخصياً أكثر منها إقليمياً ، فقد كان يتم الحكم القضائى على الشخص وفقاً لقانون الطائفة أو الملة التى ينتمى إليها ، وليس وفقاً للمنطقة التى وجد نفسه فيها ، وعلى هذا فقد ظل القانون الجنائى هو أداة المحافظة على الدولة وحمايتها .

وكان التعليم ، والأعمال المتصلة بالصدقة أو الاحسان ، ورعاية الأرامل ، والأيتام ، وتحرير الأسرى ، والرقيق ، كل هذه كان المجتمع المحلى يتكفل بها . وقد اقتبس جويتن ، واحدة من الروايات الشخصية الواردة فى الجينزا ، وكانت عبارة عن خطاب شكر من رجل يهودى اعتنق الدين الإسلامى موجه لسيدة كانت تمده بالطعام فى الأوقات العصيبة التى مر بها ، ثم يقدم لها بعض الإرشادات الخاصة بصناعة الكعك الجيد ، وتذكيرها بعدم نسيان إضافة الزنجبيل الساخن إلى الكعك . وقد تمتعت المجتمعات المحلية الدينية بديموقراطية كافية حتى منتصف القرن الثالث عشر ، حيث فرضت

الإقطاعية العسكرية ، ورجال الدين المسلمين سلطانهم على المجتمع بأسره [1] .

وقد بنيت الفسطاط بأزقتها الضيقة ، وحاراتها الملتوية المسدودة والتى كانت تمثل نصف المدينة على الأقل ، ولم يرد ذكر لمناطق الفضاء العامة المفتوحة ولكن كانت هناك حظائر للمشاية ، ومناطق فضاء تستخدم فى بعض الأغراض ، مثل تجفيف الأقمشة ، وهو ما يتم على أسطح المنازل الشعبية الآن ، ومع ذلك فقد كانت هناك حدائق ، وأماكن للنزهة خارج محيط المدينة ، كما أشارت الوثائق إلى وجود بعض الحدائق الخاصة . ولايوجد دليل واضح على وجود نوع من التقسيم الإجبارى للأرض فى المدينة ، ومع ذلك كانت التقسيمات موجودة ، وتحمل أسماء عدة أطلقت على الأسواق ، والشوارع ، والميادين، وأشارت هذه الأسماء إلى أنواع معينة من التجارة أو الصناعة. ولم تكن التقسيمات صارمة ، فاليهود والنصارى، والمسلمون، كان يمكن أن يعيشوا فى منازل متجاورة ، وكان من الممكن أن نجد مسئولاً تنفيذياً يعيش فى شوارع العمال غير المهره ، والقاضى يعيش فى منطقة سوق المشروبات مثلاً ، ولقد كانت المنازل جاهزة للتحول إلى

(1) Goitein; A. Mediterranean Society : The Jewish Commuinuity of the Arab World. Vol. II; The community Combridge, Mass, 1971. pp. 1-5 .

محال تجارية ، كما أن كثيراً من الصناعات كالغزل والنسج كانت تتم فى منازل خاصة . وقد كان وجود الأطلال والخرائب سمة واضحة تغلب على المدينة ، وقد لاحظها الأوربيون فى القرن التاسع عشر . وقد نتجت هذه الخرائب عن ظاهرة السكن المشترك التى كانت ظاهرة عامة، مما أدى إلى إهمالها وعدم صيانتها ، هذا فضلاً عن ارتفاع أجور العمال المهرة ، فى الوقت الذى كانت فيه الإيجارات منخفضة . ولم يكن استخدام الأرض لأغراض متعددة يعنى أن قيمتها موحدة ، بل على العكس من ذلك ، فإن التحليلات الخاصة بأسعار الأرض فى الفسطاط تشير إلى أن المدينة كانت تنقسم إلى مناطق ذات قيمة مرتفعة، ومناطق أخرى ذات قيمة منخفضة [١] كل هذا رغم الاعتقاد السائد بأن مدن ما قبل الصناعة لم تكن توجد بها فروق كبيرة فى قيمة الأرض [٢] وتمثل الشواهد التى لدينا عن مدينة الفسطاط مؤشرات أخرى على أن الخلط بين الأغراض السكنية ، والصناعية فى استخدام الأرض يمكن أو يوجد فى مدينة ما قبل الصناعة ، هذا إلى جانب وجود مستوى ملحوظ لأسعار الأرض فى هذه المدن [٣] .

---

(1) Goitein, An Islamic city in the light of geniza, op. cit. pp. 86-97.
(2) Sjoberg, G. The pre-industrial city: past and present, New York, 1960.
(3) Costello; V.F. The industrial structure of a traditional Iranian city, 1973, pp. 108-120.

وفـى السـنوات التاليـة لعـام ١٢٥٠ ، وحتـى بدايـات القـرن السادس عشر كان المماليك يحكمون سوريا ، وفلسطين ، ومصر ، وقـد اعتمدت دولتهم على الجنـود المرتزقـة ، أو المستعبدين ، فقـد دعمـت أركان أمنها عن طريق جلب المرتزقة من البلدان البعيـدة ليـؤدوا بشـكل مستمر أدوارا عسكرية وإدارية هامة . وقد حل محل حريـة التجـارة ، والمواصلات الدولية التى تحققت فى عهد الفاطميين ، نظاماً أكثر قمعـاً وكبتاً . وبالتالى تدهورت الموانـىء البحريـة ، وانهـارت ، كمـا أهملـت الشواطىء عمداً حتى تكون عائقاً لهجمات الأساطيل الأوربيـة ، والتـى استمرت إلى مابعد سقوط أقوى القلاع الصليبية عام ١٢٩٩م .

ولقد تعرض لابيدو L. M. Lapidus بشىء من التفصيل للبنـاء الاجتماعى والتنظيـم السياسـى لمدينتـى دمشـق وحلـب خـلال العصـور الوسـطى المتـأخرة فـى ظـل الحكـم المملوكـى . ويذكـر لنـا أن الدولـة المملوكية كانت تعتمد على نسـق عسـكرى قومـى ، وتتضمـن طائفـة أو طبقة مـن الجنـود المرتزقـة ، ولكنهـم يمثلـون قمـة الهـرم الطبقـى فـى المجتمـع . وبعـد الصفـوة العسـكرية كـانت هنـاك طبقتـان كبيرتـان هما: البرجوازية المحلية، والمثقفون الدينيون ، ويلى ذلك عامة الشـعب الذين يمكن تقسـيمهم إلى: العمـال ، والحرفيـين ، وأصحـاب المحـال التجارية وغيرهم ممـن يتمتعـون بنـوع مـن الاحـترام الاجتمـاعى ، مـن

ناحية ، والفقراء والمتسولين ، وأولئــك الذيــن كــانوا يعملــون فــى مهــن وضيعة ، من ناحية أخرى . وقد نظم الذين يعملون فى أعمال محترمــة هــم والمنبــوذون Outcasts مجتمعــات محليــة ارتبطــت ببعــض أحيــاء المدينة . وقد كانت هذه الأحياء السكنية بعيدة إلى حد ما عن المســاجد المركزيــة ، والأســواق ، وكــانت لهــا أســواقها الخاصـــة ، وحماماتهـــا الخاصــة وغــير ذلــك مــن التيســيرات الحضريــة . وقــد اشــتملت قوائــم الإحصاء التى جمعت فى القرن السادس عشر على ســبعين حيــاً فضــلاً عن ثلاثين أخرى فى ضاحية الصالحية ، كما تضمنت حــوالى خمسـين حياً فى حلب [1] . ولقد كــان الحجــم المكــانى لكــل مــن هــذه الأحيــاء مختلفاً . ولكن عدد السكان فى كل حــى كــان يصــل إلى ألــف شــخص تقريباً .

ثم إن التضامن فى وحدات الجوار كان يقوم فى بعض الحــالات على الوحدة الدينيـــة فقد عــاش اليهــود ، والمسـيحيون فــى جمــاعــات خاصة ، بينما عاشت الجماعات العرقية الإسلامية كالعرب ، والأكراد وغـيرهم فــى جماعــات منفصلــة عــن بعضهــا . وعــبر الأغلبيــة العربيــة المسلمة كانت هناك عوامل تشــد النــاس للمعيشــة معــاً فــى حــى واحــد

---

(1) Lapidus L. M. Muslim cities in the later middle ages, Cambridge, Mass, 1967, p. 85 .

منها، الانتماء إلى أصل ريفى واحد . وبشـكل عـام كـانت المجتمعـات المحلية تتكون من أغنياء ، وفقراء ، مع أنه كانت هنـاك أحيـاء أكـثر غنى ، وأخرى أكثر فقراً . وقد تكفل الحى بوظائف خاصة فى المدينـة المملوكية . فقد شـكل وحـدة إداريـة يشـرف عليهـا الشـيخ الـذى كـان يختار من جانب الحكام المماليك فى المدينة وكان الشـيخ ناطقـاً بلسـان المجتمع المحلى – وكان الحى مسئولاً عن اعتقال المجرمين . فقد قـام الشيخ ببعض وظائف الشرطة هذا فضلاً عن أن الحى كان يعتبر وحـدة ضرائبية، وكانت معدلات الضرائب موقع تفاوض بين الشيخ والحكومـة. وفى أوقات الخطر وعدم الاستقرارا كـان علـى الحـى أن ينظـم أسـلوبة الدفاعى الخـاص ، فيقيـم المتـاريس والبوابـات وأقيمـت الأسـوار علـى حدود الحى خاصة أيـام الحكـم العثمـانى . ومـع كـل هـذا الاسـتقلال المحلـى لم تكـن الأحيـاء منعزلـة مثـل مجتمعـات الجيتـو Ghettos ولكنها كانت عبارة عن أحياء ، وشوارع متجاورة داخل المدينة .

ولكن كان التضامن المحلى عبر الجيرة مركزاً لدرجـة أن هنـاك صراعـات وحروبـاً طائفيـة كـانت تنشـب بـين الأحيـاء . وفـى بعـض الحالات كان المماليك أنفسهم يثيرون هذه الصراعات لخدمـة أغراضهـم الخاصة ، وكانت هذه الضغائن تحدث فى دمشق وحلب وفى الأحيـاء التى تقع خارج أسوار المدينة بشكل خـاص . وكـانت أسمـاء الطوائـف

تشتق من أصول قبلية ، وتشير إلى أن جبروت القبيلة والولاء لها لايزول بسبب الإقامة فى المدينة . وفى السنوات الأخيرة من الحكم المملوكى ، تلك الفترة التى شهدت عدم استقرار الصفوة المملوكية ، وخلفائهم فى الدولة العثمانية ، فى هذه السنوات تزايدت معدلات الهجرة الريفية الحضرية بشكل كبير . وكانت نتيجة هذه الهجرة وجود جماعات حضرية استمرت فى الاحتفاظ بعادات النظام الاجتماعى البدوى ، أكثر مما اكتسبت عادات الحياة المستقرة .

ومع أن الروابط المجتمعية كانت قوية داخل الأحياء ، إلا أنه لم تكن هناك روابط نقابية اقتصادية مستقلة ، وكانت نتيجة ذلك وجود مجتمع يمكن فيه توضيح المظالم الاقتصادية بدون العنف الاجتماعى . ثم إن العلاقات السياسية مع الطبقة الحاكمة الأجنبية كانت محدودة ، وكانت مسائل القصور فى المواد الغذائية ، أو نظام الضرائب الفاسد من أهم العوامل التى تشجع اندلاع المظاهرات فى الشوارع والهجوم على المسئولين ، وسلب المحال التجارية ، وغلق الأسواق ونهبها . ومع أن هذه الاضطرابات كان يمكن أن تتحول إلى عصيان وتمرد يعم المدينة ، إلا أن كلاً منها كان يثور من أجل هدف معين ، مثل إسقاط حاكم ، أو خفض الضرائب . كذلك المجتمعات المحلية توجد من أجل غايات محددة ، ولكن بصورة محدودة مثل

حالات تغيير شكل الحكومة ، أو حتى حالات التحريض على الثورة السياسية . وأبعد من ذلك فإن رجال الدين أو العلماء كانوا يدعمون النظام الجيد فى المجتمع . وينصحون بالولاء له .

أما الأشكال الأخرى للروابط الاجتماعية ، فكان من نماذجها جمعيات التآخى Fraternal ، وقد اهتم لابيدو بنموذجين منها ، الأول هو جماعات أو روابط صغار السن من الرجال والتى كانت تعرف باسم Zuar ، والثانى هو جماعات الصوفية Sufi ففى دمشق كانت جماعات الشباب هذه تتشكل على هيئة روابط تتم عضويتها عن اختيار ووعى ذاتى ، وكان يتولى قيادتها رئيس معروف . وكانت تقسيماتها وفقاً للأحياء ، وقد شاركت هذه الجماعات فى الدفاع عن الأحياء ، ودخلت ضد المماليك فى معارك ضارية فى بعض الأحيان ، وفى أحيان أخرى أدى بهم اقتناعهم ببعض الاهتمامات الخاصة إلى العمل كمساعدين للماليك . فكانوا مثلاً يقبلون العمل كجنود بالأجر من أجل كبح جماح البدو وسكان القرى . وكذلك من أجل ابتزاز الأموال من سكان المدن لصالح المماليك . ولما كان هؤلاء يشكلون جماعات منظمة ، فإنهم كثيراً ما كانوا يؤدون دوراً فى وقاية المجتمع المحلى من أخطار السلب ، والنهب ، والقتل ، أما الصوفية باعتبارها شكلاً آخر من أشكال الروابط الأخوية ، فقد كانت روابط دينية سرية ، لها تعليمات

تصدر عن مشايخ الطريقة وموجهيها . وهناك تصنيف كبير لمثل هذه الأوامر والتعليمات فى الدين الإسلامى .

وقد وجدت جماعة أدنى من الصوفية ، هى جماعة الحرافيش Harafish ، وهم جماعة الشحاذين Beggars الذين ينتمون إلى درويش Darvish ويلتزمون بأوامره ، وهؤلاء عاشوا على إحسان وصدقات السلطان المملوكى ، أو على العمل فى مهن وضيعة فى المجتمع ، وقد استخدموا فى بعض الأحيان مثل جماعة الـ Zuar ، فى الحروب الأهلية لصالح المماليك . وقد استخدموا مثل هذه الفرص من أجل السلب والنهب كلما أمكن لهم ذلك .

إن تجزء المدن إلى مجتمعات محلية صغيرة ، تعيش فى عزلة عن بعضها، وكان كل منها يمتلى بأعمال العنف من جانب المجرمين، كل هذا كان يرسم صورة واضحة عن التفكك ، وانعدام الأمن فى هذه المدن . ومع ذلك فقد كان المجتمع الحضرى فى العصور الوسطى المتأخرة مترابطاً – إلى حد ما – بفضل الانتماء العام للقيم الإسلامية ، وبفضل الاتفاق على هذه القيم . وقد قام العلماء[1] Ulama بتفسير هذه القيم العامة ، والدعوة للتمسك بها .

---

(١) العلماء : أطلقت كلمة العلماء على ذوى الثقافة الدينية ، وقد كان لهم دور كبير فى المجتمع مصحوب باحترام كبير أيضاً،فقد كانوا ولازال الكثير منهم=

كذلك فإن المدارس الإسلامية القانونية أو الفقهية المختلفة كانت تشكل إحدى دعائم الترابط فى مجتمع المدينة. وقد كان تنظيم الحياة الأسرية، والمعاملات التجارية، والتعليم ، من أعمال العلماء حيث كانوا يمثلون صفوة دينية ، ومهنية، وتجارية ، وإدارية فى وقت واحد. فضلاً عن دورهم كمتحدثين باسم أفراد المجتمع. أما إدارة شئون الدفاع ، والضرائب ، فقد تركت للمماليك نظراً لعدم وجود تنظيم مجتمعى محلى يشمل المدينة كلها . ويستخلص لايبدو أن سيطرة الحكام الأجانب فى العالم العربى خلال العصور الوسطى ، وبعدها ، كانت ترجع لنظام المجتمع الذى يتضمن مدناً مثل دمشق وحلب ولايمكن أن تحكم نفسها بنفسها كلية .

وقد كان انقسام المدينة إلى أحياء متعددة تشبه القرى ، يتضمن معان أخرى ، طالما أنه لاتوجد سمة اجتماعية ، أو جغرافية ، أو

= حتى الآن فى المناطق الريفية يسهمون فى فض المنازعات ، وعملية التوريث والقسمة بين أبناء المتوفى ، وكذلك الفصل فى بعض المواقف من الوجهة الدينية ، مثل الطلاق شفاهة وكيفية رد المطلقة ، والإفطار فى أيام الصوم لعذر أو آخر ، وحكم الدين فى ذلك . هذا فضلاً عن أدوار أخرى كثيرة دينية ودنيوية وبعضهم كان متخرجاً فى الأزهر الشريف ، والبعض الآخر لم يكمل تعليمه الدينى حتى المستوى الجامعى ، ولكن الكلمة كانت تطلق أكثر على الحاصلين على شهادة "العالية" من الأزهر الشريف

ايكولوجية ، يمكن إدراكهـا والاعتقـاد بأنـه مسئولة عـن جعـل المـدن مجتمعات محلية قائمـة بذاتهـا . ومـن الناحيـة الاجتماعيـة فـإن ولاء السكان فى المدينة يتجه نحو مجتمع الجيرة الـذى يعيشـون فيـه أكـثر مما يتجه للمدينة ككل . وقد كان مجتمع الجيرة بدوره ينتمى لإحـدى المدارس الفقهيـة الكبرى [1] . وربما كـان يحمـل اسـم واحـدة مـن هـذه المدارس . وفى نفس الوقت كانت هذه المذاهب أو المدارس والجماعـات الفقهية لها جماعات مناظرة فى القرى المجاورة وفى القرن الثانى عشر مثلاً نشب صراع محلى بين الطوائف المختلفة فـى منطقـة راى Rey ، وامتد هذا الصـراع ليشـمل القرى المحيطـة بهـا . وأن العلاقـات بـين القريـة والمدينـة كـانت قـد تدعمـت بفعـل الروابـط الاقتصاديـة ،

---

(١) تعددت المذاهب فى الإسلام ، إلا أنهـا جميعاً اتفقت فـى القـاعدة الأساسـية للدين ، خاصة ماورد فيه نص قرآنى صريح ، ولكنها تختلف فيمـا دون ذلـك حسب اجتهاد أئمتها ، ورغـم تعـدد هـذه المذاهـب إلا أن المشـهور منهـا الآن أربعة هى : (١) المذهب المالكى ، وهو مذهب الإمام مالك بن أنـس الأصبحـى المتوفى عام ١٧٩هـ (٧٩٥م). (٢) والمذهب الحنبلى ، وهو مذهب الإمام أحمـد بن حنبل المتوفى عام ٢٤١هـ (٨٥٥م) . (٣) المذهـب الشـافعى ، وهـو مذهـب الإمام محمد بن إدريس الشافعى المتوفى عـام ٢٠٤هــ (٨١٩م) . (٤) والمذهـب الحنفى ، وهو مذهب الإمام أبى حنيفة النعمان المتوفـى عـام ١٥٠هــ (٧٦٧م) ويشتهر المذهب الأخير بدقته فى مسائل الزواج ، والطلاق ، والتوريث .

والاجتماعية بين الأسر الريفية والحضرية ، حيث كان هناك من قبل نوع من التنافر الذى اتخذ شكلاً اقتصادياً ، واجتماعياً ، ودينياً واسع النطاق .

وكانت المدن تعتمد على مناطق الظهير الزراعى الإقليمى الذى يمدها بحاجات ولكن من حيث الوظيفة لم تكن للمدن سمات موحدة . أما التيسيرات الخاصة بالمناطق الحضرية مثل التحصينات ، والأسواق وحلقات التصوف ، والمساجد الرئيسية ، فقد كان يمكن أن توجد بل وجدت الآن بالفعل فى القرى . ولم يكن حجم المناطق السكنية مؤشراً يعتد به على أهمية المنطقة ، وذلك لأن معظم التعددات السكانية كانت تقديرية ، وكانت تميل فى الغالب للمبالغة . ومن ناحية أخرى كانت المدن نفسها عبارة عن تجمعات مركبة ، كما هو الحال فى أصفهان ، حيث كانت مناطق العمال غير المهرة ، ومناطق سكنى اليهود – باسم Yahudiah – تشكل وحدتان منفصلتان فى القرن العاشر ، وفى القرن السادس عشر أضيفت إلى المدينة منطقة خليج أرمينيا على الجانب الآخر من نهر سيفيد رود . ومن كل ذلك يتضح أن الفكرة الإسلامية عن المدينة كانت مختلطة .

التدهور الحضرى : *Urban decline*

فى نهاية القرن الخامس عشر ، وبدايات القرن السادس عشر

ظهرت قوتان هامتان من حيث تأثيرهما على طبيعة المجتمع الحضرى الإسلامى فى الشرق الأوسط . الأولى تمثلت فى اتساع نطاق الامبراطورية العثمانية بعد فتح آسيا الصغرى وسقوط الامبراطورية البيزنطية فى منتصف القرن الخامس عشر . وفى عمل الأتراك العثمانيون على إزالة ومحو كل ألوان التراث الحضرى غير التركى الذى وجد فى فترة ما قبل الإسلام ، خاصة فى سهل الأناضول . وبعد ذلك أطاحوا بالمماليك ، ووسعوا نطاق سيطرتهم لتشمل الشرق الأوسط كله تقريباً – باستثناء بلاد الفرس – والمناطق التى كانت موضع نزاع بينهم وبين الامبراطورية الفارسية . والثانية : أنه فى ظل الحكم العثمانى فإن نقابات الحرفيين – والتى كانت قد وجدت لبعض الوقت فى ظل الحكم الإسلامى – قد اكتسبت أساساً دينياً قوياً . وتضمنت هذه النقابات نظاماً صارماً للتدرج يشتمل على رؤساء الحرف والعمال المهرة اليوميين ، ومدربى الصبية ، والصبية العاديين . وقد قامت النقابة بتنظيم السلع من حيث الكيف والكم ، فحرصت على إقتناء السلع ثم تولت عملية بيع السلع فى المدينة وقد كان الحافز الذى يمنح لأعضاء النقابات ضئيلاً ، كما كان عدد المتاجر المخصصة لكل نقابة محدوداً ، فلم يكن يسمح بفتح المتاجر إلا لرؤساء الحرف ، كذلك لم يكن يسمح بأى تغيير فى الطراز أو (الموديل) دون إذن من النقابة كل

هذا فضلا عن أن أسعار السلع كانت مثبتة بواسطة الحكومة

وأبعد من ذلك فإن النقابات لم تكن مستقلة ، ولكنها تطورت في ظل حماية الحكومة ، كأداة للضبط الفعال على الاقتصاد ، والسكان . وقد كانت في معظمها عبارة عن كيانات صغيرة قوامها الحرفيون ، مع أنها كانت تتراوح في الحجم من اثنى عشر ألفاً ، إلى عضو واحد كما هو الحال في نقابات العمال الذين يصنعون وسائل التغذيب وهناك أوجه شبه بين النقابات الإيرانية ، والنقابات التى وجدت فى عهد الامبراطورية العثمانية من حيث الوظائف ، ومن أوجه هذا التشابه أن كليهما تطورت عن كيانات قوامها مجموعة من الحرفيين الذين ينخرطون فى نفس المهنة ، هذا فضلاً عن أن الحكومة فى الحالتين هى التى خلقتها لأغراض مالية ، وإدارية . وفى إيران كانت النقابات هى التنظيمات الاقتصادية الحضرية الوحيدة التى تتقرر عليها الضرائب كوحدة وكان من حقها أن تختار رؤساءها وموظفيها وفى بعض الحالات شاركت النقابات فى المناسبات الدينية ، وفى كثير من الحالات وجدت مقاه فى السوق أنشأتها نقابة واحدة ، ولكن دورها الاجتماعى والسياسى كان ضئيلاً. أما أدوارها المالية، والإدارية، فقد كانت محدودة بواسطة الدولة ، وغير ذلك من الأدوار مماكان يمكن أن تقوم به النقابة ، فقد كان محدوداً إلى حد كبير .

وفى الوقت الذى كانت فيه الامبراطورية العثمانية آخذه فى التوسع ، كانت القوة البحرية الأوربية تنمو هى الأخرى ، بطريقة مشابهة ، وفى نفس الوقت ، أى فى بداية القرن السادس عشر ، حينما كان البرتغاليون ينقضون على العالم الإسلامى من خارجه ، ويعملون على خلق نوع من الفوضى فى التجارة مع الشرق ، ولقد كان أول أوربى إلى العالم الاسلامى متسللاً سراً إلى مكة والمدينة ، ثم عاد ليقوم بالإعلان ، والدعاية عن رحلاته .

إن ما أحرزته المدينة الإسلامية فى مجال التحضر ، خاصة فى النواحى السياسية والعسكرية ، والفكرية ، والفنية ، كان قد اقترب من الذروة فى بدايات القرن السادس عشر ، حتى إنه عشية التوسع الأوربى كانت لدى العالم الإسلامى قناعة بأنه لاجدوى من نقل أى شيء عن حضارة الغرب البربرى . وأن أسباب التدهور الذى حل بهذه الحضارة – والذى استمر على الرغم من التوسع الفيزيقى للإمبراطورية العثمانية – كانت متعددة ، ولاتزال تعتبر مجالاً للجدل التاريخى . وحتى بحلول العصور الوسطى كان سكان الحضر قد تعودوا على وجود هذا التدهور الذى كان قد تزايد بفعل الغزوات القادمة من وسط آسيا .

فعلى سبيل المثال كان حجم السكان فى بغداد فى القرن السادس عشر قد تدنى إلى ما بين (٥٠) ، (١٠٠) ألف نسمة ، وهذا

الحجم يمثل عشر حجمها السابق . وايضا كان الحجم السكانى الكلى فى مصر فى القرن الثامن عشر حوالى مليونين ونصف ، وكان هذا الحجم يمثل انخفاضاً إلى النصف ، لأنه كان قد بلغ حوالى أربعة ملايين فى القرن الرابع عشر . هذا فضلاً عن تناقص حجم السكان فى كل من سوريا ، والعراق ، والجزيرة العربية . ومن ناحية أخرى انكمشت مساحة الأرض المزروعة فى الشرق الأوسط ، نتيجة إهمال الرى فى كثير من المناطق ، الأمر الذى أدى أيضاً إلى انكماش التجارة، ومع ذلك فمن المحتمل أن معاناة المجتمعات الحضرية ، كانت أقل من معاناة المجتمعات الريفية . ولكن الواضح أن الريفيين قد تناقصوا من حيث الكم والكيف . ومع أنه فى القرن السابع عشر كانت الاسكندرية ، وطرابلس ، وحلب ، وبغداد لاتزال مراكز تجارية هامة، وموضعاً للمنافسة بين الأوربيين . إلا أن تجمد مناطق الظهير الزراعى الخاصة بها ، قد أدت إلى جعل تجارتها هزيلة .

ومن بين العوامل الاقتصادية التى أسهمت فى هذا التدهور العام استنزاف موارد الغابات ، حيث كانت الأخشاب من أهم المواد الخام فى مجتمعات ما قبل الصناعة ، فكانت تستخدم فى جميع الحرف من المنازل إلى السفن ، إلى المحاريث كل هذا إلى جانب كونها مصدراً أساسياً للطاقة . وقد كان لإزالة كثير من المناطق المرتفعة ، والتركيز

المتزايد على الرعى آثار سلبية تتمثل فى تآكل التربة أو تعريتها وحيث أن التوازن الطبيعى والايكولوجى فى المناطق الجافة وشبة الجافة أمر دقيق للغاية ومن السهل هدمه ، فإن إعادة تهيئة الأرض لزراعة الأخشاب كان وسيظل من العمال الشاقة .

ولم يكن بناء المجتمع فى الشرق الوسط بطبيعته يسهل عملية التغيير ، لأنه من ناحيته قد عانى من محاولات صد الغزوات المتتابعة من جانب الصليبيين والمغول والأتراك وغيرهما ، وقد أدى ذلك إلى تحول المجتمعات العربية إلى مجتمعات إقطاعية عسكرية ، ومن ناحية أخرى ، فإن القوة السياسية والعسكرية للامبراطورية العثمانية كانت آخذه فى الضعف تدريجياً بسبب الحروب المستمرة ، وفى نفس الوقت بدأ اقتصاد هذه الامبراطورية يعانى من الآثار التضخمية ، التى أحدثها تدفق الذهب من أمريكا الجنوبية عبر أوربا . وفى ضوء هذه الظروف بدأت السلطات المركزية للامبراطورية تتدهور فى القرن السابع عشر ، فضاعف البدو الرحل من عمليات سلب ونهب المجتمعات المسترقه، وعندئذ ظهرت مجموعة من الإمارات المحلية الصغيرة ، وكذلك ظهرت حكومات شبه مستقلة عن سلطة الامبراطورية . وقد مرت الامبراطورية الفارسية بنفس هذا المسار تقريباً ، فقد واجهتها ظروف التوسع والانكماش المرحلى ، كما تعرضت لغزوات دموية هدامة

من جانب الأفغانيين فى القرن الثامن عشر ، واستمر ذلك حتى بدأت مرحلة التماسك الداخلى والإصلاح الذى مارسته أسرة كاجارا فى القرن التاسع عشر .

وبالإضافة إلى كل ما سبق فإن الحياة العلمية ، والفكرية للمجتمع الإسلامى فى الشرق الأوسط قد تدهورت أيضاً منذ العصور الوسطى ، وأصبحت السلطة الدينية أكثر قوة ، وأكثر صرامة . ويتضح ذلك مثلاً فى استمرار القادة الدينيين فى التمسك بأمور تحريم التدخين(*) . رغم أنه لم يكن هناك نص قرآنى يدعم هذا الموقف . ولكن الحكومة العثمانية قد أرغمت تحت وطأة الضغط العام أن تترك مسألة تحريم التدخين سارية ، حتى إذا جاء عام ١٧٢٥ استطاع تجار التبغ أن ينظموا صفوفهم ، ويكونوا نقابة ذات شهرة واسعة ، ويحسب

(*) تحريم التدخين فى الإسلام لم يرد نص مباشر لتحريم التدخين فى الإسلام ولكن هذا المبدأ قد استنبط قياساً على مبادىء أخرى ، فهناك مبدأ أنه "لاضرر ولا ضرار" ، "إن لبدنك عليك حقاً" ولما كان التدخين ضار بالصحة فهو يدخل فى نطاق الضرر وإهمال حقوق البدن ، ثم مبدأ التبذير فيما لاينفع "إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين" ثم قوله تعالى "ولاتغلل يدك إلى عنقك ولاتبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً" وغير ذلك من الآيات والأحاديث النبوية الشريفة ، وتشير كلها إلى أن تفسير مسألة تحريم التدخين ، يشتق من مبادىء عامة أخرى رغم عدم وجود نص صريح أو حديث مباشر .

حسابها فى نفس الوقت .

وقبيل بدايات القرن الثامن عشر لم يكن الكفار أو الملحدون يلقون تقبلاً أو احتراماً من جانب المجتمع ، لكن المجتمع بدأ يتقبلهم مع بداية هذا القرن وقد أصبحت التجارة متركزة فى أيدى الأقليات غير المسلمة التى لم تعانى من صرامة القانون الإسلامى . وقد شكلت الجماعات غير الإسلامية مجتمعات محلية خاصة بها سميت ميلتز Millets (*) وقد سمح لهم بتنظيم شئونهم الدينية ، والاجتماعية والقانونية . وقد تركزت هذه الجماعات فى الأحياء التجارية الكبرى فى الامبراطورية وأخيراً فإن وجود هذه الجماعات نفسه هو الذى منح القوى الأوربية ذريعة أو حجة جاهزة للتدخل فى الشئون الداخلية للامبراطورية العثمانية .

مدينة كرمان : *Kirman city*

قدم انجلش P. W. English وصفاً لمدينة كرمان فى الفترة

(*) (ميلتز Millets) يطلق هذا المصطلح على المجتمعات المسيحية التى وجدت فى زمن الامبراطورية العثمانية خلال الفترة من ١٢٢٩-١٩٢٢م ، وكان لكل منها اتجاهاته الطائفية ، حيث كان يمثل البطريارك شخص الحاكم فى هذه المجتمعات ، وليس على بقية أعضاء المجتمع سوى إنجاز الوظائف الدنيوية. (قاموس فيرتشيلد ، ص ١٩٤) .

ماقبل عام ١٩٠٠ فى دراسة لـه بعنـوان "البيئـة والاقتصـاد فـى سـهل كرمان" Settlment and economy in kirman basin [1] ولهـذه الدراسة أهميتها هنـا ، لأن الملامـح العامـة للبنـاء الحضـرى فـى هـذه المدينة كانت فى عام ١٩٠٠ مشابهة لملامح غيرهـا مـن المـدن الايرانيـة ذات الحجم المماثل ، وقـد كـانت المدينـة إلى حـد مـا تجاريـة صغـيرة وكانت الأشكال العامة للحياة الحضرية فـى المدينـة الإسـلامية تتشـابه مع بعض طرق الحياة التى سادت فى العصـور الوسـطى . ومـن نمـاذج هذا التشابه وجود نقابات الحرفين مثلاً ، ووظائف هذه النقابات كانت تشبه وظائفها فى الامبراطورية العثمانية .

وكـان المسـجد المركـزى والقلعـة ، والسـوق هـى المؤسسـات الرئيسية الثلاث التى تشكل قلب مدينة كرمـان ، فمنـذ القـرن الرابـع عشر والمسجد المركزى هو المكان الرئيسى للصلوات العامـة أو الجماعيـة فى المدينة . وعلى مقربة من هذا المسجد بعض الحمامات العامـة التـى كان المصلون يمارسون فيها الوضوء . أما القلعـة ذات الأسـوار ، والتـى كانت على مقربة من الجزء الغربى للمدينة فقد ضمت إلى داخلها منازل الصفوة السياسية ، والتجاريـة فـى المدينـة . ثـم كـان الحـى التجـارى المعرفو باسم "سوق فاكيل" بـين المسـجد المركـزى والقلعـة ، وقـد كـان

---

(1) English, op. cit. pp. 39 - 45 .

الجزء الرئيسى للسوق يمتد إلى حوالى ستمائة متر ، ويشتمل على مقاعد مغطاه ، وفناء صغير ، وأزقة ضيقة ، حيث كانت تتم معظم العمليات التجارية فى المدينة . وقد خطط السوق فاكيل على النمط الفارسى ، حيث خصص فيه جزء لكل حرفة أو تجارة ، ولكن تجار الذهب أو المجوهرات ، وبائعى الملابس ، وتجار المحاس ، وغيرهم من تجار التجزئة ، كانت لهم محال حول ميدانين كبيرين فى السوق . ولم تكن طبيعة تجارة الجملة تتطلب وجود التجار فى شارع عام ، بل أنهم عملوا فى الفنادق ذات الأدوار المتعددة ، والتى تشتمل على فناءات مفتوحة ، ومخازن ومكاتب تتم تهويتها عن طريق الأبراج العالية والمصممة بطريقة تساعد على جذب الهواء البارد ، ثم توجهه إلى الحجرات الموجودة أسفل المبنى .

ولقد كانت هذه الأبراج واحدة من الملامح المعمارية الهامة للمدن الصحراوية فى إيران ، بالإضافة إلى خزانات المياة المقببة والتى كانت تمد الماء بواسطة أنابيب (مواسير) تمتد تحت الأزقة والحوارى .

وقد اشتملت الأحياء الإسلامية السكنية الأربعة الموجودة داخل أسوار المدينة عادة على أزقة متعرجة ذات فتحات مقببة أو دائرية ، ومسدودة ، وكان اتساعها يسمح لدابتين فقط بالمرور . وكانت المنازل المشيدة من الطوب اللبن ، تشتمل على فناء واسع ، وتنقسم إلى

حجرات عامة ، وأخرى خاصة . إذا سمحت الإمكانيات بذلك . وهناك منطقة فراغ خارج جدرن المنزل تسمح باخفاء ما بداخله ، من زجاج ملون وملصقات مزخرفة وحلى كانت توجد لدى الأثرياء ، والحكام . كما كان هذا الفراغ يسمح بإخفاء ما يوجد داخل منازل سيدات الطبقة الدنيا ، اللاتى كن يعملن طوال اليوم على أنوال السجاد. وفى نفس الوقت توجد حول المنازل فى أحياء اليهود أسوار عالية لحماية هذه المنازل من الاعتداء ، كما كانت تغلق بأبواب (بوابات) ضخمة . وفضلاً عن ذلك كانت التسهيلات الضرورية للحياة الاجتماعية والدينية لليهود موجودة وسط الأحياء الخاصة بهم ، ومن أمثلتها الحمامات ، والمدارس ومحال الجزارة ، والمعابد الدينية . أما حى الزرادشتيه Soroastrains فقد كان سكانه يخضعون لقيود من حيث الملبس ، والضرائب وغيرها من الأمور . وقد كان من المفروض عليهم قانوناً أن تكون منازلهم خفيضة بشكل يسمح للعابر أن يلمس سطحها . وقد كان هذا الحى يحكم بواسطة مجلس مشكل من كبار السن الذين لديهم إلمام بالشئون الاجتماعية ، والدينية . ومن الملاحظ أن هذا الحى كان من أكثر أحياء كرمان نظافة ونظاماً .

ولقد كان بناء المجتمع الإسلامى - الذى شكل أغلبية فى المدينة - قائماً على عدة طبقات منفصلة منها : ملاك الأرض ، ومن

يحتكرون حقوق المياه والقادرين على الإقراض ، وإبرام عقود تصنيع أو تسويق السجاد ، وهؤلاء جميعاً شكلوا الطبقة العليا . وفى نفس الوقت كانت إمكانية التنقل الطبقى أو الاجتماعى لهم محدودة . وفى الطبقة الدنيا كان هناك تدرج أو تنوع بين الدخول ، حيث كانت تتضمن فئات وضيعة مثل الشحاذين ، ومباشرى دورات المياه ، والبغايا ، وغير ذلك . وكانت الأسرة الممتدة Extended family المشتملة على الزوج والزوجة والأبناء ، وزوجات الأبناء والأقارب هى النمط العام ، والوحدة الاجتماعية الأساسية فى الطبقة العليا ، وإلى حد ما فى الطبقة الدنيا ، حيث لم تكن مواردها تكفى للتمسك بنظام عائلى واسع النطاق . أما أوجه التعامل التجارى ، فقد كانت تنظمها نقابات المنتجين ، كما كان الحال على زمن الامبراطورية العثمانية ، ولكن عنصراً جديداً قد دخل عليها ، وهو التضامن بين رجال السوق ، والعمال من خلال النوادى الرياضية الفارسية التقليدية ، والتى كانت تعرف باسم زرخانة Zorkhaneh .

وبالإضافة إلى ذلك كان الدين من عوامل تشكيل الوحدة الاجتماعية فى كرمان فى القرن التاسع عشر . فكان العلماء يحصلون على مميزات اقتصادية من خلال أدائهم للشعائر الدينية ، وكان لهم تأثير دينى من خلال إدارتهم لشئون التعليم ، والوعظ ، والإرشاد

الدينى ، وعملهم بالمحاكم الشرعية . كذلك كانت القيم الدينية ، والشعائر تدرس فى المرحلة الابتدائية من التعليم ، وأيضاً كان هناك لقاء دينى عام يحضره الناس فى المناسبات الدينية . ومن أشهر هذه اللقاءات ذلك اللقاء السنوى الذى يمارسون فيه طقوساً حزينة Passion plays فى شهر محرم حزناً وحداداً على استشهاد الإمام الحسين . فسكان كرمان شأنهم شأن معظم سكان إيران وجزء من سكان العراق ينتمون إلى المذهب الشيعى ، وهو مذهب ينظر للإمام على أنه أول خليفه لمحمد (عليه الصلاة والسلام) ، ويعترضون على الخلفاء الثلاثة السابقين عليه، كما لايوافقون على الجزء التقليدى فى الإسلام، والسلطات التى يفرضها ، وهذا الجزء هو الذى يتمثل فى أقوال الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأعماله ، تلك الأقوال والأفعال غير المدونة عنه مباشرة . والشعائر الجنائزية التى ذكرناها تعتبر مفتاحاً لكل جوانب حياتهم منذ أن قتل الإمام الحسين بن على بأيدى المتعصبين من المسلمين Orthodox Muslim ، ذلك أن هذه الشعائر تؤدى – مع غيرها – دوراً فى تأكيد معارضتهم لبعض الجوانب التقليدية فى الإسلام ولقد ظل اجمالى عدد السكان فى كرمان ثابتاً عند (٤٠,٠٠٠) أربعين ألف نسمة تقريباً ، وكان التوزان السكانى – كما يشير إنجلس – هو السمة الغالبة . على كرمان فى القرن التاسع عشر،

ولو أن الأمر لم يعدم وجود هجرات محدودة من المدينة أو إليهـا ، مـع قدر قليل من التنقل الاجتماعى ، خاصـة إذا قورنـت بالتغـيرات التـى حدثت فى المجتمع الحضـرى بحلـول عـام ١٩٠٠ ، حيـث يتضح أن هذه المدينة الصغيرة ذات السوق المحدودة (كرمـان) لم تمسـها تيـارات التغير الكبرى فى القرن التاسع عشر ، ومن الواضح أن حياة الفرد فـى مدن الشرق الأوسط فى عصر ما قبل الصناعة كـانت تـتركز أساسـاً فـى الأسـرة ، والقبيلـة ، والديـن ، ووسـائل كسـب الـرزق ، وأن أهميـة جماعات مثل الأسرة ، والقرابة ، تعتبر عامـة فـى معظـم المجتمعـات الحضرية فى عصر ما قبل الصناعة . أما الأمر الأعـم فكـان يتمثـل فـى تجمع عدد من السكان ، وترابطهـم علـى أسـاس المذهـب الدينـى ، أو القبيلة أكثر من ترابطهم على أساس الطبقة . وكان الدين بشكل خـاص هو الطابع المميز للمدينة فى الشرق الأوسط ، فتأثـيره فـى الأسـرة كـان واضحاً ، وكذلك فى علاقـات الأفـراد ، والشـكل الفـيزيقى للمدينـة ، ونمـط الحكومـة الحضريـة ، والبنـاء السياسـى للمدينـة ، وحتى فـى المعاملات التجارية ، حيث كانت تحكمها مجموعة من القواعد الدينية والخلقية . أما بالنسبة لأهمية الأسرة والقبيلة فهـذه يمكـن فهمهـا مـن خلال تأثير حياة البداوة والترحـال علـى مجتمعـات الشـرق الأوسـط ، ومما شكلته من أنماط للحياة فى الصحراء ، وما تفرع عن ذلك من آثـار

على الحياة فى القرية والمدينة .

إن كلا من جوانب الحياة الحضرية التقليديـة ، سوف يعـرض فى الفصل التالى ، حيث نتناول بالدراسة كيف تغيرت هـذه الحيـاة ، وكيف أثرت فى الحياة الحضرية فى الوقت الراهن . فمن المعروف أنـه منذ القرن السادس عشر وما تلاه تغير الإطـار الاقتصـادى ، والتجـارى الذى كان سائداً فى مدن الشرق الأوسط . وأول ما تجـدر الإشـارة إليـه هو تطور العلاقات التجارية بين المدن الكـبرى ، تحـت تأثـير التوسـع الأوربى . فعلى مدى ثلاثة قرون أو يزيد كانت هذه العلاقات التجاريـة تعانى من الانكمـاش المسـتمر ، رغـم أن العلاقـات بـين المـدن ومنـاطق ظهيرهـا الزراعـى لم تتغـير بدرجـة كبـيرة .وقـد اسـتمرت الوظـائف الإدارية ، والمحلية ، وشئون السوق ، والحج على ماهى عليـه . ومـع ذلك فخلال القرن التاسع عشـر بـدأت وظـائف كثـير مـن مـدن الشـرق الأوسط تتغير بشكل جذرى ، ذلك لأن المشروعات التجارية الأوربية – تدعمها الاحتياجات المتزايدة للثروة الصناعيـة – أخـذت تنظـر لمنـاطق الظهير الزراعى نفس نظرتها للمدن .

وعندما تغير البناء الاقتصـادى للمدينـة والدولـة ، تغـير كذلـك البناء الاجتماعى ، وصاحب ذلك بعث جديد للمجتمع بواسطة مفكرى الشرق الأوسط وقادته فى اتجـاه يبـدو مناهضـاً للتسـليم بفكـرة التنظيـم الإلهى للأمور .

الفصل العاشر

مستقبل التحضر في الشرق الأوسط

تمهيد :

إذا كنا قد تناولنا فيما سبق أهمية وأسلوب دراسة المدينة باعتبارها نموذجاً للمجتمع الحضرى . كما تعرضنا لبعض مداخل الدراسة فى علم الاجتماع الحضرى . وكذلك مدينة العالم الثالث ، ومظاهر التحضر المتميزة فى هذا العالم . فإن هناك ضرورة لإلقاء بعض الضوء على مستقبل المدينة ، والحياة الحضرية .

فالشرق الأوسط كما نعلم جزء لايتجزأ من العالم الثالث ، لكن رغم ذلك فإن التحضر فيه له بعض المظاهر المتميزة ، التى يتعين على أبنائه أن يتناولوها بالدراسة . ولقد درج الكثير من مؤلفات الاجتماع الحضرى على تقديم تصورات عامة عن مستقبل الحياة الحضرية . لكننا هنا آثرنا أن نفعل ذلك بالتطبيق على منطقة الشرق الأوسط بالذات ، ومن خلال ثلاثة محاور تسمح بمثل هذا التحليل ، وهى النمو الحضرى السريع ، والنمط التخطيطى والمعمارى ، والعلاقة بين التحضر والتنمية .

إن الكتابات المتوفرة عن مدينة الشرق الأوسط ، والتى قدمها الجغرافيون وغيرهم من العلماء الاجتماعيين فى المنطقة غنية بالمعلومات الراهنة عن أوضاع هذه المدن . لكنها فى كثير من الحالات لاتجيب على تساؤلات هامة . وكذلك فإن من كتبوا عن المنطقة من خارجها

واجهتهم فى نفس المشكلة . فهناك قصور واضح فى الاحصاءات الرسمية التى يمكن أن تسهم فى شرح وتفسير المعطيات التى يتم الحصول عليها من هذه المنطقة . وحتى فى حالة وجودها فإن هناك قيوداً كثيرة على استخدامها . وفى الوقت ذاته فقد أصبح من الواضح – كما سبقت الإشارة فى أماكن عديدة – أن المفهومات والتصورات التى تشكلت لدى الباحثين الغربيين لاتصلح للقيام بمهمة التفسير إذا طبقت على مدن الشرق الأوسط . فعلى سبيل المثال تتبدى هذه الصعوبات فى مجال مثل البطالة حيث نجد أن الاحصاءات الرسمية تشمل معدلات منخفضة من المتعطلين ، لكن الأمر يختلف عن ذلك فى عالم الواقع .

وفى هذا المجال كان بارتش Bartsch قد أجرى مسحاً رائداً فى إيران، وكان قد اعتبر إيران ضمن بلدان الشرق الأوسط ، وفقاً لما ساد منذ الحرب العالمية الثانية ، وقد وجد فى هذا المجال أن أكثر من (٧٠٪) من سكان الحضر الذين هم فى سن العمل ولديهم القدرة على المشاركة فيه كانوا بين متعطلين ، أو يعملون فى مهن تافهة ، أو يعملون بشكل موسمى أو غير دائم ، وهؤلاء لم تتناولهم الإحصاءات والتقديرات الرسمية [1] .

---

(1) Bartsch. W. H. unemployment in less developed countries, a case study of poor district in Tehran, in : the city in the third world. eu. Macmillan, London, 1974, pp. 159-168 .

ولعل ذلك يطرح القول بأن متطلبات البحث فى مدن الشرق الأوسط لابد أن تكون شاملة ، ولقد بذل كثير من العلماء جهداً فى هذا المضمار ، لكنه كان جهداً فردياً ، دون دعم أو تشجيع رسمى ، وكذلك كان ماتوصلوا إليه من نتائج يحظى بالإهمال من جانب الجهات التنفيذية ، ولم يوضع أمام من يملكون اتخاذ القرار فى هذه البلدان .

وفى الوقت ذاته فإن هناك دراسات أخرى سطحية وغير أكاديمية . ولايمكن الاعتماد عليها فى تشكيل ملامح استراتيجية معينة للتخطيط الحضرى . وعلى هذا الأساس فإن من ضمن متطلبات البحث الاجتماعى فى المناطق الحضرية فى الشرق الأوسط ، أن يلقى دعماً وحفزاً رسمياً من ناحية وأن تكون له قيمة عملية وواقعية ، بحيث يمكن تطبيق ما توصل إليه على الجانب العملى . وكذلك فإن من الواجب أن تكون هناك خطط بحثية تهتم بالتحضر على المستوى القومى ، تقود ، وتنسق جهود الأفراد وفرق البحث فى هذا المجال الحيوى . هذا إلى جانب تنوع اهتمامات هذه الخطط البحثية من حيث المستوى ، بحيث تأخذ فى اعتبارها المستوى القومى ، والإقليمى والمحلى . وحتى وحدة الجوار فى المدن الصغرى . ولعل هناك أهمية خاصة فى هذا المجال لأن تكون مهمة إنجاز هذه البحوث منوطة بعدد

كبير من مختلف التخصصات وفروع العلم . أخذا بالمدخل التكاملى – متعدد الأبعاد interdisciplinary . ومن ناحية أخرى فإنه لايجب أن يفهم من ذلك أننا ندعوا لإهمال الجهود الفردية لكن هناك حاجة ملحة للاهتمام بها طالما أن أهدافها العلمية مختارة على أساس منهجى جيد، ونتائجها تسهم فى اثراء القضايا العامة التى استقر الرأى على ضرورة بحثها علمياً ، وأيضاً طالما كانت تحاول الإجابة على تساؤلات تدعم أهداف السياسة العامة أو القومية .

إن عدداً من الدرسات يشير إلى أن الحياة الحضرية فى المنطقة تتجه بسرعة إلى أن تشكل أزمة . وبالتالى فإذا كنا نحرص على قيمة التحضر ومغزاه ، ونعمل على تنميته ووقف تدهوره ، فإن هناك عملاً هاماً ينبغى أن نتجه لإنجازه ، وينبغى أن يضم هذا العمل ذوى العلم والخبرة ، والفهم معاً ، إلى جانب المسئولين والتنفيذيين .

وإذا كان دراسات علم الاجتماع الحضرى وغيره من العلوم الاجتماعية الأخرى ، يمكن أن تحقق نجاحاً فى وصف وتشخيص وتفسير أوضاع المجتمعات الحضرية فى الشرق الأوسط ، إلا أن هناك صعوبة بالغة فى إمكانية التنبؤ بما يمكن أن يحدث مستقبلاً ، وتنجم هذه الصعوبة من المشكلات التى تواجه هذه الدراسات والتى أشرنا إليها من قبل ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن الشرق الأوسط

يتضمن سمات متنوعة . فرغم أن هناك وحدة تجمع بين بلدان هذه المنطقة من حيث اللغة ، والدين ومعظم السمات الجغرافية ، وكثير من العادات والتقاليد ، إلا أنه رغم ذلك يوجد تنوع كبير فى المستويات الاقتصادية ، والأحداث السياسية ، بما فيها الحرب وآثارها ، وهذه أمور تعكس تنوعات كبيرة فى المجتمعات الحضرية فى الشرق الأوسط[1] .

ويترتب على النطقة السابقة عدم إمكانية التعميم فيما يتصل بالحياة الحضرية ومشكلاتها سواء فى الوضع الراهن ، أو فى محاولة التنبؤ باتجاهات المستقبل . ويبقى هنا أن المكن الوحيد هو محاولة التعميم بحذر على مستوى كل مجموعة متشابهة من مدن الشرق الأوسط.

أولاً : النمو والتمركز الحضرى :

لعل الكثير من مؤلفات الاجتماع الحضرى ، يحاول رسم صورة مستقبلية عن التحضر بشكل عام ، وذلك فى ضوء الأوضاع والتطورات التاريخية والأوضاع الراهنة . وقد أشرنا إلى صعوبة هذه المهمة بالنسبة

(١) فى هذه النقطة انظر ، كوستيللو ، التحضر فى الشرق الأوسط ، ترجمة غريب سيد أحمد ، وعبد الهادى والى ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٢ ، الفصل الأول.

لبلدان الشرق الأوسط ، ومجتمعاته الحضرية . لكن يبرز من بين التصورات فى هذا المجال إتجاه معدلات التحضر فى الشرق الأوسط إلى الزيادة المستمرة وتشترك فى ذلك مع دول العالم الثالث الأخرى . فعلى سبيل المثال يعيش الآن حوالى (٤٤٪) من سكان المنطقة فى مجتمعات حضرية ، ولقد كان هذا الحجم منذ ثلاثين عاماً لايتجاوز (٣٠٪) . ومن المهم أن نتصور بأسلوب علمى إلى أين تتجه هذه الزيادة . وهل لها من نهاية أو حد معين . هناك من يتوقع أن تستمر هذه الزيادة ليصبح الشرق الأوسط مثل بلدان أوربا وأمريكا ، أى يصل حجم التحضر فيه إلى (٧٥٪) ، ذلك مالم تحدث تعديلات فى اتجاهات الناس نحو الزراعة والتنمية الحضرية . وحتى الآن لاتبدو فى الأفق معالم أيديولوجية معينة للحد من المدن . وحتى ما يظهر من أفكار لايزال بعيداً عن الممارسة العملية مثلما هو الحال فى كمبوديا أو فيتنام أو غيرهما .

وإذا أخذنا معدل النمو الحالى للسكان فى منطقة الشرق الأوسط وهو (٢,٨٪) سنوياً تقريباً ، فإن سكان المنطقة سوف يتضاعفون فى ٢٥ عاماً. وكذلك فإن سكان كثير من المدن الكبرى سوف يتضاعفون بالتالى، وفى نفس الفترة ، وفى بعض الحالات سوف يتضاعف عدد سكان المدن فى فترة أقل من ذلك بفعل استمرار الهجرة الريفية الحضرية .

وتدلنا الشواهد الواقعية على أن محاولات خلق بدائل لجذب السكان إلى المناطق الريفية قد باءت بالفشل ، وفى الوقت ذاته فإن سياسات خفض معدلات الزيادة السكانية عن طريق برامج تنظيم الأسرة لم يكن لها إلا أثر محدود .

وجدير بالذكر أن الرغبة فى استمرار الزيادة السكانية فى الحضر ، لاتزال مسألة خلافية ، فهناك اتفاق شبه عام على أن معدلات التحضر المرتفعة تفرض ضغوطاً غير مرغوبة من وجهة النظر الاجتماعية ، والاقتصادية . ومن ناحية أخرى فإنه ليست هناك موافقة عامة على أن منع سكان الريف من الهجرة إلى المدن هو أحسن الحلول لهذه المشكلة ولقد ناقشت جانيت أبو لغد هذه القضية باهتمام بالغ ، وأكدت على أن المشكلات الناجمة عن النمو الحضرى السريع ، لايمكن التمييز بينها وبين المشكلات الناجمة عن الهجرة الريفية الحضرية . ومن وجهة نظرها فإن معدلات النمو الحضرى فى الشرق الأوسط يجب العمل على خفضها عن طريق خفض معدلات الزيادة الطبيعية باعتبارها مسئولة عما يقرب من نصف معدلات النمو الحضرى الراهن فى الشرق الأوسط . وترى أن من بين الحلول الهامة المطروحة فى هذا المجال الحرص على تعليم الإناث ، كما تذهب إلى أن الهجرة الريفية الحضرية أمر لايمكن تجنبه لما له من أثر على النمو الاقتصادى

القومى ، طالما أن الزراعة لايمكن أن تفى بحاجات عدد أكبر من السكان . فالمهاجرون الريفيون إلى المدينة يمكن أن يحققوا عائداً أفضل فى المدن مما لو تركت القرى فى حالة تكدس زائد . وأبعد من ذلك فإن هؤلاء المهاجرين يمكن أن يسهموا فى حل بعض المشكلات مثل مشكلات الإسكان أكثر من سكان المدينة الأصليين ، بمعنى أنه يمكن استثمار مهاراتهم وطاقاتهم فى هذا المجال . ولاترى جانيت أبو لغد حلولاً متصورة لنمو المدن الكبرى فى الشرق الأوسط ، على الرغم من أن هناك إمكانية لتوجيه القوى العاملة نحو خلق اتجاهات جديدة للنمو ، ففى معظم بلدان الشرق الأوسط نجد أن من الواضح أن قوى النمو تتركز عبر محاور معينة مثل تركزها بين القاهرة والاسكندرية ، بغداد والبصرة ، الدار البيضاء والرباط . ومن الممكن أن تصبح هذه المحاور مواقع ملائمة لبعض المجتمعات المحلية التابعة التى يمكن أن تخفف الضغوط القائمة على المدن الكبرى . وترى جانيت أن المناطق الميتروبوليس Mertopolis الممتدة قد بدأت فى الظهور ، ويبدو أنها ستصبح نموذجاً لمدن المستقبل فى الشرق الأوسط ، وبالتالى فإن هناك ضرورة لتخطيطها من الآن [1] .

---

(1) Abu - Lughod, Janet, problems and policy implications of middle Eastern urbanization, in : studies on development problems in selected, countries if the middle East, U. N., New Tork. 1972, pp. 42-72.

وقد ناقش باحث آخر هذه القضية من وجهة النظر العكسية . وبالتركيز على العالم العربى . ويعتقد أن معظم البلدان العربية قد وصلت إلى المستوى الأمثل من التحضر . حيث انتقلت من نسبة (١٠٪ إلى ٢٠٪) فى الأربعينيات والخمسينيات فى ضوء مراحل نموها الاقتصادى . ولقد كان هذا المعدل كافياً لبعث مرحلة الانطلاق للنمو الاقتصادى الملائم . ولكن معدلات التحضر فى الستينيات كانت غير ذلك ، وانعكست على معدلات النمو الاقتصادى ، وخفضت معدلاته . وقد أضافت الهجرة الريفية الحضرية إلى التحضر urbanization ، ولكنها لم تفعل ذلك بالضرورة بالنسبة للحضرية urbanism مع أن الحضرية هى مفتاح المجتمعات الآخذه بالتحديث modernizsation خاصة فى مرحلة التصنيع [١] .

وإن الوصول إلى تقييم سليم للعلاقة بين التحضر والتنمية ، يجب أن يتضمن نتائج النمو السريع على نوعية الحياة فى مدن بعينها. فلقد كان لهذا النمو السريع آثار وخيمة على مجالات مثل السكان ، وفيما عدا الدول النفطية ، نجد أن القطاع العام لايقوى إلا على الإمداد بإسكان محدود ، وشعبى – كما أن التوسع الإسكانى فى

---

(1) Ibrahim. S. E., over - urbanization and under - urbanism, the case of Arab world, in : interational Journal of Middle eastern studies, 39-45 vol . 6 . 1975, pp.

الضواحى وأطراف المدن سوف تتضمن بالضرورة ضغوطا متزايدة فى مجالات الامداد بالمياه. والصرف الصحى ، والتيسيرات الحضرية الأخرى . ولعل القاهرة خير مثال على ذلك ، فهى مدينة بنيت أصلاً لتستوعب مليونين من البشر ، بينما هى الآن تؤوى تسعة ملايين يضغطون على كل شىء ، على الشوارع المزدحمة والأرصفة ، وعبر وسائل النقل غير الكافية ، والتى يتعين عليها أن تنقل ثلاثة ملايين ونصف يومياً . هذا فضلاً عن أن المرافق والبنية التحتية قد مضى عمرها الافتراضى ، فى الكهرباء ، والمياه والمجارى ،والهاتف وغير ذلك . ولو استمرت معدلات النمو الحالية فى القاهرة ، لوصلت إلى عشرين مليون نسمة قبل نهاية القرن الحالى . ولايخفى علينا ما يمكن أن يتضمنه ذلك من آثار ، فضلاً عما تحتاجه عملية صيانة المرافق القائمة، والمحافظة عليها . وماهو أخطر من ذلك أن النمو الحضرى فى مصر يتم على حساب الأراضى الخصبة التى تستزرع ، وتوفر جزءاً من الاحتياجات الغذائية . ولذلك فإنه يمكن القول إن التحضر أو النمو الحضرى فى مصر يتم على حساب الإنتاج الزراعى ، على عكس الحال فى بلدان الشرق الأوسط الأخرى ذات الأراضى الصحراوية ، والتى لايمثل الامتداد والنمو الحضرى فوقها عبئاً ثقيلاً كما هو الحال فى مصر [1] .

---

(1) Roberts, H., Town planning : looking beyond the year 2000 Middle East, No. 30, 1977, pp. 64-68 .

وظاهرة النمو والتركز الحضرى فى بعض مدن الشرق الأوسط ، وغالبا ما يكون فى العواصم ، هذا التركز يعتبر من الأمور التى يمكن التنبؤ بها ومع أن بعض الدول قد تصورت استراتيجيات معينة لمواجهة هذه الظاهرة مثل العراق ، وإيران ، واتجاهاته إلى إنشاء مدن تابعة ، وصناعات خارج المدن الكبرى تمتص جزءاً من هذا التركز ، إلا أن آثار هذه الاستراتيجيات لاتزال محدودة . وبالتالى فإن استمرار هيمنة المناطق الميتروبوليس التى تحرم غيرها من مصادر التمويل يبدو أثراً محتملاً .

ولقد دارت التنبؤات حول مستقبل المدن والحياة الحضرية فى الشرق الأوسط حول مشروعات ، وأفكار جديدة يمكن أن تكون ذات أثر فى مواجهة مشكلات التحضر فى هذه المنطقة ، حيث نرى فى السعودية استعدادات لإنشاء مناطق صناعية ، وموانىء فى ينبع ، والجبيل وهذه سوف تستوعب أعداداً لايستهان بها من السكان ، وكذلك فى ليبيا نجد الدراسات والتخطيط لمشروع منخفض القطارة الذى يمكن أن يمتص جزءاً كبيراً من الكثافة السكانية عن طريق إنشاء عدد من المدن حول القطارة . وكذلك دراسات ومشروعات إنشاء بعض المدن فى الصحراء الغربية ، وحتى بعض الآراء التى تنادى بالبحث عن قاهرة جديدة . ومن هنا يتوقع العلماء المرحلة القادمة فى مستقبل

التحضر في الشرق الأوسط . ويشير هؤلاء إلى أن مثل هذا التصور يجعلنا نتنبأ بتحول كثير من مدن الشرق الأوسط إلى مدن أشباح [1]

ثانياً : النمط التخطيطي والمعماري :

ويشكل النمط التخطيطي والمعماري أحد الجوانب الهامة التي يدور حولها نقاش . هدفه محاولة تصور الوضع المستقبلي لمدن الشرق الأوسط ، وعلى الرغم من المشكلات التي تثار في مثل هذه المحاولات. إلا أنه يمكن الإشارة إلى أن هذه المشكلات تتركز الآن حول مواجهة النمط الإسلامي المعماري ، بالنمط الغربي ومحاولة الكشف عن مدى كفاءة أي منهما للوفاء بالمتطلبات الراهنة للحياة الاجتماعية والحضرية في الشرق الأوسط .

بطبيعة الحال هناك طموحات تتمثل في إحياء المناطق الحضرية الإسلامية ، أو الأحياء التي تتضمن نماذج من فن البناء والتخطيط المميز للمدينة الإسلامية . ولكن هذه الطموحات تصطدم كثيراً بما أصبحت عليه أحوال هذه المدن من امتداد ، واتساع ، وتكدس . ومن ناحية أخرى عقدت بعض المؤتمرات مثل مؤتمر الظهران الذي انعقد في عام ١٩٧٨ ، وصدرت عنه بعض النشرات والدوريات ، والذي

(1) Blake , G. H. & Lwaless, R. I., the changing Middle Eastern city, Branes & Noble books, N. York, 1980. pp. 255-257.

انتهى بطرح مجموعة جديدة من التساؤلات حول الاتجاه المرغوب والعملي في مجال التخطيط والشكل المعماري لمدن الشرق الأوسط .

لقد كانت المدينة الإسلامية بما تتضمنه من أنماط تخطيطية ، ومعمارية ملائمة وفعالة في عصور سالفة ، فلقد كانت تحافظ بنوع من التوازن على أواصر العلاقات الاجتماعية ، وكان نمطها الهندسي يسمح بتعميق روابط المودة العميقة بين سكانها ، وكان موقع المسجد الرئيسي، والسوق متوسطاً بين كل أحيائها . هذا إلى جانب إشباع هذا النمط لمتطلبات الأمن ، والتهوئة الطبيعية ، والمحافظة على الحجاب وفي الوقت نفسه يدعم العلاقات العائلية .

والمشكلة الآن تتمثل في أن العودة لتطبيق النماذج المميزة للمدينة الإسلامية يحتاج لمزيد من الدراسة حول طبيعة العلاقات بين سكان المدن الآن ، هل يسودها النوع الوثيق العميق ، أم السطحية والثانوية . وفي ضوء ذلك أيضاً يتطلب الأمر البحث عن نمط يوائم بين القديم في شكلة الإسلامي، وبين الجديد في شكله التكنولوجي الراهن، إن الملاحظة العادية تمكننا من القول بأن المناطق الإسلامية المتميزة في قلب كثير من مدن الشرق الأوسط أصبحت مليئة بالسكان الفقراء ، ومكدسة سكانياً ، وربما تقادمت مرافقها ، ومن هنا فإن الحاجة لصيانة هذه الأماكن ، والمحافظة عليها تصبح ماسة ، ليس

للأغراض السياحية فحسب ، لكن لأغراض المحافظة على تراث رائد في عصره ، ربما يلهم ويوجه التخطيط الحديث للإبداع على أساسه .

إن سرعة إيقاع الحياة الحضرية الحديثة ، والنمو السكانى السريع فى مدن الشرق الأوسط ، وغير ذلك من الأمور جعل الكثير من أنماط البناء الغربى تسيطر فى هذه المدن ، ويؤخذ بها الآن ، على الرغم من استمرار الطموح لإحياء النمط المعمارى الإسلامى . وفى بعض الحالات يتم إنشاء مبان غربية ، مع واجهات معمارية إسلامية .

إن عملية التنبؤ بمستقبل الحضر فى الشرق الوسط فى ضوء ما سبق تجعلنا نؤكد على الحاجة إلى مزيد من الدراسات ، حول إمكانية تطبيق النمط الهندسى الإسلامى من ناحية ، وإمكانيات البيئة التى يمكن أن تساعد فى هذا المجال ، فضلاً عن دراسة آراء واتجاهات سكان الحضر فى الشرق الأوسط ، واختياراتهم المفضلة ، وأسلوب إشباع حاجاتهم فى هذا المجال [1] .

ثالثاً : التحضر والتنمية :

وتأتى هذه النقطة باعتبارها أحد الجوانب الهامة التى تشغل

---

(١) لمزيد من التفاصيل حول هذه النقطة انظر :

Dakhil, F. and Tawfik, M. F., housing problems in developing countries, proceedings of Dhahran interantional cenference, 1967, Johnwiley & sons , LTD. New York , 1979.

الباحثين والعماء فى مجال الاجتماع الحضرى ، والاجتماع السياسى ، اجتماع التنمية على حد سواء . والواقع أنه لاتوجد كتابات كثيرة حول العلاقة بين التحضر والتنمية فـى بلـدان الشرق الأوسـط ، لكـن هنـاك الكثـير مـن الكتابـات التـى عـالجت هـذه القضيـة فـى بلـدان أمريكـا اللاتينية .

وفى هذا الاطار أثيرت آراء مؤداها أن النمو الحضرى فى بلـدان العالم الثالث يخلق بطبيعة الحال طبقة مهيمنة . وطبقة أخرى هامشية ومع استمرار النمو الحضرى يزداد توسع الطبقة الأولى ، وتزداد هامشية الطبقة الثانية . ويتم تحليل هذه الآراء فى ضوء كون الصفـوة فـى تلـك البلدان هى مـن سـكان الحضـر . ومـن هنـا أكـد كثـيرون أن هنـاك إلى جانب الحضر وعلى حساب المناطق الريفية التى تعـانى مـن مشـكلات سكنية وأخرى خاصة بالمرافق والخدمات . وأول النتـائج المترتبـة علـى هذا الوضع تكون بطبيعة الحال ترك العمل الزراعى وأيضاً الإقامـة فـى الريف ، والهجرة للإقامة فى المنطقة الأولى . هذا فضلاً عن أن كثـيرين يذهبون إلى أن النمو الحضرى فى كثير من بلدان العالم الثالث فى ضـوء هذا الوضع يعنى (ترييف المدينة) .

وإن هناك إشارات عديدة إلى أن هذه الظواهر تنطبق علـى كثـير من مدن الشرق الأوسط ، كما ينطبق عليها ما ذكر ليبتون Lipton مـن

أن الصراع فى البلدان الفقيرة ليس بين العمال وأصحاب رأس المال ، وليس بين الأجانب والوطنيين ، لكنه بين الطبقة الحضرية ، والطبقة الريفية ، والأولى تملك التنظيم والقوة والترابط ، بينما تملك الطبقة الثانية (الريفية) الفقر ، وعدم وجود فرص ملائمة للتقدم ، ومن هنا تكون الطبقة الحضرية مؤهلة لكسب المعركة إلى جانبها ، وعلى حساب الريفية ، وينعكس هذا الكسب فى توجيه معظم الموارد والاستثمارات إلى القطاع الحضرى [1] .

وعلى الرغم من اشتراك مدن الشرق الأوسط مع مدن العالم الثالث فى كثير من الخصائص والأوضاع فى مجال التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، إلا أن مؤشرات المستقبل تفيد أن التحيز للمجتمعات الحضرية فى الشرق الأوسط سوف لايستمر إلى أبعد من ذلك ولكن هناك وجهات نظر لها أهميتها تعمل على تصور استراتيجيات معينة لتوجيه المزيد من الاستثمارات والمشروعات إلى القطاع الريفى ، سواء كان ذلك بدافع تعويض عن المراحل السابقة التى طغى فيها الاهتمام بالمدينة ، أو بدافع الحد من موجات الهجرة الريفية الحضرية ، وآثارها الجانبية.

كذلك فإنه تبقى هناك حاجة ملحة لدراسات متعمقة ،

---

(1) Lipton, M. why poor people stay poor, a study in urban Biasin world development, Temple Smith, London, pp. 5-13.

ومتخصصة تستكشف العلاقة بين التحضر والتنمية فى المراحل السابقة ، وتضع مؤشرات معينة حول هذه العلاقة فى المستقبل ، حتى يمكن الخروج بآراء واضحة حول مستقبل هذه العلاقة .

الفهرس

الفصل الثالث

مداخل الدراسة فى علم الاجتماع الحضرى

الفصل الرابع

الفروق الريفية الحضرية

الفصل الخامس

بعض النظم الاجتماعية فى المجتمع الحضرى

الفصل السادس

البيئة والتحضر في مجتمعات الشرق الأوسط

الفصل السابع

المناطق الحضرية المتخلفة

الفصل الثامن

التخطيط الحضرى

الفصل التاسع

المجتمع الحضرى فى الشرق الأوسط فى عصر ما قبل الصناعة

الفصل العاشر

مستقبل التحضر فى الشرق الأوسط

